

رسول الله وخاتم  
النبیین  
دین ودولة  
[٢]

## ج) عبدالعزيز إبراهيم العمري، ١٤٣٨هـ

فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمري؛ عبد العزيز بن إبراهيم سليمان

رسول الله خاتم النبيين، دين ودولة - الجزء الثاني / عبد العزيز بن إبراهيم العمري

الرياض، ١٤٣٨هـ

٥١٨ ص ٢٤×١٧؛

ردمك: ٤-٤٨٢٥-٠٢-٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية

ديوي ٢٣٩

أ. العنوان

١٤٣٨/٨٩٨٥

رقم الأيداع: ١٤٣٨/٨٩٨٥

ردمك: ٤-٤٨٢٥-٠٢-٠٣-٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



مؤسسة دارالسلام الدولي للنشر والتوزيع

ص.ب ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦

هاتف ٤٠٣٣٩٦٢ فاكس ٤٠٢١٦٥٩

يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون تغيير أو تحريف وبموافقة خطية من المؤلف. والكتاب متوفر بصيغة (PDF) مجاناً على الموقع الإلكتروني (<http://omaryforum.com>).


# رسول الله وخانق النبيين دين ودولة

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري  
أستاذ السيرة النبوية  
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض [سابقاً]

الجزء الثاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



القسم الرابع  
العالمية  
والدولة الإنسانية

قال الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا  
تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ  
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ  
دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ  
لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة].

### وفود القبائل<sup>(١)</sup>

الوفود جمع وفد وهي الجماعة المختارة من القوم، ليتقدموهم في لقاء العظماء والزعماء والمسير إليهم وتمثيلهم في المهمات.<sup>(٢)</sup>

دعوة الرسول ﷺ عالمية للناس كافة، ولذلك فقد حرص ﷺ منذ بداية دعوته على الاتصال بالقبائل أفراداً وجماعات،<sup>(٣)</sup> وعرض الدعوة عليهم.

وقد زاد هذه الأمر بعد تضييق قریش على الرسول ﷺ، فكان يدور على القبائل في المواسم يعرض عليهم الإسلام، ويطلب نصرته. وكان معه في معظم جولاته على القبائل صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ، وهو ﷺ عالم بالقبائل والأنساب.<sup>(٤)</sup>

وقد تفاوتت ردود القبائل عليه، وكانت النتيجة شيوع خبر الرسول ﷺ والرسالة في مختلف القبائل، قابل الرسول ﷺ قبل الهجرة أفواجاً كثيراً من مختلف القبائل ولم يبق حي من العرب إلا سمعوا بالرسول ﷺ ودعوته.<sup>(٥)</sup>

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، عشرة أبواب في الوفود، سماها بأسماء القبائل، وتضمنت ما يزيد على ثلاثين حديثاً، ج ١١٥/٥ - ١٢٣؛ وألّفت العديد من الكتب حول الوفود.

(٢) انظر: النووي شرح صحيح مسلم، ج ١/١٨١.

(٣) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، من هذا الكتاب؛

وانظر: الثعالبي؛ عبدالعزيز، معجز محمد رسول الله، (الفصل الأول: الرسالة المحمدية

إلى الأمم كافة)، ج ١/٢١، ط ٣ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

(٤) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج ٢/٣٨٧.

(٥) انظر عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، من هذا الكتاب.

وبعد الهجرة انتشرت أخبار الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين، وخصوصاً بعد معركة بدر، وتزايدت الأخبار بعد الحوادث المختلفة ومراحل الصراع المتعددة مع قريش في مكة ويهود في المدينة.

وصلح الحديبية تضمن: (أن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه)،<sup>(١)</sup> ومن ثمّ كان على القبائل القريبة من الأحداث اختيار أحد طرفي الصراع حليفاً لها، فدخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ، ودخل بنو بكر في عقد قريش، وكان اعتداء بنو بكر على خزاعة بمساعدة قريش علامة لنقض قريش عهدها مع الرسول ﷺ ما أدى لفتح مكة، والقضاء على سلطة المشركين فيها.

وبعد الفتح أصبح الأمر واضحاً أمام كافة قبائل العرب في أن السيادة الوحيدة في جزيرة العرب للإسلام ونبيه ﷺ.

فبدأت وفود القبائل تتكاثر في السنة التاسعة من الهجرة حتى سمي بعام الوفود،<sup>(٢)</sup> مع أن بعضاً منها وصل قبل ذلك العام، كما أن بعضها قدم مبكراً في السنة الخامسة من الهجرة، ثم قدم مرة أخرى سنة تسع من الهجرة.<sup>(٣)</sup> وكانت كل قبيلة تستعرض مكانتها وشرفها، حيث يخطب خطبائهم وتلقى القصائد من شعرائهم، وكان الرسول ﷺ يأمر أناساً من أصحابه بالرد عليهم الخطبة بالخطبة، والقصييدة بالقصييدة، فكانت أهداف الرسول ﷺ إعلاء كلمة الله والدعوة إليه وإلى دينه ونشر القيم

(١) انظر: صلح الحديبية، من هذا الكتاب.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٥٥٩.

(٣) انظر: محمد أبو شهبه، السيرة النبوية، ج ٢/٥٤٢.



والعدل، دون عصبية ولا فخر، ولذلك كانت نتائجها مذهلة وباهرة، سامية المضمون أمام الآخرين، عالية الهمة والمستوى، ما جعل وفود القبائل يقرون له ﷺ بذلك. وكان ﷺ يكرم الوفود ويجيزهم ويعلمهم ويأمر الصحابة بتعليمهم، كما كان ﷺ يعين عليهم عند مغادرتهم من يتدبر أحوالهم،<sup>(١)</sup> ويرتب زكواتهم يواسي فقراءهم من أغنيائهم ويكون أميراً عليهم ومعلماً لهم.

كما كان ﷺ يجيب على أسئلتهم المختلفة التي يرتبط كثير منها بواقع يعيشونه، أو طعام أو شراب يتناولونه، في مناطقهم أو قضايا محددة تقلقهم، وتخصهم دون غيرهم أحياناً.

وقد وقعت أثناء لقاءاتهم بالرسول ﷺ بعض الأحداث التي تنزلت فيها آيات من الكتاب، كما حصل مع وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات.<sup>(٢)</sup>

وقد ربط ابن هشام بين الوفود ونزول سورة النصر فقال: (أفواجاً يضربون إليه من كل وجه) يقول - تعالى - لنبيه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۗ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ۗ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۗ (٣)﴾ [النصر].<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، ج ١١٥/٥، وكتاب التفسير، سورة الحجرات، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾، ج ٤٦/٦؛ وانظر: وفد بني تميم، من هذا الكتاب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، ج ١١٥/٥، وكتاب التفسير، سورة الحجرات، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾، ج ٤٦/٦؛ وانظر: تفسير ابن كثير، ج ١٧٤٤/٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٦٠/٤.

### وافد دوس (الطفيل بن عمرو):<sup>(١)</sup>

دوس قبيلة يمنية تلتقي مع الأزدي في النسب، تعود إلى زهران بن كعب وغلب عليها حالياً اسم زهران،<sup>(٢)</sup> وموطنها جنوب الطائف فيما يعرف حالياً،<sup>(٣)</sup> بمنطقة الباحة، وكان لهم بها حصن مشهور، ولها مكانة بين قبائل العرب في حينها.<sup>(٤)</sup>

كانت قريش قبل هجرة رسول الله ﷺ حريصة على منع القادمين إلى مكة من السماع لرسول الله ﷺ. يروي الطفيل أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها: (فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق بين جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وإننا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمته ولا تسمع منه شيئاً. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرسُفاً<sup>(٥)</sup> فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه. قال فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ

(١) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، ج١٢٣/٥؛

انظر: ترجمته بتوسع عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣٤٤/١؛ ابن سعد، الطبقات، ج١٧٥/٤.

(٢) انظر: السمعاني، الأنساب، ج٣٦١/٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧٩.

(٣) انظر: (بتاريخ ١٤٣٢/٠٥/٠١ هـ [www.ar.wikiPedia.org](http://www.ar.wikiPedia.org)).

(٤) انظر: السمعاني، الأنساب، ج٣٦١/٥.

(٥) الكُرسُف: القطن (المعجم الوسيط، ص ٧٨٤).

قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقامت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعي بعض قوله. قال فسمعت كلاماً حسناً قال: فقلت في نفسي: واكُلْ أُمِّي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعي أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعي قولك، فسمعته قولاً حسناً، فَأَعْرَضُ عَلَيَّ أَمْرُكَ.

قال فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مُطَاعٌ في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: "اللهم اجعل له آية".

قال فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعي على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثَلَّةٌ - أي عقوبة - وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحول فوق في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية، قال حتى جئتهم فأصبحت فيهم، قال فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني، قال: ولم يا بني؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ

قال: أي بني فديني دينك؟ قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علّمتُ. قال: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

قال: ثم أتتني صاحبتني، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت لِمَ؟ بأبي أنت وأمي، قال: قلت: قد فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد ﷺ؟ قالت: فديني دينك، قال: قلت: فاذهبي إلى حنا ذي الشرى - قال ابن هشام: ويقال - حمى ذي الشرى - فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمى حمى حموه له، وفيه وشل من ماء يهبط من جبل. قال: فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً، قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فاذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت: له يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادعُ الله عليهم فقال: "اللهم اهدِ دوساً" ارجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم. قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر. حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين.<sup>(١)</sup>

كان إسلام الطفيل كما هو واضح في مكة، حيث عاد بعدها داعية في قومه، وأسلم على يديه قلة واستعصت عليه القبيلة، فجاء مرة أخرى إلى

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٣٨٥.

الرسول ﷺ في المدينة وشرح له الوضع، وطلب منه أن يدعو على القوم إلا أنه دعا لهم كما جاء في رواية البخاري، حيث قال الطفيل: ((إن دوساً قد هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم فقال: اللهم اهد دوساً وأتني بهم)).<sup>(١)</sup> وقد استجيبت دعوة رسول الله ﷺ فأسلمت دوس وجاء وفدها مع الطفيل بن عمرو ومعه سبعون أو ثمانون رجلاً من القوم، وقد كان الطفيل مع رسول الله ﷺ حين فتح مكة وبعثه رسول الله ﷺ لتحطيم بعض الأصنام في نواحي دوس،<sup>(٢)</sup> ثم كان مع رسول الله ﷺ حتى توفى ﷺ فشارك في القضاء على المرتدين في معارك متعددة، حتى استشهد ﷺ في موقعة اليمامة في السنة الحادية عشر من الهجرة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.<sup>(٣)</sup>

وقد عبد القيس؛<sup>(٤)</sup>

عبد القيس قبيلة من ربيعة بن نزار،<sup>(٥)</sup> مواطنهم في نواحي البحرين منهم حاضرة وبادية، كانت صلتهم بالإسلام قديمة، حيث قدم وفد منهم قبل السنة الخامسة من الهجرة، وفيهم الأشج بن عبد القيس أحد حكمائهم، وقد أثنى الرسول ﷺ عليه بقوله: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة)).<sup>(٦)</sup>

وقد كان قدوم الوفد الأول في وقت مبكر من الصراع بين قريش والرسول ﷺ، فقد ورد عند البخاري في صحيحه باب سماه (باب وفد

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، ج ١٢٣/٥.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ٢ / ١٥٧: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ / ٣٨٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢ / ٢٥٨؛ وانظر: ترجمته في الإصابة لابن حجر، ج ٢ / ٢٢٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج ٥ / ١١٦.

(٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦ / ٢٠٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٥.

(٦) هو: عبد الله بن عوف، وقيل المنذر بن عوف؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٢ / ٣٥٦.

عبدالقيس)،<sup>(١)</sup> أورد فيه حديثاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى، فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإننا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم، حدثنا بجمال من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به من وراءنا قال: ((أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله، هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن أربع ما انتبذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت)).<sup>(٢)</sup> وكان هذا الوفد قد جاء بإسلام قوم من بني عبدالقيس.<sup>(٣)</sup>

كان فيهم الجارود بن عمرو، الذي رغب في الإسلام وكان على النصرانية، فقال: إني كنت على دين وإني تارك ديني لديك أفتضمن لي؟ فقال رسول الله ﷺ: ((نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه)).<sup>(٤)</sup> وقد حسن إسلام هذا الوفد من عبدالقيس ونقلوا الإسلام إلى (جواثا) في البحرين وما حولها، ولذلك ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجواثي يعني قرية في البحرين)).<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبدالقيس، ج ١١٦/٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبدالقيس، ج ١١٦/٥؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٤. (وهذه أنواع من الأواني ينتبذ فيها الخمر).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبدالقيس، ج ١١٦/٥؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٣.

(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٢١٦/١، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٤.

(٥) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبدالقيس، ج ١١٦/٥. (وما يزال مسجد جواثا بآثاره القديمة معروف إلى اليوم في الإحساء في ناحية من القطيف المدينة المشهورة حالياً وقد وقفت عليه بنفسه).

وقبل مغادرتهم إلى البحرين طلبوا من الرسول ﷺ الحملان، فاعتذر إليهم ((ما عندي ما أحملكم عليه))،<sup>(١)</sup> فقالوا: يا رسول الله: فإن بيننا وبين بلادنا ضوالم من ضوالم الناس، أفنتبلغ بها إلى بلادنا؟ فنهاهم الرسول ﷺ عنها. وقال: ((إنما هي حرق النار))،<sup>(٢)</sup> وهكذا علمهم الرسول ﷺ حرمة أموال الناس، فرغم حاجتهم وكون هذه الضوالم في الصحراء لا أحد يعلم مالها، ومع ذلك نهاهم عنها. وذكر أن الرسول ﷺ أتى عليهم قبل وصولهم فقال: ((سيطلع عليكم من هاهنا وقد هم خير أهل المشرق))،<sup>(٣)</sup> فقام عمر ﷺ فتوجه نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكباً فبشرهم.

وهكذا رجع القوم بأحسن دين وأحسن أخلاق وأمانة. وحين حدثت الردة في المنطقة وفي قومهم بعد وفاة الرسول ﷺ بتأثير المناذرة الذين سعوا إلى ردتهم وعودتهم إلى النصرانية، قام فيهم الجارود فخطب فيهم ودعاهم إلى الإسلام، وأعلن ثباته عليه وأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه يكفر من لم يشهد بذلك.<sup>(٤)</sup>

#### وفد ثقيف:

ثقيف تعود إلى هوازن من مضر.<sup>(٥)</sup> كانت تسكن الطائف، أقرب المدن إلى مكة، وأكثرها علاقة بها، والطائف طيبة الهواء غزيرة الإنتاج الزراعي، ذات أودية زراعية منتجة ومشهورة، كان تجار مكة يتخذون فيها

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٧٥.

(٢) انظر: الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب الأشربة، باب ما جاء في النهي عن الشرب قائماً، ج٥/٣٠١، ح برقم: ١٨٨١؛ وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، باب اللقطة، ج٤/١٦٧؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦٠٦.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية ج١/٩٠.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٧٥.

(٥) السمعاني، الأنساب، ج٣/١٣٤؛ وانظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٦.

المزارع والمنتزهات، يفرون إليها من حرمكة في فصل الصيف.<sup>(١)</sup>

وكانت هوازن تجاور ثقيفاً في الطائف وما حولها إلا أن السيطرة على داخل الطائف كانت لثقيف، فكانت ثقيف حاضرة الطائف، وهوازن باديتها، ثقيف على الشُّرك يعبدون اللات الصنم العربي المشهور،<sup>(٢)</sup> الذي نزل فيه قوله - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم]. وقد شاركت ثقيف ضد الرسول ﷺ في غزوة حنين مع هوازن وغيرها من القبائل،<sup>(٣)</sup> وانتهت المعركة بانتصار المسلمين عليهم بعد اضطراب في المعركة، وهو ما أشار إليه قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم ترؤها وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة].

ثم سار ﷺ إلى الطائف في شوال سنة ثمان من الهجرة، بعد حنين، وحاصرها قرابة العشرين يوماً فاستعصت عليه، رغم استعماله للدبابة والمنجنيق، وساهمت أسوار الطائف في منعها.

وبعد رؤيا رآها ﷺ أدرك أن الطائف لن تفتح الآن فغادرها عائداً إلى مكة.<sup>(٤)</sup>

وعند الجعرانة كان ﷺ قد جمع الغنائم فيها، أتاه وفد من هوازن وهم

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١١/٤؛ والبلادي، معجم معالم الحجاز، ج ٢٢٤/٥.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج ٨٨٦/٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١١/٤.

(٣) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩١.

(٤) انظر: غزوة حنين وحصار الطائف، من هذا الكتاب.



بادية الطائف ولهم أسرى من غزوة حنين وهم ذليلون، مستشفعين برسول الله ﷺ طالبين أن يرد أموالهم وسبائهم، فخيرهم ﷺ بين الأموال أو السبايا فاختاروا السبايا، فأطلق الرسول ﷺ ما له ولآله من السبايا، فتأسى بهم المسلمون وأعتقوا سبي هوازن، وكان زعيمهم مالك بن عوف فاراً عند ثقيف في الطائف فأبلغ ﷺ قومه: أنه إن جاء مسلماً تائباً رد عليه ماله وأهله ومائة من الإبل، فسمع مالك بذلك، فجاء إلى الرسول ﷺ تائباً مادحاً النبي ﷺ، فاستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف والتضييق عليهم في الطائف، حيث كانت ملجأً للفارين بعد فتح مكة، فأخذ يضيق على ثقيف ويغزوها، فضاقت بهم الحال، وفي الوقت نفسه قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ مسلماً، وكان محبوباً في قومه، فخرج إليهم في الطائف يدعوهم إلى الإسلام (فلما أشرف على عليّة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله، فقيل لعروة ما ترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفوني فيهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: "إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه")<sup>(١)</sup>.

ثم أن ثقيفاً بعد هذه الحادثة بأشهر اقتتعت أن لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ، فأعدوا وفداً يترأسه عبد ياليل بن عمرو بن عمير (فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة)<sup>(٢)</sup> ألفوا بها المغيرة بن شعبة، يرعى في نوبته

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٣٨: ابن حجر، الإصابة، ج ٢/٤٧٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٣٩، (وقناة من أكبر أودية المدينة وأخطرها تحيط به المزارع، عليه عدد من السدود ويقع بالقرب من قبور شهداء أحد ويرفده عدد من الشعاب النازلة من الجبال، عبدالعزيز كعكي، معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ج ٢م٢، ص ٦٣٤).

ركاب أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت رعيتهما نُوبًا على أصحابه ﷺ ، فلما رأهم ترك الركاب عند الثقفيين وأخذ يشدد ، ليبشر رسول الله ﷺ بقدمهم عليه ، فلقية أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً ، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> فأخبره بقدمهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يُحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يُطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ، وهي (اللات) لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً يُسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٣٩.

ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ((أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة)).<sup>(١)</sup>

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنًا، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن)،<sup>(٢)</sup> وقد بقى أميراً عليها بقية عهد النبي ﷺ، ثم طيلة خلافة الصديق بعد ذلك.<sup>(٣)</sup>

وقد تعلم الوفد شيئاً من القرآن وأمور الدين، ووافق الرسول ﷺ على أن يتولى هدم اللات غيرهم، على أن لا تقر لحظة واحدة، وبعث معهم وفداً مهمته هدم الصنم في حماية من قومهم حتى يقوم بهدمها، فبكت على الصنم نساء من ثقيف،<sup>(٤)</sup> ثم انتشر الإسلام بين ثقيف وأهل الطائف الحاضرة، فكان أهلها ممن ثبتوا على الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يرتدوا.<sup>(٥)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٤٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٣٩، ٥٤٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٧٤.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٤٢.

(٥) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥.

## وفد بني سعد بن بكر:

بنو سعد بن بكر هم فرع من هوازن المضرية،<sup>(١)</sup> ومواطنهم جنوب الطائف، استرضعَ فيهم الرسول ﷺ، وقد أورد ابن هشام قصة وفادته ممثلاً قومه حيث قال: بعثت بنو سعد بن بكر (ضمام بن ثعلبة) وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعييره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه. وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: ((أيكم ابن عبدالمطلب؟ قال: فقال: رسول الله ﷺ: أنا ابن عبدالمطلب. قال أمحمد؟ قال: نعم، قال: يا ابن عبدالمطلب، إني سائلك ومغلظٌ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك، قال: لا أجد في نفسي، فسئل عما بدا لك، قال: أشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: "اللهم نعم"، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: "اللهم نعم"، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: "اللهم نعم"، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة، الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض واجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص،

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٥.

ثم انصرف إلى بعيه راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: "إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة".<sup>(١)</sup>

قال: فأتى بعيه فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بس اللات والعزى قالوا: مه يا ضمام اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استتقذكم به مما كنتم فيه، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال: يقول عبدالله بن عباس ؓ: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة.<sup>(٢)</sup>

وهكذا كان هذا الأعرابي واضحاً في أسئلته، مصداقاً لما دعاه إليه النبي ﷺ حاملاً الخير لقومه، مباركاً في دعوته لهم، عرفوه وصدقوه فصدقوا ما حمله من إيمان، فكان كما قال ابن عباس ؓ: (ما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة).<sup>(٣)</sup>

**وفد بني تميم:**<sup>(٤)</sup>

إحدى القبائل العدنانية، ينتسبون إلى مُر بن أد، وهي من أكبر قبائل

(١) ابن هاشم، السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٤؛

(و)العقيصة مجموعة من الشعر تربط بتداخل وتجعل كرمانة من خلف الرأس؛ المعجم الوسيط، ص ٦١٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٤/٥٧٣، ٥٧٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٤/٥٧٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، ج ٥/١١٥.

العرب،<sup>(١)</sup> مواطنهم في البحرين وشرقي نجد ونواحي الأحساء.<sup>(٢)</sup>

وقد جاء وفدهم في السنة التاسعة من الهجرة بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك، وقد ذكر أن لهم وافداً أو أفراداً مثلوا قومهم قبل هذا العام. وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماها (باب وفد بني تميم) أورد فيه عدة أحاديث.<sup>(٣)</sup>

قدم وفدهم على رسول الله ﷺ في المدينة بعد عودته من غزوة تبوك، وكان وفدهم من أشهر وفود القبائل على رسول الله ﷺ في الأحداث، وفيهم زعماء مشهورون على مستوى القبائل العربية، منهم الأقرع بن حابس، والزبيرقان بن بدر، والحباب بن يزيد، وعطارد بن حاجب، وعيينة بن حصن وغيرهم.<sup>(٤)</sup>

ولما وصل الوفد إلى المدينة كان ﷺ في حجرات أمهات المؤمنين، فدخلوا المسجد وأخذوا ينادون رسول الله ﷺ: (أَنْ إِخْرُجْ عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ فَإِنْ مَدَحْنَا زَيْنَ وَذَمَّمَا شَيْنَ)،<sup>(٥)</sup> فتأذى رسول الله ﷺ من قولهم ذلك وقال: ((ذاك الله ﷻ))،<sup>(٦)</sup> وفيهم نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۗ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۗ﴾ [الحجرات].

وبعد خروج الرسول ﷺ طلبوا أن يأذن لخطيبهم عطارد بن حاجب، فألقى خطبة جاء فيها: الحمد لله الذي له الفضل والمن علينا وهو أهله الذي

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢٠٥/١٦؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٠٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٥/٤؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٨١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، ج ١١٥/٥-١١٦.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٦٠/٤.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٥٦٢.

(٦) المصدر السابق.

جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها بالمعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، واستمر في مدح بني تميم حتى فرغ من خطبته.<sup>(١)</sup>

فلما فرغ أمر الرسول ﷺ ثابت بن قيس بن شماس بإجابته فقام ﷺ خطيباً وكان مما قال: الحمد لله الذي السموات والأرض من خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من علمه ... وواصل خطبته التي كانت مليئة بالإيمان والصدق والدعوة إلى الله تعالى والثناء على الله ورسوله ﷺ.<sup>(٢)</sup>

بعد ذلك قام شاعر تميم (الزيرقان بن بدر) وألقى قصيدة أمام رسول الله ﷺ، كانت مركزة على الفخر بقومه بني تميم ومنها:

نحن الكرام فلا حيُّ يعادلنا

منا الملوك وفينا تُصب البيع<sup>(٣)</sup>

فدعا الرسول ﷺ حسان بن ثابت أن يجيبه بعد فراغه، فقال حسان ﷺ قصيدة عصماء منها:

إن الذوائب من فـهـرٍ وإخوتهم

قد بينوا سنة للناس تُتبعُ

يرضى بها كلُّ من كانت سريرته

تقوى الإله وكلَّ الخيرِ يصُنُّ<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: نص الخطبة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٢.

(٢) انظر: نص الخطبة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٢.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج٤/٥٦٤. (البيعة تأتي بمعنى التولية وتنصيب الأمراء والملوك؛ المعجم الوسيط، ص ٧٩).

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/١٧٥، ١٧٦.

فكانت معاني حسان تحمل معاني الإسلام السامية، والفخر بها وبرسول الله ﷺ، وقيل إنه تبودلت قصائد أخرى بين الزبيرقان وحسان ﷺ، فلما فرغوا قال الأقرع بن حابس (وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا).<sup>(١)</sup>

وقد أسلم القوم وتعلموا من رسول الله ﷺ، وأمر بعض الصحابة بتعليمهم، وكانوا يسألون رسول الله ﷺ.

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال: ((أتى نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا، فرؤي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذا لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله)).<sup>(٢)</sup>

وحيثما أراد الوفد العودة إلى ديارهم أجازهم الرسول ﷺ، وكان لأبي بكر ولعمر رأيان مختلفان حول تعيين أمير على القوم فقد روى البخاري عن عبدالله بن الزبير ﷺ: (قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافاً فتमारيا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك قوله - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ [الحجرات] حتى انقضت).<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٦٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج١١٥/٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير "سورة الحجرات"، باب (ولا ترفعوا)، ج٤٦/٦؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج٢/١٧٤٣.



## وفد بني عامر:

بنو عامر بن صعصعة من قيس عيلان من مضر.<sup>(١)</sup> يقيمون في نواحي نجد القريبة من المدينة، وكان الرسول ﷺ قد بعث أناساً من أصحابه لدعوتهم، فقتلوا في حادثة بئر معونة المشهورة.<sup>(٢)</sup>

وقد قدم وفد من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل، وهو ممن قاتل أصحاب النبي ﷺ في بئر معونة، وكان أعرابياً قاسياً، فطلب منه النبي أن يسلم فقال: ما تجعل لي إن أسلمت فقال ﷺ: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فقال للنبي ﷺ: اجعل لي الأمر من بعدك فقال ﷺ: ((ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر،<sup>(٣)</sup> فقال ﷺ: ((لا))، قال عامر: لا، ثم هدد الرسول ﷺ قائلاً: أما لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً، فقال ﷺ: ((يمنعك الله اللهم اكفني عامر بن الطفيل))، فأصيب بغدة في عنقه، كان يصيح منها ومرض في بيت سلولية، ثم كره الموت في بيتها فركب فرسه خارجاً وهو يقول: أغدة كغدة الإبل، وموت في بيت سلولية وسار عليه حتى مات)).<sup>(٤)</sup>

وكان معه في الوفد أربد بن قيس، وهما نيويان اغتيال النبي ﷺ، وعاد إلى قومه، وكان سيئ الأدب مع الله حتى أنه قال: لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل، فخرج بعد ذلك بيوم أو يومين فأصابته صاعقة فأحرقته وقيل: نزل فيه قول الله - تعالى - ﴿وَيَسِّحُ

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج ٢/٢٧١.

(٢) انظر: حادثة بئر معونة، من هذا الكتاب.

(٣) الوبر، يقصد به البادية نسبة إلى رعاة الإبل وهي ذات الوبر، والمدر هم أهل القرى.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٦٩: ابن كثير، تفسيره، ج ١/١٠٠٨.

الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسَلُ الصَّوْعُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ  
يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ [الرعد: (١)]

وفد بني حنيفة: (٢)

بنو حنيفة قبيلة تنسب إلى لحيم بن صعيب من بني بكر بن وائل. (٣)

كانت مواطن بني حنيفة في اليمامة في الوادي المشهور باسمهم وما يتفرع منه، وكانت مناطق زراعية مشهورة بإنتاج القمح والتمور وغيرها يصل إنتاجها إلى مكة، (٤) وبالتالي وجد بينها وبين قريش شيء من التبادل التجاري. وقبل فتح مكة أسر أحد زعمائهم وهو ثمامة بن أثال، روى للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة فقال: عندي خيراً يا محمد: إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تُنعم تنعم على شاكِرٍ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تُنعم تنعم على شاكِرٍ، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١ / ١٠٠٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٥٦٨.

(٢) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج ٥ / ١١٧.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠٩.

(٤) انظر: عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، ط ٢ - الرياض: ١٤٠٠ هـ.

الوجه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صَبَوْتُ، قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. (١)

وقد خص البخاري شخص ثمامة بن أثال بالمشاركة في عنوان باب ("وفد بني حنيفة بعد إسلامه، وكيف رأى ثمامة صدق رسول الله ورحمته وحسن معاملته" لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليّ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إليّ). (٢)

وبعد إسلامه خرج إلى مكة معتمراً. وقد علمت قريش بإسلامه فأخذوه وأذوه ثم خلوا سبيله، خشية أن يؤثر ذلك في استيرادهم للطعام من اليمامة، وبالفعل لما وصل إلى اليمامة منعهم أن يحملوا الطعام إلى مكة ويجلبوا عليها شيئاً، فتضرر المكّيون، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ في ذلك مذكرين إياه بصلته للرحم، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين شراء الطعام من اليمامة. (٣)

وكان ذلك جزءاً من الحصار الاقتصادي لمكة، وكان لإسلام ثمامة من بني حنيفة دور في وصول الدعوة إلى اليمامة مواطن بني حنيفة، وتأثر أناس منهم وسماعهم بالدعوة ومضمونها.

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج ١١٧/٥ - ١١٨.

(٢) البخاري، ج ١١٧/٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٣٩/٤.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٣٩/٤.

وفي السنة التاسعة من الهجرة كان ضمن الوفود التي قدمت على رسول الله وفد من بني حنيفة، منهم أناس<sup>(١)</sup> من أشرافهم، معهم مسيلمة الكذاب، قبل ادّعاءه النبوة وفي بداية تفكيره بذلك.

وقد أنزلهم الرسول ﷺ في دار (رملة بنت الحارث)، وكانت معدةً لضيوف رسول الله ﷺ، فجاءهم رسول الله ﷺ وفي يده جريدة من نخل، ومعه بعض الصحابة فيهم (ثابت بن قيس بن شماس)، فوقف عليه رسول الله ﷺ فكلمه،<sup>(٢)</sup> ولعل رواية البخاري الأخرى في تفاصيل الحادثة أبلغ من أن تشرح، فقد روى ابن عباس ﷺ قال: (قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدوا أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني، ثم انصرف ﷺ عنه. قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك لأراك الذي أريت فيه ما أريت).<sup>(٣)</sup>

وورد في الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ كما روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيَتْ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَ فِي كَفِي سَوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَبَّرَا عَلَيَّ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ أَنْفَخَهُمَا

(١) انظر: رواية البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج ١١٨/٥.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة الأسود العنسي، ج ١١٩/٥.

(٣) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج ١١٨/٥.

فنفختهما فذهبا فأولتُهُمَا الكذَّابِينَ اللذِينَ أَنَا بَيْنَهُمَا ، صاحب صنعاء  
وصاحب اليمامة)).<sup>(١)</sup>

لقد كان رد رسول الله حاسماً وقوياً أمام ذلك الكذاب.

اشترك بنو حنيفة في العناد مع مسيلمة حين ادعى النبوة فتبعه بنو حنيفة  
بعد عودته إلى اليمامة عصبية حيث قال أحدهم: (أشهد أنك كاذب،  
ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر).<sup>(٢)</sup>

وقد كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ (من مسيلمة رسول الله إلى محمد  
رسول الله سلام عليك فإنني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف  
الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قریشاً قوم يعتدون).<sup>(٣)</sup>

ورد عليه رسول الله ﷺ ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله  
إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها  
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)). وقد كانت مكاتبتة للنبي ﷺ في  
السنة العاشرة من الهجرة.<sup>(٤)</sup>

وقد قويت شوكة مسيلمة ومن معه، وهدد المسلمين في المدينة بعد وفاة  
رسول الله ﷺ ، وكان من أوائل أعمال أبي بكر الصديق ﷺ القضاء على  
المرتدين، فأرسل ثلاثة جيوش لمحاربة مسيلمة، الذي ازدادت قوته لفترة  
مؤقتة بعد انضمام قبائل أخرى إليه منها بنو تميم، إلى أن تمكن المسلمون  
من القضاء على رده في معركة اليمامة المشهورة التي استشهد فيها عدد

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج ٥/١١٨.

(٢) الطبري، تاريخه، حوادث السنة الحادية عشرة، ج ٣/٥١٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٣/٢٤٨.

(٤) الطبري، تاريخه، ج ٣/٢٤٨.

كبير من أصحاب رسول الله ﷺ تجاوز الثلاثمائة فيهم عدد كبير من الأنصار وكان فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر ﷺ وأبو دجانة وغيرهم.<sup>(١)</sup>

### وفود اليمن:

اليمن تشمل منطقة واسعة. وفي العصر النبوي وجد بها قبائل شتى. وكانت علاقة تلك المناطق بما فيها من قبائل وأفراد ومدن بالرسول ﷺ وبالإسلام في وقت مبكر من مبعثه ﷺ وقبل هجرته إلى المدينة المنورة، وكانت للقبيلة الواحدة أو المدينة الواحدة وفود متفرقة، وأحداث ذات صلة بالنبي ﷺ متعددة مما يصعب وضعها في إطار واحد.

وكان لإرسال النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ وبعض أمرائه إلى اليمن دور في قدوم مزيد من الوفود في أواخر حياة النبي ﷺ.<sup>(٢)</sup> ومن أهم تلك الوفود:

### وفد الأشعريين:

ينتسبون إلى أشعر بن زيد بن كهلان بن سبأ وموطنهم باليمن.<sup>(٣)</sup>

وحين أقبل وفداهم وفيهم أبو موسى الأشعري ﷺ قال ﷺ: ((جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً والإيمان يمان، والفقہ يمان، والحكمة يمانية)).<sup>(٤)</sup>

وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: ((أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم

(١) راجع تفصيلات المعركة في الفتوح الإسلامية عبر العصور، عبدالعزيز العمري، ص ١٠٣؛ والطبري، تاريخه، ج ٣/٢٥٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٢؛ مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٧٦.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج ١/٥٢؛ انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦١٩؛ ورواه البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج ٥/١٢٢.

خيار من في الأرض)).<sup>(١)</sup>

كان فيهم إيمان وصدق وقبول لقول وأمر رسول الله ﷺ دون تردد، وكان وصولهم مع وفد بني تميم في وقت واحد. عن عمران بن حصين ﷺ قال: (أتى نضر من بني تميم النبي ﷺ فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا يا رسول الله ﷺ بشرتنا فأعطنا؟ فرؤي ذلك في وجهه ﷺ، فجاء نضر من اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قبلنا يا رسول الله).<sup>(٢)</sup>

وقد ورد أنهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ ويسألونه عن أشياء ومنها سؤال عن بدء الخلق فكان مما قاله النبي ﷺ: ((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)).<sup>(٣)</sup>

ويتضح من الروايات سَبَقُ إسلامهم، قبل وصول وفدهم إلى النبي ﷺ، بل مشاركة بعض منهم في الهجرة إلى الحبشة وفي فتح خيبر.<sup>(٤)</sup>

**واقف مراد (فروة بن مسيك):**

مراد قبيلة مذحجيه من كهلان من سبأ الحميرية،<sup>(٥)</sup> وتوطن اليمن وتجاورها همدان، وتعد تابعة لملوك كندة في المنطقة.<sup>(٦)</sup>

وقد قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة

(١) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج٣/٦١٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٥/١٢٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله - تعالى - : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ﴾، ج٤/٧٣.

(٤) انظر: فتح خيبر، من هذا الكتاب.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٦) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨١.

مسلماً في السنة التاسعة من الهجرة، وتحدث مع رسول الله ﷺ عن مصاب قومه في معاركهم مع همدان، فقال له ﷺ: ((أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً)).<sup>(١)</sup>

واستعمله الرسول ﷺ على عدد من القبائل المجاورة، منها زبيد ومُرَاد ومذحج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات، فكان يقوم بهذه المهمة في بلادهم حتى توفي رسول الله ﷺ.<sup>(٢)</sup> وقد حدثت ردة في زبيد بعد وفاة الرسول ﷺ فأذوا فروة بن مسيك المرادي وسبوه بشعرهم،<sup>(٣)</sup> ولكن القوم عادوا إلى الإسلام بعد جهاد المرتدين في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وحسن إسلامهم وشاركوا في الفتوح المختلفة للشام والعراق وغيرها.

#### وفد همدان:

همدان قبيلة يمنية تعود إلى كهلان بن سبأ.<sup>(٤)</sup> موطنها اليمن في نواحي السكون<sup>(٥)</sup> وحاشد، وتجاور الأشعريين.<sup>(٦)</sup> وقد وصل بعضهم إلى مكة، واتصلوا بالرسول ﷺ قبل بيعة العقبة الأولى وسمعوا منه، كغيرهم أثناء عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل قبل الهجرة،<sup>(٧)</sup> حتى زادت معرفتهم بالإسلام وتراكمت.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨٣.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨٣.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨١.

(٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩٢.

(٥) السكون والسكاسك مخلاف في اليمن ينسب إلى قبيلة بنفس الاسم، ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ج ٣/٢٢٩.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٠١، ١٠٥.

(٧) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، من هذا الكتاب.



فقدم وفداهم إلى المدينة المنورة في السنة التاسعة من الهجرة، بعد عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك،<sup>(١)</sup> وفيه عدد من زعمائهم، ولهم ملابس خاصة ومراكب مميزة: (عليهم مقطعات الحبرّات، والعمائم العدنية برحال الميس، على المهريّة والأرحبية).<sup>(٢)</sup>

والقوم يرتجزون بأبيات شعرية، وقد لفت مظهرهم ونشيدهم أنظار أهل المدينة، فجاءوا مقرّين لرسول الله ﷺ، فقام مالك بن نمط زعيمهم فقال: (يا رسول الله ﷺ نصية<sup>(٣)</sup> من همدان من كل حاضرٍ وبادٍ أتوك على قُلُوبِ نواجٍ، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام شاكر، أهل السود والقدود، أجاابوا دعوة الرسول، وفارقوا الإلهات والأنصاب، عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع وما جرى اليعفور بصلع).<sup>(٤)</sup>

وقد كتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً في حمى مناطقهم جاء منه: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب، وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علاقتها ويرعون عافيتها، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدتهم المهاجرون والأنصار)).<sup>(٥)</sup>

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١/٣٤١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٧، ٥٩٨. (ورحال الميس رحال مصنوعة من خشب الميس، والمهريّة والأرحبية: إبل تنسب إلى قبيلة مهرة باليمن وقبيلة أرحب؛ ابن هشام، ج ٤/٥٩٧، هامش رقم ٣ و ٤ و ٥).

(٣) النصية الخيار من القوم.

(٤) اليعفور: ولد الطيبية واسم لمكان. وصلع: اسم موضع، والصلع: الأرض التي لا نبات فيها مثل الأرض الصلعاء. والنص عن ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٨، وانظر: هامش ٧، ٨.

(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٨.

## وفد كندة:

كندة قبيلة يمنية مشهورة ترجع إلى كهلان بن سبأ.<sup>(١)</sup> وموطنها الأصلي في اليمن نواحي السكاسك والسكون، وتمتد إلى مناطق شتى في بلاد العرب، وفيها سلطة وملوك تصل إلى أطراف الشام. وقد وصل الإسلام إليهم في اليمن وأسلموا قبل وصولهم إلى المدينة، كما يظهر من بعض النصوص، وقد قدم وفدهم فيه ثمانون رجلاً، عليهم الأشعث بن قيس الكندي من كندة اليمن الأصلية، (فدخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده وقد رجّلوا جُممهم وتكحلوا وعليهم جبب الحبرة، وقد كفتوها<sup>(٢)</sup> بالحرير، فدخلوا على رسول الله ﷺ فقال: ((ألم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم))، قال: فشقوه منها فألقوه)).<sup>(٣)</sup>

وقد حصل تردد من الأشعث بن قيس بعد وفاة النبي ﷺ، إلا أنه تاب، ولزم الإسلام، وتزوج أخت أبي بكر الصديق ﷺ أم فروة، وكان له بلاء حسن في فتوحات الإسلام زمن الصديق وعمر ﷺ.<sup>(٤)</sup>

## وفد الأزد (جرش):

الأزد هم أزد شنوءة، ويعودون إلى كهلان بن سبأ،<sup>(٥)</sup> ومواطنهم نواحي جُرش من أرض اليمن.<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: السمعاني، الأنساب، ج ١٠/٤٨٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٥.

(٢) الكفت: هو التكفيف للقماش؛ انظر: حاشية ابن هشام في السيرة، رقم: ٥، ج ٤/٥٨٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥/٥٨٥.

(٤) انظر: ترجمته عند: ابن حجر، الإصابة، ج ١/٥١؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٦/٢٢؛

والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٣٧.

(٥) السمعاني، الأنساب، ج ١/١٩٨.

(٦) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/١١.

وقد قدم صرد بن عبدالله الأزدي في وفد من قومه على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة التاسعة من الهجرة،<sup>(١)</sup> فأسلم ومن معه وحسن إسلامهم، فأمره الرسول ﷺ ومن أسلم معه بجهاد المشركين في نواحيهم: (فخرج صرد بن عبدالله يسير بأمر الرسول ﷺ، حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة معلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوها معهم، حيث سمعوا بسير المسلمين إليهم فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر، ظن أهل جرش أنه إنما ولي عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأي بلاد الله شكر؟ فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر، وكذلك يسميه أهل جرش، فقال إنه ليس بكشر ولكنه شكر، قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال إن بُدِنَ الله لتتحرك عنده الآن، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: اللهم ارفع عنهم فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبدالله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر).<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨٧، ٥٨٨.

لقد أثرت هذه الحادثة على أهل جُرش، فأعدوا وفداً خاصاً قدم على رسول الله ﷺ في المدينة وقابلوه وأعلنوا إسلامهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ وحمى لهم حمى لقريتهم خاصة يُمنع منه الآخرون.<sup>(١)</sup>

**وافد حضرموت (وائل بن حجر):**

حضرموت مخلاف معروف شرق اليمن شمال عدن وجنوب الأحقاف (الربع الخالي).<sup>(٢)</sup>

وتشتهر بمناطقها الحضرية وقبائلها المختلفة، وإنتاجها الزراعي والحيواني. وكان يحكمها أمراء يعرفون بالأقيال يشبهون الملوك، كانوا موضع احترام العرب، وخصوصاً قبائل اليمن المجاورة لهم.<sup>(٣)</sup>

وقد وصلت أخبار الإسلام إلى المنطقة بطرق مختلفة، وفي السنة التاسعة من الهجرة<sup>(٤)</sup> وقد من المنطقة وائل بن حجر أحد أقيالهم، وكان أبوه من ملوكهم، وقد بشر الرسول ﷺ بقدمه قبل أن يصل إلى المدينة فقال: ((يأتيكم بقية أبناء الملوك)).<sup>(٥)</sup> وحين وصوله أكرمه الرسول ﷺ ورحب به وبسط له رداءه ودعا له ولولده: ((اللهم بارك على وائل وولده وولد ولده)).<sup>(٦)</sup> واستعمله الرسول ﷺ على أقيال حضرموت وذكر عدد من المحدثين أنه أقطعه أرضاً هناك.<sup>(٧)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٥٨٨؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٥٥.

(٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/٢٧١.

(٣) انظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٥٧.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨٨.

(٥) انظر: ابن شيبه، تاريخ المدينة، ج٢/٢٧٩.

(٦) انظر: تخريجه عند مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٥٨.

(٧) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/١٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/٧٩؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٦٢٨.

## وفد الحارث بن كعب:

بنو الحارث بن كعب قبائل متعددة تعود في أصلها إلى كهلان بن سبأ.<sup>(١)</sup>  
ومواطنهم نواحي نجران.<sup>(٢)</sup>

عرفوا بين العرب بالشدة والقوة، وسيطرتهم على كثير من نواحي نجران وما جاورها. وقد بعث إليهم رسول الله ﷺ في أوائل السنة العاشرة من الهجرة خالد بن الوليد في جيش من المسلمين، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام، ويقبل منهم إن أسلموا ولا يقاتلهم، فوصل خالد إلى مناطقهم وبث الركبان في كل اتجاه يدعون بني الحارث إلى الإسلام مبلغين إياهم: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس،<sup>(٣)</sup> فبقي فيهم خالد ومن معه من جند الصحابة يعلمهم الإسلام، ويقرئهم كتاب الله، ويعلمهم سنته ودينه.

وفرغ خالد بن الوليد ومن معه ﷺ بذلك،<sup>(٤)</sup> وكفى الله المؤمنين القتال وكتب خالد ﷺ إلى رسول الله ﷺ وكان مما جاء في كتاب خالد: (أسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عن ما نهاهم عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة نبيه ﷺ حتى يكتب إلي رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته). وقد رد عليه الرسول ﷺ وطلب منه أن يُقبل ومعه وفد منهم،<sup>(٥)</sup> فأقبل خالد إلى

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٣؛ وانظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٥.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٣.

(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٣.

المدينة ومعه وفد منهم فيه عدد من زعمائهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرأهم، قال: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند قيل: يا رسول الله: هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، (فلما وقفوا على رسول الله سلموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله، قال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زجروا استقدموا، فسكتوا فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الثانية فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبدالمدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرار، فقال رسول الله ﷺ: لو أن خالدًا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم، فقال يزيد ابن عبدالمدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا، قال: فمن حمدتم؟ قالوا: حمدنا الله ﷻ الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم، ثم قال: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحدًا. قال بلى قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدًا بظلم. قال صدقتم، وأمر عليهم قيس بن الحصين).<sup>(١)</sup>

وبعد أن عاد الوفد إلى مواطنهم بعث إليهم رسول الله ﷺ عمرو بن حزم معلمًا ومفقهًا لهم وأميرًا على الصدقات فيهم وبعث معه كتابًا وافيًا تبشير وندارة وبيان بأنصبة الزكاة الواجبة.<sup>(٢)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٩٥؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٦٤.

(٢) انظر: نص الكتاب عند ابن هشام، ج٢/١٠١٤ - ١٠١٥؛ وانظر: تخريجه والحكم عليه عند مهدي رزق الله، ص ٦٦؛ وانظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير، ص ٧٥.

**وفود نصارى العرب: (١)**

كانت النصرانية تنتشر في عدد من الحواضر والقبائل في بلاد العرب، وكان أهلها أهل كتاب ذوي علم، وقد وصلتهم دعوة النبي ﷺ، فكان لبعضهم وفود وأفراد قابلوا الرسول ﷺ وآمنوا به. (٢) وكانت صلات رسول الله ﷺ تحقيقاً لعالمية رسالته ورحمته الشاملة لكل أهل الأرض، كما أن علمهم بالأنبياء السابقين، وانتظارهم لآخر الأنبياء وخاتمهم كان مما يميزهم عن غيرهم ومن وفودهم.

**وفد الداريين:**

ينتسبون إلى الدار، بطن من لخم، ومواطنهم نواحي متفرقة من فلسطين والشام بالقرب من بيت لحم والرملة وغيرها. (٣)

وهم من نصارى العرب الذين وصلتهم دعوة الإسلام، وقد قدم عشرة منهم إلى النبي ﷺ في المدينة بعد عودته من تبوك، كانوا نصارى فأسلموا وقدموا للقاء النبي ﷺ فيهم تميم الداري وأخوه نعيم، وقد أقطع الرسول ﷺ تميماً أرضاً بالشام، وهي لم تفتح بعد. وكان الرسول ﷺ على يقين بفتحها في القريب، وكان تميمٌ مصدقاً بذلك مؤمناً به ولذلك استقطع النبي ﷺ أرضاً، فلما فتحت الشام في زمن أبي بكر الصديق ﷺ أعطاه تلك الأرض. (٤)

(١) انظر: د. فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ط ١ - دمشق: دار القلم ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر: الفصل الخاص بالوفود عند فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ٩٣.

(٣) انظر: فاروق حمادة، مصدر سابق، ص ١٥٧.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٤٤٢.

وقد اشتهر حديث تميم الداري عن الدجال، حيث سمعه منه النبي ﷺ، وجمع الناس في مسجده ليسمعوا منه قصته، التي من خلالها يتضح ركوب تميم الداري البحر قبل وصوله إلى المدينة المنورة.<sup>(١)</sup>

#### وفد تغلب؛

تغلب إحدى القبائل العربية التي تنتسب إلى تغلب بن وائل من ربيعة بن نزار العدنانية، وهي بطون كثيرة،<sup>(٢)</sup> وتسكن شمال الجزيرة العربية وتمتد بعض بطونهم إلى الشام والعراق.

وكانت إحدى أهم قبائل العرب النصرانية، فيها العلماء والأخبار النصاري ذوو التأثير بين قومهم وغيرهم من القبائل، وذوو الصلة بالروم ونجران، بل الحبشة.

وفي السنة العاشرة من الهجرة قدم وفد منهم فيهم ستة عشر رجلاً،<sup>(٣)</sup> بعضهم على النصرانية وبعضهم سبق إسلامهم، وقد أنزلهم رسول ﷺ في دار رملة بنت الحارث،<sup>(٤)</sup> حيث كان ينزل الضيوف. وقد سمعوا من النبي ﷺ وعقدوا معه صلحاً، وعند فتح العراق عاندوا، ولحق بعضهم بالروم ونقضوا

(١) انظر: الإمام مسلم في صحيحه، الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ج ٨/٢٠٣ - ٢٠٥؛ سير أعلام النبلاء، ج ٦/٣٧٣؛ ولزيد من المعرفة حول تخريج الرواية راجع: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ١٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٤٤٢، حاشية رقم: ٢.

(٢) السمعاني، الأنساب، ج ٣/٦٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١/٣٦١.

(٤) رملة بنت الحارث أو الحرث: امرأة من الأنصار، وهي زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري، اشتهرت الدار باسمها، وقد حبس فيها أسرى بني قريظة (ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣٠٥).



عهدهم، فكانت لهم معاملة مختلفة من عمر نتيجة مخالفتهم للعهد.<sup>(١)</sup>

### وفود طي:

طيئ قبيلة عربية قحطانية تعود إلى كهلان بن سبأ.<sup>(٢)</sup> ومساكنهم نواحي جبلي أجا وسلمى، شمالي نجد وتسمى جبلي طيئ،<sup>(٣)</sup> وتمتد إلى العراق والأطراف الجنوبية لبلاد الشام إضافة إلى شمال الجزيرة العربية.<sup>(٤)</sup>

قدم وفد من طيئ على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة،<sup>(٥)</sup> وكان فيه سيدهم زيد الخيل، وهو ابن مهلل بن زيد من الغوث من طيئ.<sup>(٦)</sup> وكان زيد شاعراً مشهوراً من فرسان الجاهلية، ذاع صيته بين العرب واشتهر بالكرم، وقد أسلم ومن معه بعد لقائهم رسول الله ﷺ وحُسن إسلامهم.

وأورد ابن هشام أن رسول الله ﷺ قال عنه: ((ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيتته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير وأقطع له فيداً<sup>(٧)</sup> وأرضين معه وكتب له بذلك))،<sup>(٨)</sup> وعند عودته إلى نجد توفيت بسبب الحمى،<sup>(٩)</sup> وقيل إنه

(١) يحيى بن آدم، الخراج، ص ٢٠٠؛ القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣٦؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥١.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، السمعاني، أنساب العرب، ج ١٨٧/٨.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٢٦٦؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٦٨٨/٢.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٥) ابن حجر، الإصابة ج ١/٥٧٢.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٤.

(٧) مكان معروف شرقي حائل حالياً.

(٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٧؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١/٣٢١.

(٩) ابن هشام السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١/٣٥٥.

عاش إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،<sup>(١)</sup> وقد عرف ابنه عروة بفتوحه في بلاد الديلم.<sup>(٢)</sup>

### وفد فروة بن عمرو الجذامي؛<sup>(٣)</sup>

جذام قبيلة عربية من كهلان من القحطانيين، ومواطنهم مما يلي الروم من نواحي الأردن في معان وما جاورها إلى الغرب نواحي مَدِينِ غَرَبِ تَبُوكَ، وتمتد إلى فلسطين.<sup>(٤)</sup> وكان فروة بن عمرو عاملاً للروم على عرب معان، وكان على النصرانية فبلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم وبعث وفدًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ومعه هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما علم الروم بإسلامه حبسوه ثم قتلوه، وذكر أنه لما قدم ليقتل بعث سلامه في أبيات لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين منها قوله:

بَلِّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْتَنِي

سَلِّمْ لِرَيْبِي أَعْظَمِي وَمَقَامِي<sup>(٥)</sup>

### وفد غسان؛

غسان قبيلة عربية مشهورة تعود في أصلها إلى الأزد.<sup>(٦)</sup> وقد كان لهم حكم دمشق وما جاورها وما بينها وبين حمص، تابعين في ذلك للروم وعرف ملوكهم بملوك الغساسنة، وكانوا على النصرانية، ومع الروم في مواجهة

(١) ابن حجر، الإصابة، ج ١/٥٧٢.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٤.

(٣) وضع ابن هشام في السيرة النبوية عنواناً: "إسلام فروة بن عمرو الجذامي"، ص ٥٩١.

(٤) فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ١٢٧.

(٥) انظر تفاصيل الوفد عند: ابن هشام السيرة النبوية، ج ٤/٥٩٢؛ ابن القيم، زاد المعاد،

ج ٣/٦٤٦.

(٦) انظر: فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، ص ١٥٥.

الإسلام وقد قدم ثلاثة نفر منهم على النبي ، في رمضان من السنة العاشرة من الهجرة، <sup>(١)</sup> فأسلموا وعادوا إلى بلادهم ولم يظهروا إسلامهم خشية من الروم، وتوفي اثنان منهم قبل فتح الشام، وقدم الثالث على أبي عبيدة قبيل اليرموك فأكرمه. <sup>(٢)</sup>

### وفادة عدي بن حاتم: <sup>(٣)</sup>

هو ابن لحاتم طيئ أشهر العرب الجاهليين بالكرم، أحد زعماء طيئ المشهورين، كان من زعماء النصرانية بين العرب <sup>(٤)</sup> على الركوسية <sup>(٥)</sup> وهي فرقة معروفة من النصارى في زمن النبي ﷺ، <sup>(٦)</sup> تربطه علاقات خاصة بنصارى عرب الشام، وخصوصاً الغساسنة ونصارى عرب العراق من المناذرة وغيرهم، إضافة إلى علاقته بقبيلته طيئ، حيث كان زعيماً من زعمائهم.

وقد وصلته أخبار الإسلام مبكرة وتردد في الاتصال برسول الله ﷺ

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١/٣٢٨؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦٦٩.

(٢) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦٦٩؛ وابن سيد الناس، السيرة النبوية، ج ٢/٢٥٦.

(٣) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب قصة وفد طيئ وحديث عدي بن حاتم، ج ٥/١٢٣.

(٤) عرف نصارى العرب باتباعهم للمذهب اليعقوبي في الشام والنسطوري في العراق، (عبدالعزیز الثعالبي، محاضرات في تاريخ الأديان، ص ١٤٨؛ الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، ص ٦٨).

(٥) الركوسية: فرقة لها دين ومذهب بين النصارى والصابئين عرفت زمن النبي ﷺ بين العرب، (المعجم الوسيط، ص ٣٦٩).

(٦) وقد أخطأ جواد علي في التشكيك في الرواية وفي وجود المذهب الركوسي بسبب زعمه أن القول لحاتم طيئ، وأنه مات قبل الرسول ﷺ، ولا يقبل هذا من علم مثل جواد علي، مع وجود ما يزيد على أربعين حديثاً بعضها في البخاري تثبت أن المقابلة كانت لعدي بن حاتم وليست لأبيه، (راجع: المفصل، ج ٦/٦٣٤).

والسماح منه، رغم أن خبر رسول الله ﷺ ذاع بين العرب والعجم، ولعل وصول زيد الخير (زيد الخيل) إلى النبي ﷺ مع بعض زعماء طيئ وإسلامهم قد أثر في عدي سلباً، حيث يقول: بُعث النبي ﷺ (فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط، فانطلقت حتى أنزل أقصى العرب مما يلي الروم، فكرهت مكاني أشد مما كرهت مكاني الأول).<sup>(١)</sup>

لم يقدم على لقاء الرسول ﷺ إلا بعد أن أُسرت أخته، وأحسن الرسول ﷺ معاملتها وأسمعها ما توصله إلى عدي بن حاتم.

ذلك أن إحدى سرايا الرسول الله ﷺ بقيادة علي بن أبي طالب ﷺ أغارت على بعض نواحي طيئ، في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وكانت تهدف لهدم صنمهم (الغلس)، وتمكنت من أسر بعض الطائيين وفيهم سفانة بنت حاتم طيئ أخت عدي،<sup>(٢)</sup> ((فجعلت بنت حاتم في حظيرة<sup>(٣)</sup>) بباب المسجد كانت السبايا يحسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال الضار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت: له مثل ذلك وقال: لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست منه، فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلميته. قالت: فقمتم إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك، فقال ﷺ: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢.

(٢) ابن سعد، السيرة النبوية (من الطبقات)، ج ٢/١٦٤.

(٣) هي السياج الخاص لوضع للأسرى، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٩، (حاشية رقم: ٣).

من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم أذنيني. فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه فقبل علي بن أبي طالب عليه السلام وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت فجنّت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني، وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام)).<sup>(١)</sup>

كان عدي بن حاتم محتاراً بعد سبي أخته وفراره إلى الشام.

وبعد إكرام أخته ومغادرتها إلى الشام يصف عدي حال وصولها فيقول: (فوالله إنني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة تصوّب إليّ تؤمنا، قال فقلت: ابنة حاتم؟ قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت<sup>(٢)</sup> تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك، قال قلت: أي أخية لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تدل في عز اليمن، وأنت أنت. قال قلت: والله إن هذا الرأي).<sup>(٣)</sup>

وقد توجه عدي بن حاتم بعد ذلك من الشام إلى المدينة المنورة لمقابلة رسول

صلى الله عليه وسلم، وذلك في أواسط السنة التاسعة من الهجرة.<sup>(٤)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٩.

(٢) رفعت صوتها باللوم والعتاب.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨٠.

(٤) من رواية بن أبي شيبه، المغازي، ص ١٤٢.

و حين وصل المدينة استشرفه الناس، ويظهر أنه وصل بشكل لافت للنظر سواء في لباسه أم موكبه، وربما من يرافقه، بحيث لفت أنظار أهل المدينة إليه، ثم دخل المسجد على رسول الله ﷺ فسلم عليه فقال: (من الرجل؟) فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً، فقذفها إليّ فقال: اجلس على هذه قال قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض قال قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً؟ قال قلت: بلى. قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قال قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل، ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها (حتى) تزور هذا البيت لا تخاف. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، قال: فأسلمت، وكان عدي يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيمُ الله لتكونن الثالثة لفيضن المال حتى لا

يوجد من يأخذه).<sup>(١)</sup>

وقد انتهت مقابلة عدي بإسلامه على يد رسول الله ﷺ عن قناعة تامة اتضحت من خلال حديثه عن لقائه مع رسول الله ﷺ، ومن خلال ما رأى من تواضعه وكرمه وحسن خلقه ومعرفته بالنصرانية وأصلها وما أصابها من انحراف. وما كان يقوم به عدي من أخذ المرباع من النصراني وهو محرم عليه.

وهذا الحوار كان طويلاً، ولعله حاور الرسول ﷺ في أكثر من موقف وأكثر من يوم أثناء وجوده في المدينة، ومن ذلك أنه (دخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة]، قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى. إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم، وقال رسول الله ﷺ: يا عدي، ما تقول؟ أيفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يفرك؟ أيفرك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله غير الله؟ ثم دعاه للإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق).<sup>(٢)</sup>

وكان إسلام عدي بن حاتم دافعاً له للتعلم من الرسول ﷺ وسؤاله عمّا أشكل عليه. ومن ذلك ما ثبت في الصحيح (عن عدي بن حاتم قال: قلت:

(١) الطبري، تاريخه، ج ٣/١٥٠؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨١.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٨٧٤.

يا رسول الله إني أرسل الكلاب المعلمة فيمسكن عليّ، وأذكر اسم الله عليه، فقال: إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل، قلت: وإن قتلن؟ قال: وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك سميت على كلبك ولم تسم على غيره، قلت له: فإني أرمي بالمعروض الصيد فأصيب فقال: إذا رميت بالمعروض فخزق فكله، وإن أصابه بعرضه فإنه وقيد<sup>(١)</sup> فلا تأكله، وفي لفظ لهما إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدرسته حياً فاذبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب ذكاته وفي رواية لهما فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه<sup>(٢)</sup>. كما أنه ناقش في الصيام وطلوع الفجر<sup>(٣)</sup>.

ولقد أحب عدي بن حاتم الدين وشعائره، حتى ورد عنه أنه ﷺ قال: ما دخل وقت صلاة إلا وأنا أشتاق إليها<sup>(٤)</sup>.

وقد ثبت أن عدي بن حاتم كان ثابتاً على الإسلام متعاوناً مع أبي بكر الصديق في خلافته زمن الردة، حيث ساهم في جمع صدقات قومه والدفاع

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب صيد المعروض، ج ٦/٢١٨.

(والوقيد: هو ما مات من الضرب ولم يجرح ويخرج منه دم وهي الواردة في قوله - تعالى - : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِالْأَنْزَلِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَحْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ [المائدة].

(٢) ابن كثير، تفسير، ج ١/٥٨٢، في تفسير سورة المائدة، وقد خرّج الحديث.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج ٢/٤٦٨.

(٤) المصدر السابق.



عن المسلمين ضد المرتدين. فقد أورد البخاري في صحيحه باباً سماه (قصة وفد طيئ) وحديث عدي بن حاتم أورد فيه حديثاً عن عدي بن حاتم قال: أتينا عمر بن الخطاب وفداً فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويسميه، فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال بلى، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا، فقال عدي: فلا أبالي إذاً.<sup>(١)</sup>

وقد كان من أول من قدم بالصدقة على أبي بكر الصديق في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان له دور في قمع أناس من قومه ومنعهم من الردة.<sup>(٢)</sup>

كما شارك ﷺ في الفتوح زمن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ، وشهد فتح العراق وفارس ومنها المدائن عاصمة الفرس، ورأى بنفسه كنوز كسرى بيد المسلمين، كما وعد الرسول ﷺ بذلك، وقد أقام في الكوفة وكان مع علي ﷺ.<sup>(٣)</sup>

#### وفد نصارى نجران:<sup>(٤)</sup>

نجران منطقة واسعة في جنوب الجزيرة العربية،<sup>(٥)</sup> تقطنها قبائل متعددة وبها حواضر مختلفة، وقد انتشرت فيها النصرانية وقويت قبل الإسلام.

كانت ترتبط بعلاقات قوية مع نصارى العرب في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وكذلك الحبشة،<sup>(٦)</sup> ويقع بينهم تبادل ثقافي ديني، حيث ينتقل علماء النصرانية العرب منها إليها. ولذلك عُدت معقلاً قوياً للنصارى

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة وفد طيئ وحديث عدي بن حاتم، ج ٥/١٢٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢/٣٢٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢/٣٢٩.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج ٥/١٢٠.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج ٥/٢٦٦.

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٤.

في عهد النبي ﷺ. <sup>(١)</sup> وقد عرفوا دعوة الرسول ﷺ قبل هجرته إلى مكة، <sup>(٢)</sup> كما ثبت بطرق مختلفة سماع الرسول ﷺ لقس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران في زمانه وهو يخطب في سوق عكاظ. <sup>(٣)</sup>

وقد عُدت نجران المركز الرئيسي للنصرانية جنوب بلاد العرب، ولها تنظيمها وإدارتها ومناصبها وعليها (العاقب)، وهو كما يقول أهل السير: أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدر عن رأيه (والسيد)، وهو ثمالهم وصاحب رحلتهم ومجتمعهم "مسئول مالي واجتماعي" (والأسقف)، وهو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم والسيد وإليهما إدارة الجماعة، والإشراف على شؤونهم السياسية والمالية، ويدير ما يحتاجه الجامع إليه من بقية الشؤون. <sup>(٤)</sup>

ولم تكن الرئاسة في نصارى نجران منصباً قبلياً، بل تتبع مراجع دينية بعيداً عن العصبية القبلية، حيث شارك فيها أقوام من قبائل شتى. <sup>(٥)</sup>

كتب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران كتاباً جاء فيه ("باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم، فإنني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد، فإنني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم بحرب والسلام").

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٦.

(٢) انظر: محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام، ص ١٩.

(٣) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٦.

(٤) منقول عن: جواد علي، المفصل، ج ٦/٦١٧.

(٥) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/٦١٨.

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه اهتم به، وذعره ذعرا شديداً، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة - وكان من همدان ولم يكن أحد يُدعى إذا نزلت معضلة قبله، لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب - فدفن الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل، فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي، وجهدت لك، فقال له الأسقف: تنح فاجلس. فتتحى شرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: عبدالله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف: فاجلس، فتتحى فجلس ناحية. وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: جبار بن فيض، من بني الحارث ابن كعب، أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبدالله، فأمره الأسقف فتتحى فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله - وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل. فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل ابن وداعة الهمداني<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٧٠، ٣٧١.

ونتيجة تباحث علمائهم وتبادل الرأي قدم منهم ستون راكباً: منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرفهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم (العاقب) أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدر عن إلا عن رأيه وأمره، واسمه عبدالمسيح (والسيد) ثمالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل (أسقفهم) وحرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه، من علمه واجتهاده في دينهم.

وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حلالاً لهم يجرونها، من الحبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام وتصدوا لكلامه نهائراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران فيشتري لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار والمهاجرين في مجلس فقالوا: يا عثمان ويا عبدالرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد علينا سلامنا وتصدينا لكلامه نهائراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما أنعود؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبدالرحمن ﷺ: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد

ذلك فوضعوا حللهم وخواتيمهم ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه فرد سلامهم.<sup>(١)</sup>

وحيثما قابلوا الرسول ﷺ، قال رسول الله ﷺ لأسقف نجران: ((يا أبا الحارث أسلم، فقال: إني مسلم، قال: يا أبا الحارث أسلم، قال: قد أسلمت قبلك، قال نبي الله: كذبت، منعك من الإسلام ثلاثة: دعاؤك لله ولداً، وأكلك لحم الخنزير، وشريك الخمر)).<sup>(٢)</sup>

وقد دارت بينهم وبين رسول الله ﷺ مناقشات طويلة، حيث قال رئيسهم لرسول الله ﷺ: تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، ثم قال أحدهم: من أبو عيسى؟ من أبو عيسى؟ فسكت النبي وكان لا يعجل حتى يكون ربه هو يأمره، فأنزل الله - تعالى - عليه قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران].

وحيثما نزلت آيات الملاعنة على رسول الله ﷺ دعاهم إلى الملاعنة، وواعدهم من الغد، فتشاوروا فيما بينهم وكانوا من علماء النصراني فقال بعضهم: فوالله إن كان نبياً فلاعناؤه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا،<sup>(٣)</sup> وقال: (لأن كان الرجل نبياً فلاعناؤه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك).<sup>(٣)</sup>

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦٢٩ - ٦٣٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩؛ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/٢٥٩؛ وعمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٥٨٣.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٥٨٤.

(٣) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٧١.

ثم إن بعضهم عندما رأوا إنصاف رسول الله ﷺ وحسن حديثه وصدقه أجمعوا على أن ينزلوا تحت حكمه وبما يأمر ولا يلاعنوه، حيث قال زعيمهم شرحبيل: (إني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً).<sup>(١)</sup>

فلما أقبل رسول الله ﷺ من الغد كان معه فاطمة والحسن والحسين وعلي ﷺ، فدعاهم النبي ﷺ فخافوا ولجأ بعضهم في نواحي المسجد لما يعلمون من إجابة دعوته خوفاً أن يدعو عليهم، ثم أقبل زعيمهم شرحبيل على رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت خيراً من ملاعنتك، قال ﷺ: وما هو؟ فقال: حكمك إلى الليل وليلتك إلى الصباح مهما حكمت فينا فهو جائز، فقال ﷺ: لعل وراءك أحد يثرب عليك، فقال: سأل صاحبي، فسأله ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل، فرجع ﷺ ولم يلاعنهم، فأتوه في الغد وصالحهم وكتب لهم كتاباً جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران، إذ كان حكمه عليهم، أن في كل بيضاء وسوداء وصفراء وتمررة ورقيق، وأفضل عليهم وترك ذلك لهم، على ألفي حلة في كل صفر ألف حلة، وفي كل رجب ألف حلة مع كل حلة أوقية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقي فبحساب، وما قضاوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بحساب، وعلى نجران مثواة رسلي ومنتعتهم بها عشرين فدونه، ولا يحبس رسول فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد باليمن ومعدرة، وما هلك مما أعاروا رسولي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسولي حتى يؤديه إليهم، ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي على

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٦٤٣.

أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدتهم وعشيرتهم وتبعهم، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يُغير حق من حقوقهم، ولا ملتهم ولا يُغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيتها، ولا وافه عن وفهيتها،<sup>(١)</sup> وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس عليهم ريبة ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطاء أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم)).<sup>(٢)</sup>

وفي هذه الحادثة نزلت الآيات من سورة آل عمران ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٥١)</sup> الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ آل عمران]. وفي أول الآيات وآخرها مناقشة عامة النصراني في كل زمان ومكان ﴿الْحَقُّ

(١) الوفوية: هي البيعة، والوافه: هو القيم على البيعة، (انظر: هامش (٢) عند عمر بن شبة في تاريخ المدينة، ج ٢/٥٨٥).

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٥٨٤ - ٥٨٦؛ وانظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٧٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج ١/٣٥٨.

مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ [آل عمران]، وكثير من النصارى في هذا الزمان يعلمون حقيقة رسالة محمد ونبوءته كما علمها نصارى نجران في حينه، لكنه عصيان لله ولمن أرسله الله.

وحين اتفق الرسول ﷺ مع نصارى نجران طلبوا منه أن ابعث معنا رجلاً أميناً؟ فقال ﷺ: ((لأبعثن معكم رجلاً حق أمين، حق أمين، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فأرسله معهم)).<sup>(١)</sup>

وحينما عاد الوفد إلى نجران دافعوا عن أنفسهم أمام قومهم وأنهم كتبوا العهد ودفَعوا الجزية خشية دعائه عليهم، وأظهروا معرفتهم بنبوته. ومع ذلك لم يسلموا، فبادر اثنان منهم إلى اللحاق فوراً برسول الله ﷺ في المدينة، وقد أسلم أحدهما ويسمى بشر، ولحق برسول الله ﷺ حتى استشهد بعد ذلك.<sup>(٢)</sup>

وقد بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة إلى نجران، فكان قدوة حسنة داعية مباركاً، وعاملاً إدارياً مالياً قام بمهمته خير قيام.<sup>(٣)</sup> وقد كانت تجري بينه وبين علماء النصارى في نجران مناقشات علمية حول ما نزل في القرآن، وكذلك بينهم وبين بقية الصحابة الآخرين الذين كان يبعثهم رسول الله ﷺ إلى نجران، ومن ذلك ما رواه المغيرة بن شعبة ﷺ قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا لي: إنكم تقرؤون ﴿يَتَأَخْتَهُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم]. وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين فلم

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٨؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج ١٢٠/٥.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ٦٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥٥/٥.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٩.



أدر ما أجيبهم به ، حتى رجعت إلى النبي ﷺ فسأله فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمَّون بأنبيائهم والصالحين من قبلهم)).<sup>(١)</sup>

وقد بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إليهم في السنة العاشرة من الهجرة بقبض جزيتهم وصدقات مسلمي نجران ، فقدم على النبي ﷺ في الحج (حجة الوداع).<sup>(٢)</sup>

وقد مرت بقية حياة النبي ﷺ مع نصارى نجران بسلام ، وكان العهد قائماً بينهم وبين رسول الله ﷺ .

وبعد وفاته ﷺ ظهرت الردة في نواح كثيرة ، ومنها منطقة نجران في بعض من أسلم منهم ، ولا يستبعد أن هناك من شارك حركة الردة في العصيان العسكري من غير المسلمين من أهل المنطقة ، سواء من النصارى أم غيرهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

لكن خلافة أبي بكر الصديق مضت ولم يحدث بين نصارى نجران وبين المسلمين خلاف يذكر.

وحينما جاء عهد عمر ﷺ وفتحت الأمصار انتقلت كثير من القبائل من بلاد العرب إلى البلاد المفتوحة ، وخصوصاً المشاركة في الفتوح. وكان نصارى نجران مستقلين عن الدولة الإسلامية ، لا مشاركة لهم في الفتوح بحكم بقائهم على دينهم ، فتاقت أنفسهم لأخذ أراضٍ جديدة ، وما كان يحق لهم ذلك لعدم إسلامهم ومشاركتهم. وفي الوقت نفسه كانت أعدادهم

(١) ابن أبي شيبة ، المغازي ، ص ٤٠٩ ؛ والحديث أخرجه مسلم من طريق ابن أبي شيبة ؛ وانظر: ابن كثير ، تفسيره ، ج ٢/ ١١٨٥ .

(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج ٣/ ٦٣٧ ؛ وانظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤/ ٦٠ ؛ وانظر: حجة الوداع ، من هذا الكتاب.

في نجران تزيد وخطورتهم على المسلمين محتملة.

وأورد ابن أبي شيبة بسنده قال: (كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفاً، قال: وكان عمر يخافهم أن يميلوا على المسلمين، فتحاسدوا بينهم، قال: فأتوا عمر، فقالوا: إنا قد تحاسدنا بيننا فأجئنا، قال: وكان رسول الله ﷺ قد كتب لهم كتاباً أن لا يُجَلُّوا، قال: فاغتمها عمر فأجلاهم، فندموا، فأتوه فقالوا: أَقْلْنَا، فأبى أن يقليلهم، فلما قدم عليُّ أتوه فقالوا: إنا نسألك بخط يمينك وشفاعتك عند نبيك ألا أقلتنا، فأبى وقال: ويحكم، إن عمر كان رشيد الأمر، قال سالم: فكانوا يرون أن علياً لو كان طاعناً على عمر في شيء من أمره طاعناً عليه في أهل نجران)،<sup>(١)</sup> كما يتضح من النصوص أن عمر اشترى بياض أرضهم وكرومهم.<sup>(٢)</sup>

وقيل إن سبب قدومهم على عمر ﷺ أنهم أكلوا الربا، وقد شرط عليهم عدم التعامل به في عهدهم مع الرسول ﷺ فخشوا من انتقام عمر وبادروا بطلب الرحيل إلى العراق والشام. ومن الواضح من الروايات المختلفة أنهم هم الذين استبدلوا عهدهم من النبي ﷺ في نجران بمناطق جديدة من الفتوح عوضوا بها عن مناطقهم في نجران بناءً على طلبهم، كما دُفِعت إليهم أموال مقابل مزارعهم وكرومهم، ولكنهم ندموا على ذلك وحاولوا الاستغناء من الأمر فرفض عمر بن الخطاب ﷺ، بعد أن مضى الاتفاق معهم على ذلك، وبالتالي رحلوا إلى العراق مع كتاب من عمر إلى الأمراء لتسهيل أمورهم وإعطائهم من الأرض، جاء فيه (هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران من سار منهم أنه آمنٌ بأمان الله لا يضرهم أحد من المسلمين، وفاء لهم بما

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٨.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٠٧.

كتب لهم رسول الله ﷺ وأبو بكر، أما بعد: فمن وقعوا به من أمراء الشام وأمرء العراق فليوسعهم من جريب الأرض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة لهم بمكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم، أما بعد: فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فإنهم أقوام لهم الذمة، وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن تقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم، شهد عثمان بن عفان ومعيقب بن أبي فاطمة، فوقع ناس منهم بالعراق فنزلوا النجرانية التي بناحية الكوفة.<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١ / ٣٥٨.

## هدم الأصنام

كانت الأصنام تنتشر في بلاد العرب في كل مكان، وفي مكة وضعت داخل المسجد بجوار الكعبة، وقد ورد ذكر بعضها بأسمائها في القرآن الكريم، كاللات والعزى ومناة. وكانت قبائل العرب تفتخر بها وتعبدها من دون الله - تعالى - وقد وردت العديد من الآيات القرآنية في التحذير منها وبيان حرب الأنبياء لها عبر العصور: ﴿ رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣٦) [إبراهيم]. وكان هم رسول الله ﷺ انتزاع ما في قلوب الناس من اعتقاد وشرك، وتحطيم تلك الأصنام وتدميرها تمامًا ومحوها ماديًا من الوجود، ولذلك بادر ﷺ بنفسه بتحطيم الأصنام المحيطة بالكعبة وفي الحرم على مرأى ومسمع من الناس يوم الفتح من ساعته، وكان ﷺ يردد: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨١) [الإسراء].<sup>(١)</sup> واستهدف ﷺ تحطيم الأصنام في أي مكان تصل إليه يده ﷺ، فبعث السرايا من عنده في كل اتجاه للقيام بهذه المهمة منذ فتح، مكة وهابته العرب وسيطر على مناطقها، حيث حرص على إزالة الأصنام وتحطيمها في الواقع وفي نفوس أصحابها عبَاد الأوثان، ومن تلك السرايا المتخصصة بتحطيم الأصنام:

### سرية خالد بن الوليد ﷺ لهدم العزى<sup>(٢)</sup>

كانت العزى صنماً في نخلة شرق مكة بينها وبين الطائف في منطقة هذيل.<sup>(٣)</sup> وكانت تعبد من دون الله وهي التي نزل فيها قوله - تعالى - : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ [النجم]. وكان العرب

(١) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٣٦؛ عنوان مسيرة خالد بن الوليد لهدم العزى.

(٣) انظر: ابن الكلبي، الأصنام، ص ١٦؛ وجواد علي، المفصل، ج٧٧/٢٣٥.

يدعونها ويرفعون ذكرها من دون الله،<sup>(١)</sup> ولذلك نجد أبا سفيان يرفعها شعاراً في أحد حينما قال: (لنا العزى ولا عزى لكم)، فأمر الرسول ﷺ بالرد عليه ((الله مولانا ولا مولى لكم)).<sup>(٢)</sup> وقد بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ في سريه لهدم العزى بعد فتح مكة فذهب إليها فهدمها في قصة طويلة.<sup>(٣)</sup>

#### سريّة عمرو بن العاص ﷺ لهدم سُواع؛<sup>(٤)</sup>

سُواع صنم عند هذيل شرقي مكة، وقد ورد ذكرها في القرآن في قوله — تعالى —: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُومَ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] وقد بعث إليه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ﷺ بعد فتح مكة في سرية خاصة ليهدمه، وقد زعم سادته أنه يدافع عن نفسه، وأن عمراً لا يستطيع هدمه، لكنه حينما رأى السادن أنه يُهدم حجراً حجراً ولا ينفع نفسه ولا يضر غيره، أسلم بعد ذلك وهدم هذا الصنم إلى الأبد.<sup>(٥)</sup>

#### سريّة سعد بن زيد الأشهلي ﷺ لهدم مائة؛

كانت مائة صنماً في نواحي<sup>(٦)</sup> المشلل عند قديد<sup>(٧)</sup> بين مكة والمدينة،

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، باب أفرايتم اللات والعزى، ج ٥١/٦؛ ابن كثير، تفسيره، ج ١٧٨٠/٢.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٨؛ وانظر: غزوة أحد، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٤٥/٢.

(٤) هو: صنم قديم ببطن نخلة شرقي مكة (جواد علي، المفصل، ج ٢٥٧/٦).

(٥) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج ١٩٢٣/١.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج ١٧٨١/٢.

(٧) جواد علي، المفصل، ج ٢٤٦/٦؛ وانظر: الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام من هذا الكتاب.

وتعبده العرب عمومًا، ومشركو الأوس والخزرج خصوصًا، وتتقرب إليه وهو الوارد في قوله - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم].

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري ﷺ في جيش من المسلمين لهدمها بعد فتح مكة، فتمكن من تحطيم الصنم والقضاء عليه دون مقاومة من سدنته الذين يزعمون أنها تدافع عن نفسها. وهكذا حُطم الصنم في الواقع وفي النفوس.<sup>(١)</sup>

#### سرية علي بن أبي طالب ﷺ لهدم الفليس في طيئ:<sup>(٢)</sup>

كانت سرية علي بن أبي طالب ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة في ربيع الآخر، فأغار على طيئ وحطم صنمهم وغنم خزينته، وأسر بعض القوم وكان في الأسرى سفانة بنت حاتم طيئ وكانت سببًا في قدوم أخيها عدي وإسلامه.<sup>(٣)</sup> كما مرَّ ذكره والتفصيل فيه.<sup>(٤)</sup>

#### سرية الطفيل بن عمرو ﷺ لهدم صنم ذو الكفين في دوس:

بعد غزوة حنين مباشرة، وجه الرسول ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ لهدم صنم يسمى ذا الكفين في قبائل عمرو بن حمحة، فتوجه إليه وهدمه

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٤٦/٢؛ والهيثمي، شرح المواهب اللدانية، ج ٣٤٨/٢.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٥١٧/٣.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ١٤٨/٣؛ انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي ابن أبي طالب وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ج ١١٠/٥ - ١١١؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١٦٤/٢.

(٤) انظر: وفود نصارى العرب، من هذا الكتاب (وفادة عدي بن حاتم).

وحرقه، ثم عاد وقابل الرسول ﷺ أثناء حصار الطائف.<sup>(١)</sup>

سرية جرير بن عبد الله البجلي ﷺ إلى (ذي الخصة):<sup>(٢)</sup>

كان في نواحي بجيلة في اليمن في قبيلة خثعم يقال له ذو الخصة،<sup>(٣)</sup> وكان مقصداً للقبائل في تلك الناحية حتى أن بعضهم سمى نصباً له بالكعبة.

فقال رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله ﷺ: ((ألا تريحني من ذي الخصة))، فقال جرير: بلى يا رسول الله، وكان ﷺ لا يثبت على الخيل، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعا له وضرب على صدره قائلاً: ((اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً، فما وقع عن فرسه بعد ذلك)). وقد توجه جرير ومعه خمسون فارساً من أحمس إلى ذي الخصة فهدمه، وأرسل بشارة ذلك لرسول الله ﷺ. وقد روى البخاري في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((ألا تريحني من ذي الخصة. فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً. قال: فما وقعت عن فرس بعد. قال: وكان ذو الخصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة، فيه نصب تُعبد يقال له "الكعبة"، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، قال: ولما قدم

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٢/١٥٧؛ والواقدي، المغازي، ج٣/٩٢٢؛ محمد الصلابي، السيرة النبوية، ج٢/٦٦٦.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باباً سماه، باب (غزوة ذي الخصة)، ج٥/١١١.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/١٩٠.

جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، ف قيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضرين عنقك قال فكسرهما، وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطأة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات)).<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة، ج ٥/١١٢.



### حجة الوداع<sup>(١)</sup>

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام. وقد سميت باسمه سورة من سور القرآن الكريم، وتحدثت عنه وعن شعائره العديد من الآيات القرآنية التي وصل عددها إلى اثنتي عشرة آية.

ومن المؤكد أن الرسول ﷺ كان يحج قبل هجرته موحدًا على نُسك إبراهيم ﷺ، وأنه كان ينزل مخالفًا لقريش موافقًا لسنة إبراهيم، مع أن الحج لم يفرض إلا بعد نزول قوله - تعالى - : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٧) لآل عمران.<sup>(٢)</sup>

وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة لم يثبت أنه حج غير حجة الوداع التي كانت في السنة العاشرة من الهجرة،<sup>(٣)</sup> مع أن الصديق ﷺ حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة.<sup>(٤)</sup>

وكان الرسول ﷺ حريصًا على أن لا يرى أي مظهر للشرك في مكة، وهذا هو الدافع لتأجيل حجه إلى السنة العاشرة من الهجرة، وتبليغ الناس أنه ليس للمشركين أن يقربوا المسجد الحرام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/١٢٣ - ١٢٨.

ألفت العديد من الكتب حول حجة الوداع منها: حجة الوداع دراسة جامعة للأحاديث والآثار دراسة لابن كثير حققها خالد أبو صالح.

ومن أكثر الأحاديث تفصيلاً عن حجة رسول الله ﷺ رواية جابر بن عبد الله عند مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ج ٤/٣٨.

(٢) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/٥٩٥؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/١٢٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٢٦٣.

(٣) كما وضعت فصول خاصة عند المحدثين فيها، ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/٢٩٩، من رواية البخاري، ج ٥/١٢٣.

(٤) انظر حج أبي بكر بالناس، من هذا الكتاب.

الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ  
عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾  
[التوبة].

وحجة الوداع هي التطبيق العملي للحج ومناسكه من قبل النبي ﷺ  
وبأمره، حيث قال: ((لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ  
بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)).<sup>(١)</sup>

ولأهمية الأمر وضع البخاري في صحيحه باباً سماه: (باب حجة  
الوداع).<sup>(٢)</sup>

فقبل شهر ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة أعلن الرسول ﷺ أنه  
سيحج، (فقدم المدينة بشرُّ كثيرٍ كل منهم يَلْتَمِسُ أن يَأْتَمَّ برسول الله  
ﷺ).<sup>(٣)</sup>

كان خروج الرسول ﷺ للحج من المدينة المنورة في الخامس والعشرين من  
شهر ذي القعدة، وقد بقي في الطريق ثمانية أيام، كان الناس يتعلمون  
خلالها من رسول الله ﷺ تزيد أعدادهم تدرُّجاً، حيث وافاه خلق كثير  
وقبائل شتى من كافة أنحاء العرب،<sup>(٤)</sup> بالإضافة لمن كان معه من أهله  
وزوجاته ومن أهل المدينة.<sup>(٥)</sup>

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً. وبيان قوله  
ﷺ "لتأخذوا مناسككم"، ج ٤/٧٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/١٢٣؛ ابن هشام، السيرة  
النبوية، عنوان: (حجة الوداع)، ج ٤/٦٠١.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٦/٢٢٩.

(٤) انظر: ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٤٥، من رواية الإمام أحمد.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/١٢٥.

كان النبي ﷺ يلبي ويردد الناسُ تلبيته، ويتلقون عنه في إعلان واضح بإخلاص العبادة لله، وتوحيده ﷺ: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)).<sup>(١)</sup> هذه التلبية التي تناقلتها الأمة وما تزال ترددها إلى اليوم هي إعلان واضح وقوي بالبراءة من الشرك وأهله وإرجاع الملك والنعمة لله وحده لا شريك له.

وقد بات النبي ﷺ في اليوم الرابع من ذي الحجة قرب مكة، ودخلها ضحى اليوم الخامس، ودخل البيت الحرام وهو يردد ((اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام حَيًّا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ))،<sup>(٢)</sup> ولما رأى البيت قال ﷺ: ((اللهم زد بيتك هذا تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابةً)).<sup>(٣)</sup>

وتوجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة وطاف بها وهو راكب ناقته ينظر إليه الناس من كل اتجاه، فيقتدون به ويسألونه، جاءوا من كل مكان يحيطون به وينظرون لما يصنع ويسمعون لما يدعو.<sup>(٤)</sup>

وقد استلم الرسول ﷺ الحجر بمحجن في يده، ورمل في الثلاثة أشواط الأولى،<sup>(٥)</sup> وعند فراغه قرأ ﷺ قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعِهدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]. وصى ركعتين عند المقام، حيث جعله بينه وبين الكعبة، قرأ في الركعة الأولى (قل يا أيها

(١) انظر: ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٣٥، من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية، ج ٢/١٤٧.

(٢) انظر: تخريجه عند ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٦٦.

(٣) انظر: ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٦٥.

(٤) ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٤٦.

(٥) ابن كثير، حجة الوداع، ص ١٦٨.

الكافرون)، وفي الركعة الثانية (قل هو الله أحد)، ثم اسلمت الركن وتوجه إلى الصفا وهو يقرأ قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة]، حتى إذا صعد على الصفا استقبل الكعبة وكبّر وقال: ((لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده))، ثم توجه إلى المروة وأكمل سعيه، كان ﷺ يذُكِرُ ويُذَكَّرُ بنصر الله له وهزيمة أحزاب المشركين الذين آذوه في مكة، وظهور التوحيد، وأن الله ﷻ صدق وعده سينصر المسلمين ويحقق لهم ما وعد.

وقد بقي رسول الله ﷺ في مكة أربعة أيام كان يقيم فيها بالأبطح. وخلال هذه الفترة قدم علي بن أبي طالب ﷺ من اليمن، وكان ﷺ قد بعثه إليها، ووافى زوجته الحبيبة فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها.<sup>(١)</sup>

وفي ضحى يوم التروية الخميس الثامن من ذي الحجة خرج النبي ﷺ مع الحجيج إلى منى، حتى إذا جاء منى صلى بالناس الظهر والعصر جمعاً وقصراً وكذلك المغرب والعشاء، وكان بلال ﷺ يؤذن لرسول الله ﷺ.<sup>(٢)</sup> والناس يتبركون بفضل وضوء النبي ﷺ وفي صبيحة يوم عرفة صلى النبي ﷺ الفجر في الناس بمنى، وبعد شروق الشمس توجه إلى عرفات، وقد أمر أن تضرب له قبة في نمرة، وخالف قريش، واستشعر أمر الله ﷻ في قوله -

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ج ٥/١١٠: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٣٣٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٠٢.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ، علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن، ج ٥/١١٠: وابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٣٣٥.

تعالى - : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة].

ونزل ﷺ في القبة التي ضربت له في نمرة، وكان يوم عرفة يوافق السادس من مارس (آذار) سنة ٦٣٢م<sup>(١)</sup> وهو الشهر الثالث أواخر الشتاء وبداية الربيع، حيث عرفت مكة بشدة الحر حتى في الشتاء فكيف الربيع. ولذلك كانت القبة للظل، ولمعرفة مكان النبي ﷺ لمن يقصده وتحديد مكان وقوفه بعرفة، وبقي ﷺ بالقبة يذكر الله - تعالى - ويطلب ما قاله ﷺ : ((أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له))، وفي رواية ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)).<sup>(٢)</sup>

وقد روى الزبير بن العوام ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ الآية: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران].

وقد ورد أنه كان من دعائه في يوم عرفة ((اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجع المشفق، المقر المعترف بذنبيه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبتك، وفاضت لك عبرته، وذلل لك جسده، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيماً، وكن بي رؤوفاً رحيماً، يا خير

(١) انظر: عبدالسلام الترماني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ص ٢٨.

(٢) مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج، ص ٣٥٠.

المسؤولين، ويا خير المعطين)).<sup>(١)</sup> وثبت أنه دعا وهو على ناقته ﷺ.<sup>(٢)</sup>

واستمر الرسول ﷺ يدعو في قبته، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء، فركبها فأتى بطن الوادي فأمر أن يُنصت الناس،<sup>(٣)</sup> له ليسمعوا خطبته ويعوها فتوزع رجال ليصرخوا بما يقول ﷺ في الناس،<sup>(٤)</sup> وقد وردت روايات متفرقة عن أجزاء مما قال ﷺ في خطبته، وصعب على بعض الرواة استحضارها جميعاً نصياً، لكنهم فهموا معانيها، وأوردوا تلك الأجزاء من الخطبة في روايات متفرقة ومناسبات متعددة وكان مما قال ﷺ فيها:<sup>(٥)</sup>

((أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل رباً موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا رباً، وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل، فهو أول ما أبداً به من دم الجاهلية. أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن

(١) ابن كثير، حجة الوداع، ص ٢٤١؛ وتفسيره، ج ١/٣٥٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/١٢٥.

(٣) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/١٢٦.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٣/١٦٩.

(٥) انظر: كتاب ألف عن الخطبة بعنوان: (الوصية النبوية للأمة الإسلامية)، للدكتور فاروق

حمادة، دمشق: دار القلم ١٤٢٢هـ.

يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا، يُحلُّونه عاماً ويُحرِّمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلُّوا ما حرم الله ويحرِّموا ما أحل الله. إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُمٌ ثلاثة متوالية ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نساءكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوانٌ لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولِي، فإنِّي قد بلغتُ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس اسمعوا قولِي واعقلوه، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت؟ فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم أشهد<sup>(١)</sup>.

وكان مما قال ﷺ: ((إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز وصية الوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٥؛ وانظر أجزاء منها عند: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٤٢.

صرفاً ولا عدلاً))،<sup>(١)</sup> ومما قال ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).<sup>(٢)</sup>

وقد وردت الخطبة بألفاظ أخرى مع اتفاقها في معنى ما أورده ابن هشام، ولعل بعضها يوم العيد أو غيرها ومن ذلك ما ورد عند البخاري في صحيحه من حديث أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: ((الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: ألا أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى ثم قال أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى قال: فإن دماءكم وأموالكم قال: وأحسبه قال: وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليلغ الشاهد الغائب منكم، فاعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق محمد ﷺ ثم قال: ألا هل بلغت؟ مرتين)).<sup>(٣)</sup>

ومن الواضح أن هذه الخطبة أو الخطب تعد دستوراً للإنسانية جمعاء عبر

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٠٥.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٦، ١٢٧.



العصور البشرية وأجيالها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي أهم الخطب التي نطق بها خاتم أنبياء الله ورسله ﷺ ، بأمر الخالق موجهة إلى الخلق ، فيها توحيد الله ، وحفظ حقوقهم البدنية والروحية والمادية ، وتحديد حقوق المرأة وكرامتها ، وتحريم الاعتداء على حقوق الآخرين ، والحرص على أداء الأمانة لأهلها ، وبدء نظام عالمي جديد يعتمد اقتصادياً على منع الربا ، وأمنياً على نسيان الماضي ، وما فيه من الدماء ، والحرص على حقها حاضراً ومستقبلاً ، وأخلاقياً على التحذير من الشيطان وعمله للإفساد بين الناس وإشاعة الإرهاب وسفك الدماء .

والتأكيد على المساواة بين الناس وأنهم إخوة وأصلهم واحد ، وتذكيرهم بالمرجع الشرعي ، وهو القرآن والسنة ، والرسول ﷺ يؤكد هنا على النظام والشرعية ومرجعيتها ، وبناء المجتمعات البشرية على ما نظمها لها خالقها ، لكي تصل إلى السلام فيما بينها ، وإلى رضا الخالق ﷻ وإلى التفاهم والحياة المدنية السليمة ، والحضارة الإنسانية القائمة على الأسس الصحيحة والمساواة بين الناس .

كما اتضح حرص الرسول ﷺ أن يشهد الناس بأنه أدى أمانة الرسالة ﷻ وقام بواجبها ، ولذلك لما سمع منهم تلك الشهادة رفع أصبعه إلى السماء وقال : "اللهم فاشهد" ، كان ﷻ يستشعر ما يعبر عنه الناس فيرفع بصره طالباً رضا الله ﷻ وهو المطلع عليه وعلى الناس .

وأكد ﷻ أن عرفة كلها موقف ، كما أكد في مزدلفة على أنها كلها موقف ، وأكد حينما نحر في منى أن كل منى منحراً<sup>(١)</sup> .

(١) انظر: مسند الإمام أحمد ، ج ٧٢/١ : وانظر: الطبري ، تاريخه ، ج ٤/١٧٠ .

وبعد خطبته ﷺ بعرفة<sup>(١)</sup> نزل عليه قوله - تعالى -: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّيَّتُهُ وَالِدُكُمْ وَالْحَمُّ وَالْحَنْزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقَسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة]، فلما سمع عمر الآية بكى. فقال النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة أما إذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت، فكانت هذه الآية تنعى رسول الله ﷺ.<sup>(٢)</sup>

ويأتي نزول الآيات تأكيداً لسماع الله لشهادة الناس بأن رسوله قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، لتؤكد الآيات كمال الدين وتتمام نعمة الله بأداء محمد ﷺ لمهمته وتأييده لرسالته، وتوديعه للناس وقرب رحيله وصدق قول الصحابة (كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندري ما حجة الوداع).<sup>(٣)</sup>

ومن المؤكد أنه كان للرسول ﷺ خطب أخرى متعددة في منى وفي مكة،<sup>(٤)</sup> سواء منها ما كان يوم النحر وصلاة العيد أم في غيرها، تناقلها

(١) البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ١٢٧/٥.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣٢٥/٣؛ وانظر رواية البخاري في صحيحه، ج ١٢٧/٥؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٥٧٩/١.

(٣) انظر: حديث ابن عمر عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ١٢٦/٥.

(٤) انظر: إبراهيم: محمد إبراهيم محمد، الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ، ص ١١٩ و ١٢٩.

العلماء والمحدثون، ونقلوا أجزاء منها.<sup>(١)</sup> ومن ذلك ما رواه ابن عمر في البخاري أن الرسول ﷺ: ((حمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال: ما بعث الله نبياً إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم إن ربكم ليس على ما يخفى عليكم، ثلاثاً، إن ربكم ليس بأعور وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية)).<sup>(٢)</sup>

وبعد نهاية الخطبة يوم عرفة أذن بلال بن رباح ﷺ، ثم أقام فصلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ركعتين، ثم أقام بلال مرة أخرى، فصلى رسول الله ﷺ بالناس العصر ركعتين، ثم ركب ناقته، وجعل بطن ناقته إلى الصخرات أسفل جبل الرحمة واستقبل القبلة وأخذ يدعو ﷺ.<sup>(٣)</sup>

فلما غربت الشمس أردف معه أسامة بن زيد ﷺ ثم أفاض من عرفات.<sup>(٤)</sup> وكان يذكر قول الله - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة]، وكان الرسول ﷺ يأمر الناس ((أيها الناس السكينة السكينة)).<sup>(٥)</sup>

وكان ﷺ يلبي، حتى إذا وصل إلى مزدلفة رفع بلال الأذان ثم أقام فصلى المغرب، ثم صلى العشاء قصراً، ثم نام ﷺ فلما طلع الفجر صلاها في أول وقتها ثم أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ يلح في الدعاء حتى أسفر، وهو مردف للفضل بن عباس ﷺ.

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٣٣.

(٢) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٥/١٢٦.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣/٣٢٤.

(٤) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب النزول بين عرفة وجمع، ج٢/١٧٦.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكينة، ج٢/١٧٦.

وقد روي أن النبي ﷺ (عاود الدعاء لأمته في المزدلفة، فأكثر الدعاء، فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لهم إلا ظلم بعضهم بعضاً، فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب المظلوم خيراً من مظلّمته، وتغفر لهذا الظالم، فلم يجبه هذه العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء، فأوحى الله إليه أنه غفر لهم كل شيء، فجعل إبليس يدعو على نفسه بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه).<sup>(١)</sup>

وأمر ابن عباس رضي الله عنهما أن يلتقط له سبع حجرات صغيرة للرمي قاس الناس عليها حجارتهم إلى اليوم،<sup>(٢)</sup> حتى وصل منى، فرمى جمرة العقبة راكباً بعد طلوع الشمس يكبر مع كل رمية،<sup>(٣)</sup> ثم رجع إلى منى وخطب في الناس صبيحة يوم عيد الأضحى.

وكان مما جاء في خطبته رضي الله عنه ((وبلال يقود براحلته، وأسامة بن زيد يظله بمنى ما قرر فيها تحريم الزنا والأموال والأعراض، وذكر حرمة يوم النحر، وحرمة مكة على جميع البلاد، فقال: يا أيها الناس أيّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأيّ بلد هذا، قالوا: بلد حرام، قال: فأيّ شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا، أعادها مراراً ثم رفع رأسه وقال: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأمرهم بأخذ مناسكهم عنه لعله لا يحج بعد عامه ذلك، وكان وقوفه بين

(١) أبو شهبة، السيرة النبوية، ص ٥٧٦.

(٢) انظر التخرّيج عند: إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، ص ٥٤٦.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية ج ٤/٣٧٣.

الجمرات، والناس بين قائم وقاعد))<sup>(١)</sup>.

ومما حُفظ من خطبته ﷺ: ((اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وأطيعوا إذا أمرتم تدخلوا جنة ربكم))<sup>(٢)</sup>.

وكان مما حفظ عنه ﷺ من تلك الخطب أيضاً: ((لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا أبيض على أسود ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس لآدم وآدم من تراب))<sup>(٣)</sup>.

وقد يظن البعض أن في ذلك خطأ من الرواة في تكرار المعاني لكن الذي يبدو والله أعلم أنه ﷺ تعمد التأكيد على بعض القضايا والمعاني في أكثر من خطبة في حجة الوداع، وليس خلطاً من الرواة، بل تكرار لما فيه المصلحة لبعض ما دار في خطبة الوداع في أكثر من موضع<sup>(٤)</sup>.

وبعد ذلك توجه ﷺ إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنةً (ناقة) بيده الشريفة، وهذا يوافق عدد سني عمره ﷺ، ثم أمسك وأمر علياً ﷺ أن ينحر ما بقي من المئة، وهذا يدل على فضل النحر وحرص الرسول ﷺ على قيامه بذلك بنفسه، وكان يكفيه أقل من ذلك العدد، لكنه ﷺ يدرك عظيم أجر النحر، ولذلك زاد ﷺ في العدد ولم يُعد هذا من الإسراف، بل من الطاعة والقربات إلى الله. كما يدل الموقف على مكانة علي بن أبي طالب ﷺ من الرسول ﷺ، حيث استكمل نحر ما أهدى رسول الله ﷺ، واختياره لهذا الأمر دون غيره، هو تكريم لعلي بن أبي طالب ﷺ لنيابته عن الرسول ﷺ في هذا الموضوع بخاصة.

(١) صالح العلي، صحيح السيرة النبوية، ص ٣٢٧.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٣٩٢.

(٣) الصلابي، السيرة النبوية، ج ٢/٧٨٠.

(٤) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ج ٢/٧٧٦.

وقد أكل رسول الله ﷺ من لحوم هديّيه، حيث أخذ من كل بدنة بضعةً وجعل ذلك في قدرٍ وطَبَخَ فأكل ﷺ من ذلك اللحم وشرب من مرقه، وقد أمر ﷺ بتفريق لحوم هديّيه وجلودها على الناس، وأمر بأن لا يُعطى الجزار أجره من لحمها.<sup>(١)</sup>

ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه الشريف، حلقه معمر بن عبد الله فبدأ بشقه الأيمن فحلقه، ثم شقه الأيسر، وذكر أنه أعطى نصف شعره لأبي طلحة الأنصاري، وهو زوج أم سليم، وأعطاه النصف الثاني وأمره أن يقسمه بين الناس.

وكانوا يتبركون بشعره وعرقه وريحه ﷺ، وقد قسم بين الناس الشعرة والشعرتين والثلاث.<sup>(٢)</sup>

وقد دعا الرسول ﷺ: ((اللهم اغفر للمحلقين، قالوا والمقصرين فأعاد رسول الله ﷺ وأعادوا ثلاثاً وقال في الرابعة والمقصرين)).<sup>(٣)</sup>

وبعد حلقه طيَّبته أم المؤمنين عائشة ﷺ بطيب حملته معها.<sup>(٤)</sup> وكان الناس يسألونه، منهم من قدّم الحلق، ومنهم من قدّم النحر، فيقول ﷺ: ((افْعَلْ وَلَا حَرْجَ)).<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب لا يعطى الجزار من الهدي شيء، ج ١٧٦/٢، وباب يتصدق بجلود الهدي، ج ١٨٦/٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، ج ٨٢/٤؛ وانظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحلق والتقشير والإحلال، ج ١٨٨/٥؛ العلي، صحيح السيرة، ص ٥٤٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣٢٨/٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحلق والتقشير عند الإحلال، ج ١٨٨/٢.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣٧٨/٣؛ وانظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ١٢٨/٥؛ وشرحه عند ابن حجر في فتح الباري، ج ٢٣٦/١٦.

(٥) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، ج ١٩/٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣٩٣/٤؛ وانظر: العلي، صحيح السيرة، ص ٥٤٨.

وتوجه بعد ذلك إلى مكة وطاف طواف الإفاضة، ثم شرب من سقاية العباس عليه السلام، وتوجه إلى زمزم فشرب منها عليه السلام وكان يحب أن ينزع مع بني عبد المطلب لكنه خشي أن يغلبهم الناس على سقيا زمزم فقال عليه السلام: ((انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم)).<sup>(١)</sup>

ثم رجع عليه السلام فبقي في منى لياالي التشريق يرمي جمرة العقبة والجمرات الأخرى الوسطى والصغرى، كل يوم بعد الزوال كل جمرة بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، وكان يأذن لأصحابه بزيارة البيت الحرام أيام التشريق.

كان عليه السلام يقصر الظهر والعصر والعشاء، ويُعلم الناس مناسكهم، ويجيب على أسئلتهم، ويحدثهم بما يُوحى لهم أنه مودّعهم، وقد انتشر الناس نزولاً بمنى المهاجرون والأنصار، ومختلف القبائل وكان عليه السلام يقول: ((منى مناخ من سبق)).<sup>(٢)</sup> وكان يُرخص للرعاة والضعفاء والنساء أكثر من غيرهم. وقد ورد أنه خطب الناس ثاني أيام التشريق ويسمى يوم الرؤوس،<sup>(٣)</sup> ودُكر في تلك الخطبة بعض ما ورد في خطبة عرفات وفي يوم النحر وزاد عليها، ومما قال عليه السلام: ((ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا إنه لا يحل مال امرئٍ مسلم إلا بطيب نفس منه)).<sup>(٤)</sup>

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٣٨١.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٣٩٨.

(٣) سُمِّيَ يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الهدْي؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٤٠٥.

(وما يزال يسمى بهذا الاسم عند عوام الناس في نجد والحجاز).

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٤٠١.

وقد ورد أنه نزلت عليه سورة النصر، قال - تعالى - : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر]، فعُرف أنه الوداع.<sup>(١)</sup>

وبعد فراغ أعمال الحج رحل ﷺ من منى ونزل بالأبطح في مكة، وهو مكان يطلق على خَيْفِ بني كنانة أو المخضب،<sup>(٢)</sup> وكان من أنسب الأمكنة استعداداً لخروجه ﷺ من مكة.

وقد ورد أن أسامة بن زيد ﷺ سأل النبي ﷺ: أين تنزل غداً فقال: ((وهل ترك لنا عقيل منزلاً، ثم قال: نحن نازلون غداً - إن شاء الله - بخيف بني كنانة، ويعني المخضب حيث تقاسمت قريش على الكفر)).<sup>(٣)</sup>

وفي صبيحة اليوم التالي صلى النبي ﷺ بالناس الفجر عند الكعبة وقرأ بسورة الطور كاملة، ثم طاف بالبيت سبعة أشواط ووقف في الملتزم بين الحجر وباب الكعبة وأخذ يدعو ﷺ.<sup>(٤)</sup>

وقد أمر ﷺ الناس بالطواف للوداع فقال: ((لا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرَ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ)).<sup>(٥)</sup>

وكان النبي ﷺ يراعى أحوال أصحابه وأمهات المؤمنين، فهذه عائشة ﷺ رغبت بعمره فما كان منه ﷺ إلا أن دعا عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٠٣؛ وانظر: حديث البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة ((إذا جاء نصر الله والفتح))، ج٦/٩٣ - ٩٤.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤١٠؛ إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ٥٤٩.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٠٧، من رواية البخاري.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤١١.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، ج٤/٩٣؛ والبخاري، صحيحه، باب طواف الوداع.



فقال له: ((أخْرُجْ بِأَخْتِكَ مِنَ الْحَرَمِ فَلْتَهَلِّ بِعَمْرَةٍ، ثُمَّ لَتَطْفِ بِالْبَيْتِ فَإِنِّي أَنْتَظِرُكُمْ، قَالَتْ فَخَرَجْنَا فَأَهَلَلْتُ ثُمَّ طُفْتُ بِالْبَيْتِ وَبِالْصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَجِئْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَنْزِلِهِ وَهُوَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: هَلْ فَرِغْتِ؟ قُلْتُ نَعَمْ فَأَذَّنَ فِي أَصْحَابِهِ بِالرَّحِيلِ)).<sup>(١)</sup>

وقد كان خروج الرسول ﷺ من أسفل مكة وتوجه إلى المدينة، وكانت هذه الحجة هي الأولى بعد الهجرة، والآخرة لرسول الله ﷺ، كما كانت هذه الزيارة هي الوداع لمكة، فلم يزرها ولم يرها رسول الله بعد ذلك حتى توفي ﷺ.<sup>(٢)</sup>

وفي مكة أثناء حجة الوداع كان ﷺ حريصاً على متابعة أصحابه وتفقد أحوالهم في الحج، فرغم انشغاله بعموم الحجيج فقد علم بمرض سعد بن أبي وقاص ﷺ وهو ذو صحبة قبل الهجرة وبعدها، وأحد المبشرين بالجنة، فعاده النبي ﷺ ففي حديث سعد بن أبي وقاص في البخاري قال: (عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلِّغْ بِي مِنَ الْوَجْعِ مَا تَرَى وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثَلْثِي مَالِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالْثَلْثُ؟ قَالَ الْثَلْثُ، وَالثَّلْثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذَرِيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تَتَفَقَّ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أَجْرَكَ اللَّهُ بِهَا، حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَأَخْلَفَ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَخْلَفَ فَتَعْمَلْ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري، في باب الحج على الرحل وباب قوله - تعالى - : ((الحج أشهر معلومات)): ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، بيان وجوه الإحرام؛ وانظر: العلي، صحيح السيرة ص ٥٣٤؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/ ٤١٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/ ١٢٦.

أزدت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الأمر لطف النبي ﷺ ورفقه ومحبته لأصحابه وتفقد له لهم، كما أن فيه معجزة لرسول الله ﷺ، فقد بقي سعد بن أبي وقاص ﷺ وعاش مدة بعد النبي ﷺ، وقاد جيوش المسلمين في القادسية وفي فتح المدائن، حيث دخل عاصمة الفرس مكبراً مهلاً رافعاً صوته بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهكذا صدق فيه قول الرسول ﷺ: ((ولعلك تُخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون))<sup>(٢)</sup>.

#### وقفات عند حجة الوداع:

- هي الحجة الوحيدة التي شهدتها الأمة مع رسول الله ﷺ، وأخذت منه أحكام الحج وتشريعاته مباشرة.

- كثرت الروايات عنها من شهود عيان مرافقين للنبي ﷺ، فقد صحبته أمهات المؤمنين وظهرت حكمة تعددهن، ولكل واحدة منهن حالها، مع نساء أخريات مما أوجد فتاوى متعددة في الحج حسب حالاتهن وما حدث لهن.

- كان الناس شهوداً يأخذون الحج من رسول الله ﷺ مباشرة، كما قال ﷺ: ((خذوا عني مناسككم))، كما أن روايات الخطب التي ألقاها ﷺ وعلى رأس ذلك خطبة عرفات، جاءت متعددة يكمل بعضها بعضاً، دون تعارض بينها. وقد يكون التكرار مقصوداً لذاته بين خطبة وأخرى

(١) البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ١٢٧/٥.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ١٢٨/٥.

لاختلاف السامعين أحياناً ولتأكيد قضية في أذهان الناس، كما كان شهود العيان عن قبائل ومناطق شتى شهدوا النبي ﷺ وعرفوا وصاياه، وحملوها في كل أنحاء بلاد العرب وخارجها.

- استشهد النبي ﷺ الناس، وأمرهم أن يبلغوا ما سمعوا وسُـرَّ ﷺ بشهادتهم أنه بلغ حيث كان على يقين أن الله سيسأله عن ذلك.

- حرص ﷺ في خطبه المتعددة على تأكيد توحيد الله - تعالى - وأنه مرسل من عنده بما فيه الخير للبشرية، وأكد على أهمية حقوق العباد وصيانة دمائهم وأموالهم، وعدم اعتداء بعضهم على بعض، أو ظلم أحد لآخر، وكذلك على صيانة حقوق المرأة وعدم استضعافها، وقطع صلة الأمة بالجاهلية وأنظمتها الفاسدة في كل مجال، ومنها المجال الاقتصادي بتحريم الربا، وكذلك الزنا، وسائر الظلم، كما أكد في خطبته على المساواة بين الناس، وتحريم الاعتداء على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

- أكد ﷺ أن هنالك نظاماً ومرجعاً يتحاكم الناس إليه، وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن الأمة لن تضل إن تمسكت بهما، ومن هذا فالصلاحية دائمة للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا يُحمّل الأمة وأفرادها مسؤولية تعلم القرآن والسنة وتعليمهما للناس جيلاً بعد جيل.

- وقد أكد ﷺ على الحضور ضرورة التبليغ: ((فليبلغ الشاهد الغائب فرُب مبلِّغ أوعى من سامع)).<sup>(١)</sup>

- وقد طبق ﷺ هذا الأمر بنفسه، فاستغل كل مناسبة ليربي الناس ويعلمهم ويفتيهم ويرشدهم ﷺ.

(١) انظر: نص الخطبة، من هذا الكتاب.

- وأظهر الله - سبحانه - تمام هذا الدين بنزول آية الإكمال ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ أَلْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة].

- كما استبشرت الأمة بنزول سورة النصر، وحرز الصحابة، حيث فهموا منها قرب أجل رسول الله ﷺ. وكانت هذه الحجة وداعاً حقيقياً من الأمة لنبيها ﷺ ومن النبي ﷺ لأمته، حيث أشهد الله على شهادتهم له بأدائه الأمانة.

- كان الحج - وعلى رأسه التلبية والدعاء في سائر شعائره - توحيداً وتعظيماً لله وبُعداً عن الإشراف به وأداءً للنسك كما أمر الله - تعالى - : ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة].

- حرص الرسول ﷺ على الرفق والسكينة في الحج، وأمر الناس بذلك، ويسر أحوال الضعفاء من النساء والرعاة وغيرهم.

- ارتبطت كثير من شعائر الحج بآيات قرآنية سواء منها سورة الحج التي سميت بهذا الاسم أم الآيات القرآنية الأخرى المرتبطة به ومن ذلك قوله -

تعالى - : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]، وقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الصَّمَا وَالْمُرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة].

- مطلوب في الحج بعدُ الناس عن الرفث والفسوق، قال - تعالى - : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة]، وتأتي الآية التي تؤكد فريضة الحج للمستطيع: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيْنَتُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران]، لتؤكد مبدأ التيسير وهو أن الحج للمستطيع وليس واجباً على من لا يقدر عليه.

- تميزت أيام الحج بتسميات خاصة لها معانٍ، من ذلك يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق وهي الواردة في قوله - تعالى - : ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة].

- أن مما تعلمته الأمة من نبيها ﷺ السماع له في محبة أهل البيت عموماً وتقديمهم وتفضيلهم، وخاصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فنقل عنه أهل السنة تلك المحبة والتقدير لأمير المؤمنين علي ﷺ ولأبنائه ولسائر

أهل البيت. والذي علمنا هذه المحبة ﷺ هو الذي علمنا التوحيد وليس شرطاً لمحبة علي وآل البيت أن يُغَالَى فيهم فَيُخْرَجُوا من بشريتهم ويُشْرَكَ بهم من دون الله حتى يصل البعض إلى تآليهم وعبادتهم ودعائهم من دون الله. وهم بحاجة لمن يدعو لهم، لا من يدعوهم بعد موتهم، فحاشا لله أن يرضى رسول الله ﷺ أو أهل بيته الطيبين الطاهرين بذلك.

- وهذا الغلو ليس محبة بل هو شركٌ أكبر يُرْضِي الشيطان ويُبْعِدُ عن آل البيت وما يرضيهم، أكثر من أن يقرب إليهم. وهذا لا يجوز مع النبي ﷺ نفسه ولا أحد من أهل بيته، وما غضب الله على النصراني إلا لغلوهم في عيسى ﷺ، فאלلهم احشرونا مع الموحدين ومع آل البيت الطيبين.

- كما تأتي وصيته ﷺ بآل بيته تمهيداً للقاء ربه ﷻ، ولم يبق رسول الله ﷺ بعد هذه الحجة إلا قرابة ثلاثة أشهر. وصدق قوله ﷺ للناس: ((لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحجُّ بعد حجتي هذه)).<sup>(١)</sup>

#### حديث غدير خم:

وقعت الحادثة أثناء عودة رسول الله ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة، فكل المسلمين يعرفون أن علي بن أبي طالب ﷺ ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، من أحب الناس وأقربهم إليه وله منزلة خاصة فهو زوج فاطمة ووالد الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ، أول من أسلم من الشباب، وأحد العشرة المبشرين، بالجنة أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين ﷺ.

بعثه النبي ﷺ في مهمة إلى اليمن فكان محسناً أميناً صادقاً، ولعل بعض

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر، ج٤/٧٩؛ أحمد في مسنده، ج٣/٣١٨.

من كان معه نقموا عليه لأنه لم يفضلهم على غيرهم، كان أميناً حقاً عادلاً ومنصفاً. ومن المعروف أن علياً عليه السلام وصل إلى مكة أثناء وجود الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقبل يوم عرفة، وقد انشغل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه في الحج.

وفي طريق العودة إلى المدينة، وفي موضع ماء يسمى غدير خمّ أو قبله تكلم بعض من صحب علياً في سفره إلى اليمن في عليّ أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فدافع عنه صلى الله عليه وسلم، ففي حديث زيد بن أرقم قال: ((قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطيباً بماء يدعى خمّاً، بين مكة والمدينة. فقال: أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ربي، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)).<sup>(١)</sup>

وقد ورد في ألفاظ أخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال وقد أخذ بيد علي: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا: بلى قال: فهذا ولي من أنا مولاه اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه)).<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، فضائل الصحابة، باب من فضائل علي صلى الله عليه وسلم، ج٧/١٢٣؛ وانظر تخريجه عند صالح العلي، صحيح السيرة، ص ٥٥٠، ٥٥١.

(٢) أخرجه النسائي في سننه، المقدمة، في فضل علي بن أبي طالب صلى الله عليه وسلم، ح برقم: ١١٦، ج١/٤٣؛ وانظر تخريجه عند: صالح العلي، صحيح السيرة، ص ٥٥١؛ وعند محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٥٨١؛ وانظر: تخريج ابن كثير للحديث في السيرة النبوية، ج٤/٤٢٥.

ولا شك أن علياً أُوذي من بعض رجال الجيش الذين صحبوه إلى نجران، كما أُوذي النبي ﷺ من بعض المشاركين في جيش حنين.

والأمة كلها تجمع على موالاته علي ﷺ ومحبته والدفاع عنه، وعلى رأس ذلك أهل السنة والجماعة، وأولهم أصحاب النبي ﷺ الذين سمعوا مقاتلته في غدير خم وفي غيرها وعلموا محبته ﷺ لعلي، فأحبوه زيادة كما كانوا يحبونه سابقاً، وهو أهل لذلك، ولو سمعوا منه ﷺ شيئاً آخر يتعلق بالخلافة وغيرها لما تركوا وصية الرسول ﷺ، خصوصاً أن هذا ليس أمراً هيناً يتجاوز فيه، ولا يعقل أن يكون قال شيئاً من ذلك، ولم يكتشفه هذا الجمع الكبير وهم من الصحابة ولم ينقله التابعون ثم يزعم أناسٌ متأخرون أنهم أعلم بقول الرسول ﷺ من الصحابة أنفسهم الذين سمعوا منه مباشرة وشهدوا الحادثة.

فحاشا لله أن تكون أمة محمد ﷺ وتربيته من الصحابة من السوء بما يزعم هؤلاء الغلاة في علي ﷺ الذين وصل بعضهم في غلوه إلى تأليه علي وعبادته، وحاشا لله أن يتركوا شيئاً أمر به ﷺ، ونحن نعلم أن علياً ﷺ لم يقل به وهو أشجع الناس في زمانه، وليس هؤلاء الطاعنون في الصحابة بأشجع من علي، ولا أكثر محبة لعلي من أصحاب رسول الله ﷺ، فاللهم احشرونا مع علي وأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ من أصحاب رسول الله ﷺ.

بعث جيش أسامة بن زيد: <sup>(١)</sup>

كانت الروم تسيطر على بلاد الشام، وقد كتب رسول الله ﷺ إلى

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، ج ١٤٥/٥.



ملكهم هرقل في السنة السادسة من الهجرة كتابه المشهور.<sup>(١)</sup>

وكانت غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة إلى أطراف الشام الجنوبية، نواحي الأردن، حيث استشهد عدد من الصحابة، منهم عبد الله ابن رواحة وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة (قائد الجيش) مولى رسول الله ﷺ،<sup>(٢)</sup> وتبع ذلك غزوة تبوك التي قادها الرسول ﷺ قريباً من الأردن، حيث حدود الروم وسيطرتهم، إلا أن الرسول ﷺ لم يلق كيداً،<sup>(٣)</sup> حيث إن ملك الروم أمر بعدم الاحتكاك بقوات المسلمين. ولعل قناعته بأن المسلمين قادمون لنشر الإسلام فيما تحت قدميه من الشام وغيرها وأن هذا موعود إلهي عرفه كان وراء امتناعه عن مقاومتهم.

وعاد الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن عاهد عدداً من زعماء المنطقة وأوضح قوة المسلمين وسيطرتهم وتطلعهم لما وراء تبوك.

وبعد عودته ﷺ انشغل بعدة أمور منها حجة الوداع، وعقب عودته إلى المدينة من الحج واستقرار الأمور في بداية السنة الحادية عشرة من الهجرة ندب ﷺ الناس لغزوة الروم في أواخر شهر صفر واستدعى ﷺ (أسامة بن زيد بن حارثة)، وهو ابن شهيد وقائد مؤتة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ - رضي الله عنهما -، وكان شاباً صغيراً في الثامنة عشرة من عمره وأمراً ﷺ<sup>(٤)</sup> قائلاً: ((سرّ إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا

(١) انظر: كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل، من هذا الكتاب.

(٢) انظر: غزوة مؤتة، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: غزوة تبوك، من هذا الكتاب.

(٤) ابن سعد، الطبقات، السيرة من الطبقات، ج ٢/٢٤٨؛ وانظر ترجمته في: المعاشون للنبي

ﷺ، من هذا الكتاب.

الجيش، وأسرع السيرَ تسبق الخبر، فإن ظفرك الله بهم فأقلَّ اللَّبْثَ فيهم  
وخذ معك الأدلاء، وقدّم العيون والطلائع)).<sup>(١)</sup>

كان هدف الجيش محددًا وهي تخوم البلقاء من أرض فلسطين،<sup>(٢)</sup>  
والهدف واضح هو إثبات القوة وبسط السيطرة، والخطة واضحة وهي سرعة  
إنجاز المهمة وعدم الإطالة فيهم.

وقد انتدب ﷺ عددًا كبيراً في هذا الجيش قُدِّر بثلاثة آلاف مقاتل،<sup>(٣)</sup>  
كان منهم شيوخ الصحابة أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.<sup>(٤)</sup>

وقد استغرب بعضهم تولية أسامة بن زيد؛ وهو شاب حدث على شيوخ أسنّ  
من أبيه أسلموا قبل ولادته، وهم أهل قدرة على القيادة ودراية، فبلغ ذلك  
رسول الله ﷺ فقال: ((إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه  
من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ،  
وإن هذا لمن أحب الناس إلى من بعده)).<sup>(٥)</sup>

وعقد ﷺ لواء أسامة بيده وسلمه إليه، ووجهه بتوجيهات وعسكر  
بجيشه بالجرف شمال المدينة انتظاراً لأمر رسول الله ﷺ له بالانطلاق، إلا  
أن مرض الرسول ﷺ حال دون تحرك الجيش، حيث استمر في معسكره  
أثناء المرض وبعد وفاة الرسول ﷺ شاركوا في الصلاة عليه، وعادوا  
لمعسكرهم بانتظار أمر أبي بكر الصديق الذي أنفذه، كما خطط

(١) ابن سعد، الطبقات، السيرة من الطبقات، ج٢/١٩٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/١٠٥٦.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٣/١١٢٠.

(٤) ابن أبي شيبعة، المغازي، ص ٣٧٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه  
الذي مات فيه، ج٥/١٤٥؛ وابن أبي شيبعة، المغازي، ص ٣٧٦.

وأوصى بذلك ﷺ: ((أنفذوا جيش أسامة)).<sup>(١)</sup> فكان في تحرك الجيش وقيامه بمهمته بركة عظيمة على الإسلام ودولته التي تربص بها الأعداء بعد وفاة الرسول ﷺ، فكانت حركة الجيش مخيفة للأعداء المتربصين، الذين عادوا للحفاظ على مواقعهم بدلاً من التفكير بغزو المدينة، كما أثبتت لروم استمرار المسلمين في السير على خطط الرسول ﷺ التي بدأها بنفسه لنشر الإسلام في الشام وغيرها، مما هو تحت سيطرة الروم، وأن وفاة الرسول ﷺ لم توقف مد الإسلام، حيث وضع ﷺ خطته لنشر نوره في الشام وما جاوره بعد وفاته ﷺ.

كان أسامة ومن معه امتداداً لوالده (زيد بن حارثة) ومن معهم ممن حمل دعوة لا إله إلا الله.

كما أن تعيين أسامة وإبقاء أبي بكر له بعد توليته الخلافة إعلاناً للجميع بنبذ العصبية، والسير على منهج رسول الله ﷺ في مراعاة مصالح الأمة والبعد عن العصبية، وأن القيادة لمن هو أفضل للأمة، وليس لذوي الحسب والنسب فقط أو لكبار السن، وفيها أيضاً إعلان صريح بحب رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد ولوالده من قبله ﷺ.

\*\*\*\*\*

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٢/١٩١.

### إقامة دولة الإسلام

كان واضحاً منذ بعثة الرسول ﷺ ، أنه يسعى لنشر توحيد العبودية لله ﷻ ، وإقامة دولة رحيمة ونظام عادل يطبق فيه شرع الله على خلقه ، والشرع كله رحمة وعدل.

ومنذ الأيام الأولى للدعوة في مكة كان ﷺ يبشر أصحابه بانتشار الإسلام في كل مكان وغلبته على الشرك وأنظمتها المختلفة.

ومكة وما حولها التي بدأت فيها رسالة الإسلام ، كانت عديمة النظام قائمة على الأعراف والعادات التي كان معظمها ظالماً جائراً ، فليس فيها تشريع محدد ولا نظام مؤسسي ولا قضاء منصف ، ولا شريعة معلومة ، وكانت تسود بينهم الموبقات كالزنا والخمر ، وأكل الربا ، وواد البنات ، والقتل واحتقار المرأة ، وبالتالي فإن مكة وما جاورها بجاهليتها حاولت منع انتشار الإسلام بما يحمله من نظام وعدل وإنصاف أوله التوحيد.

والإسلام كما نعرف جاءت تشريعاته في أوقات متفرقة ، لكن ملامحه واضحة منذ البداية ، وهي حفظ حق الله وحقوق عباده ، والرحمة والعدل والمساواة بين الناس ، والإحسان في كل شيء ، مع سياسة داخلية وخارجية لهذا المجتمع تراعي الحقوق والعدل وهذه أهم المقومات لأي مجتمع مدني متحضر.

وحين صعب الأمر على الرسول ﷺ في تحويل مكة إلى مجتمع ودولة مسلمة بدأ يبحث في الأماكن والقبائل الأخرى عن يعينه ، بمكان مناسب وقوم مساندين لدولة الإسلام ، يعيش فيها المسلمون في مجتمع إنساني مسلم مسالم متعاون ، مكونين أمة تفوق الأمم الأخرى وترتبط بالله وشرعه لتتقود

البشرية للسعادة والكمال ولتتصف نفسها ، وأصحاب الديانات الأخرى ممن يطلبون الحياة الكريمة.

ولذلك أخذ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل أثناء الحج وغيره من مواسم العرب وأسواقها باحثاً عن يؤويه وينصره ليقوم مجتمعاً لا يُفَرِّق فيه بين العرب والعجم قادراً على تنظيم نفسه والدفاع عن كيانه أمام الأعداء المختلفين ، محصناً بالعدل والإيمان.

وبعون رباني وجد رسول الله ﷺ ما ينشده في الأنصار من أهل المدينة ، الذين قابلوه في موسم الحج وسمعوا له وصدقوه واستعدوا ليجعلوا مدينتهم قاعدة لدولته المرتقبة ومجتمع السلم المسلم ، ورجالهم جنداً مناصرين بالنفس والمال لهذا الدين وما يتطلب من نظام.

يقول محمد حميد الله في كتابه: "الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة": (إن السياسة الحكومية في العهد النبوي - على صاحبه السلام - كانت قد أقيمت أساساتها قبل الهجرة إلى المدينة في بيعتي العقبة الأولى والثانية).<sup>(١)</sup> وتم تطبيقها بالتدرج عملياً بعد الهجرة ، حتى اكتمل بناء الدولة.

وقد ألّفت كتب وأبحاث مختلفة عن قيام دولة الرسول ﷺ ونظامها ووظائفها والقائمين عليها ، ولعل من أبرز ذلك ما كتبه الخزاعي في تخرّيج الدلالات السمعية،<sup>(٢)</sup> الذي شُرح من قبل الشيخ عبدالحى الكتاني في

(١) محمد حميد الله ، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ٢١ .

(٢) الخزاعي ، أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت ، ٧٤١هـ) ، تخرّيج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنایع والعمالات الشرعية ، حققه : أحمد محمود أبو سلامة ، القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٠١هـ .

كتابه: "نظام الحكومة النبوية" المسمى التراتيب الإدارية، وكذلك ما كتبه عون الشريف قاسم في كتابه: "نشأة الدولة الإسلامية". وقد قال الكتاني في مقدمة كتاب التراتيب الإدارية: (كان ﷺ يشغل منصب النبوة الديني على قاعدة جمع دينه القويم بين سياسة الدين والدنيا جمعاً مزج بين السلطتين، بحيث كادا أن يدخلتا تحت مسمى واحد وهو الدين وكذلك وقع، كانت الإدارات اللازمة للسياستين على عهده صولجانها دائر والعمالات بآتم أعمالها إلى الترقى، والعمل سائر).<sup>(١)</sup>

لقد كان التنظيم النبوي لأعمال الإدارة ووظائف الأمة، وترتيب الدولة وما حملة من أمثلة في السيرة والسنة أساساً اقتبس منه المؤلفون والفقهاء في كتب الأحكام السلطانية، ما استندوا عليه في التنظير للنظم الإسلامية وإدارة الدولة في مختلف العصور، سواء منها الإدارة السياسية، أم المالية، أم العسكرية، أم الاجتماعية وغيرها.

لقد كان بين تلك النظم والتشريعات وبين الوقائع التاريخية تلاحم وترابط جعلنا نعرف تفصيلات أدق عما طبقه الرسول ﷺ من أجل بناء الدولة الإسلامية ومجتمعها وتكوين أول حكومة ونظام سياسي في الإسلام كان نواة لما جاء بعده من أنظمة ودول مختلفة وتفاوتت فيما بينها بالأخذ من سنته ﷺ في هذا الجانب.

لقد كان الظلم يقع على أصحاب رسول الله ﷺ في مكة، فبيشّرهم بأنه سيأتي يوم يمنع فيه الظلم ويقام فيه العدل ليس في مكة وحدها، بل في أصقاع كثيرة يعرفونها، فحينما اشتكى له خباب بن الأرت ما كان يتعرض له من أذى، وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو على من ظلمه، قال له

(١) عبدالحى الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ١/٩.

ﷺ: ((لِيُتَمَّنَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ)).<sup>(١)</sup>

كان موعود الله ورسوله بانتصار الإسلام واستخلاف المسلمين في الأرض والتمكين لهم، يعني أمنهم، وبالتالي قيام تنظيم ونظام يتحقق من خلاله الاستقرار، يجمع بين التشريع وتطبيقه في الواقع من خلال سياسة الدنيا بالدين، هذا الوعد كان واضحاً في قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]. إن الاستخلاف في الأرض يعني حكمها وتنظيمها وسياستها وإدارتها.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصر]، وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

لقد كان واضحاً للرسول ﷺ أن النظام الإسلامي السياسي الذي أسس له ﷺ سيرت الأنظمة العالمية المعاصرة، كنظام الأكاسرة في فارس، ونظام القياصرة عند الروم. فقد روى جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لَتَفْتَحَنَّ أَرْضَ كَسْرَى عَصَابَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ))،<sup>(٢)</sup> وفي أثناء حفر الخندق قبيل غزوة الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة اعترضت لبعض الصحابة

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة، ج ٥/٢٣٨.

(٢) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٧١.

صخرة فقام الرسول ﷺ ليحطمها، وحين ضربها برقت منها بارقة فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثانية فبرقت، فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها الثالثة، فكبر وكبر المسلمون معه، وقد قال ﷺ إثر الضربة الأولى: ((اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَبْصُرُ قُصُورَهَا الْحَمْرَاءَ السَّاعَةَ، ثُمَّ ضَرَبَهَا الثَّانِيَةَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارَسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَبْصُرُ قُصُورَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ، ثُمَّ ضَرَبَهَا الثَّلَاثَةَ، وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، إِنِّي لِأَبْصُرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي السَّاعَةَ)).<sup>(١)</sup>

كان ﷺ يُربي أصحابه على امتداد الإسلام ودولته إلى أصقاع الأرض المختلفة وأن المسلمين سيفتحونها، ليحولوا الناس إلى عبادة الله ﷻ في نظام مؤسسي ديني إداري سياسي عرفه العوام والخواص من المسلمين، ولذلك نجد ربيعي بن عامر يتحدث عن هذا الهدف النبيل الدافع لإقامة نظام يسود فيه العدل بين الإنسانية؛ قال لرستم وهو يحاوره قبيل معركة القادسية: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام...)<sup>(٢)</sup>.

لقد سعى رسول الله ﷺ منذ أيام دعوته الأولى إلى قيام نظام إنساني يسوس الناس على العدل والمساواة. وقيام دولة الرسول ﷺ تدرجياً انطلق مع الدعوة والنبوة، وتأكد بعد الهجرة، ونما وازدهر بعد فتح مكة حتى سادت دولة الرسول ﷺ معظم أنحاء الجزيرة العربية، وشغل ﷺ منصب القيادة العليا في الدولة الإسلامية مع شرف النبوة والرسالة في وقت واحد، وأعد

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٤/٣٠٣، وحسنه عدد من العلماء منهم ابن حجر؛ انظر: د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج٢/٤٢٣.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/١٠٦.



أصحابه من بعده لتنظيم العالم كله وإقامة التوحيد والعدل.

وقد ضبط ﷺ أمور الدولة بأنظمة ومناصب وعمالات ووظائف استقامت بها دولته وسارت أحوالها ، ونظمت قوتها البشرية والمالية والاجتماعية والأمنية وسائر أمورها الداخلية والخارجية.<sup>(١)</sup>

وهذه الإدارة الفعالة المتميزة كانت جزءاً من الدين الإسلامي الذي حمله ﷺ رحمة للبشرية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء]، حيث جمع ﷺ بين الدين والدنيا بشكل أدهش المسلمين وغيرهم.

يقول مايكل هارت (Michael H. Hart) في كتابه: "أعظم مئة رجل في تاريخ البشرية *Aranking the most inflontial persons*":

(إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً مما يخول محمداً ﷺ أن يُعدَّ أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية).<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) انظر: د. عبدالعزيز العمري، مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية ص ١٤.

(٢) مايكل هارت، المئة الأوائل، ص ٢١.

## تنظيم الدولة وولاياتها

كانت بلاد العرب وخصوصاً الحجاز ونجد، بعيدة عن التنظيم السياسي والإداري، خاضعة للأعراف والقبائل التي تدير نفسها عشوائياً، دون سياسة ودولة معينة في الغالب، فلم يعرف في مكة قيادة مسموعة وإدارة مسئولة، ولا في المدينة شيء من ذلك، حيث ساد عندهم التنظيم القبلي وأعرافه، فرغم أنهم سكان مدن إلا أنها كانت دون تنظيم أو إدارة محددة، حتى أصبحت تحت حكم الرسول ﷺ.

لقد كانت إدارة الحكم وتنظيمه إحدى العلامات البارزة التي جاءت في القرآن يقول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ٥٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

ويقول - تعالى -: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَبْرِهِ، وَرُسُلَهُ، بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥﴾ [الحديد].

كان الرسول ﷺ رأس الدولة، ويعين الموظفين والعمال<sup>(١)</sup> وكان ﷺ حريصاً على الإدارة وترتيب المسؤوليات. ومنذ بيعة العقبة الثانية نظم الرسول ﷺ المبايعين وطلب منهم أن يخرجوا له نقباء من بينهم يكونون مسئولين عن

(١) انظر: عمال الرسول ﷺ على البلدان عند خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٠، (تسمية عماله ﷺ)؛ وعبدالعزیز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٣٩، (الولاية على البلدان في العصر النبوي).

الآخرين لتلقي الأوامر والتوجيهات ومتابعة التنفيذ كل فيما يخصه.<sup>(١)</sup>

وكانت البيعة من الرجال والنساء ذات معنى خاص<sup>(٢)</sup> وردت في كتاب الله، يقول الله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة].

كانت أوامر الرسول ﷺ واضحة في ترتيب المسؤولية في أي تجمع قليل أو كثير، فقد قال ﷺ: ((لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم)).<sup>(٣)</sup>

وكان ﷺ يسوس أمور الدولة العسكرية والمدنية فيبعث الجيوش والسرايا، ويرتب قيادتها، بل يتخذ الاحتياطات حتى لا يشغرها منصب القيادة فيها، ففي غزوة مؤتة استخلف رسول الله ﷺ على جيش مؤتة زيد بن حارثة وقال: ((فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبدة الله بن رواحة، فإن أصيب فليترض المسلمون رجلاً)).<sup>(٤)</sup>

لقد كان التنظيم وترتيب القيادة والسمع والطاعة لها بالمعروف مما ربي عليه الرسول ﷺ الأمة.

لقد أصبحت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وكان الرسول ﷺ هو الحاكم الفعلي للمدينة المنورة، وهو الذي يهتم بإدارة شؤونها، كما كان

(١) انظر: تفصيلات ذلك في بيعة العقبة الثانية، من هذا الكتاب.

(٢) الكتاني التراتيب الإدارية ج١/٢٢٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/١٧٧.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي ص ٣٦٧؛ ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٦؛

انظر: غزوة مؤتة، من هذا الكتاب.

الرسول ﷺ يستخلف على المدينة من يختاره من أصحابه أثناء غيابه عنها ، وقد ذكر أصحاب السير عند كل غزوة اسم من استخلفه الرسول ﷺ على المدينة.

ومن أشهر الذين ولّاهم الرسول ﷺ على المدينة أثناء غيابه: عبدالله بن أم مكتوم،<sup>(١)</sup> حيث ذكر أنه ولاء قرابة ثلاث عشرة مرة،<sup>(٢)</sup> منها في غزوة بدر،<sup>(٣)</sup> ومنها في غزوة حمراء الأسد وغيرها من الغزوات،<sup>(٤)</sup> كما استخلف الرسول ﷺ عثمان بن عفان على المدينة المنورة في بعض غزواته.<sup>(٥)</sup>

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة في غزوة تبوك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، وحينما شق الأمر على علي ﷺ ، قال له الرسول ﷺ : ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)).<sup>(٦)</sup> وعلى العموم فإن الرسول ﷺ كان يحرص باستمرار على بقاء مَنْ ينوب عنه في تصريف أحوال المدينة ، ولو كانت فترة غيابه قصيرة. وهذا يعطينا دلالة عظيمة على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الجانب الإداري والتنظيمي في الحكومة النبوية.

وحينما اتسعت الدولة الإسلامية في عصره ﷺ وتجاوزت حدود المدينة

- 
- (١) عبدالله بن أم مكتوم ، صحابي قرشي أسلم قديماً في مكة ، كان من المهاجرين الأولين ، وهو الأعمى المذكور في سورة (عبس) استشهد في معركة القادسية (ابن حجر ، الإصابة ، ج٢/٥٢٥).
- (٢) ابن حجر ، الإصابة ، ج٢/٥٢٣.
- (٣) خليفة بن خياط ، ص ٩٦.
- (٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣/١٠١ ، ١٠٢.
- (٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ج١/١٤٨.
- (٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، ج٥/١٢٨ ؛ والإمام أحمد في مسنده ، ج١/١٨٢.

المنورة، أخذ الرسول ﷺ يرسل العمال من الولاة والقضاة وغيرهم إلى مختلف المناطق والأقاليم، بل أرسلهم - أيضاً - إلى القبائل، لأمر عدة وبصلاحيات منضبطة، حددها لهم الرسول ﷺ وهي في مجملها ضوابط عامة، وقد يختلف بعضها من إقليم إلى إقليم ومن ولاية إلى ولاية.

\*\*\*\*\*

## أهم الولايات التي عرفت في العصر النبوي

### ولاية اليمن:

أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الولاة والقضاة إلى اليمن في أوقات مختلفة وبأهداف واختصاصات محددة لكل والٍ من هؤلاء، سواء أكان اختصاصه محددًا بإقليم معين أم بأعمال معينة، كجمع الصدقات وتوزيعها أو غير ذلك. وقد برزت أسماء كثيرة لولاة على اليمن في عصر الرسول ﷺ كان أشهرهم معاذ بن جبل رضي الله عنه،<sup>(١)</sup> الذي أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن أميراً لأمرأه الرسول<sup>(٢)</sup> فيها وقاضياً ومعلماً، وقد كان من أبرز مهام معاذ رضي الله عنه في اليمن تعليم الناس الدين والشريعة، والقضاء بين الناس، إضافة إلى جمع الصدقات مع العمال الآخرين الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى اليمن.<sup>(٣)</sup>

وقد أمر الرسول ﷺ معاذًا بأمر شرعية تتعلق بالزكاة والأطعمة اشتهرت عن معاذ رضي الله عنه.<sup>(٤)</sup>

استمر رضي الله عنه في تأدية عمله بقية عصر الرسول ﷺ، فكان يأخذ الصدقات من الأغنياء ويردها على الفقراء مما زاد في انتشار الإسلام وزيادة رقعته في

(١) معاذ بن جبل: ابن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل شهد معظم المشاهد مع الرسول ﷺ، وجاهد في الشام مع أبي عبيدة بن الجراح، وبها توفى في طاعون عمواس سنة ١٧هـ (ابن حجر، الإصابة ج٣/٤٢٦).

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، ج١٠٧/٥؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٩٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٨١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٨٠.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص ٨٣؛ انظر: صحيح البخاري، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، ج١٠٨/٥ - ١٠٩.

اليمن، وكان معاذ يقوم بالولاية على منطقة (الجند)،<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى إشرافه العام على بقية الولاة.

وإلى جانب معاذ هناك العديد من الولاة الذين تقاسموا اليمن وحضرموت، وارتبطوا بأقاليم محددة، واستمروا يؤدون رسالتهم على أكمل وجه، حتى إذا قامت الفتنة في اليمن قبيل وفاة الرسول ﷺ وظهر فيها الأسود العنسي الكذاب، اشترك الولاة في دفع هذا الخطر، ومحاربة المرتدين مع الأسود العنسي الكذاب، حتى استقر الأمر للإسلام في اليمن، في عهد أبي بكر الصديق ﷺ.<sup>(٢)</sup>

#### مكة المكرمة:

دخلت تحت السيادة الفعلية للحكومة النبوية بعد فتحها في العام الثامن من الهجرة، وقد عين الرسول ﷺ والياً عليها (عتاب بن أسيد بن أبي العيص).<sup>(٣)</sup> وقد استمر أميراً على مكة أيام الرسول ﷺ، وأيام خليفته أبي بكر ﷺ، وتوفي في أول خلافة عمر ﷺ.<sup>(٤)</sup> وقد دارت بين الرسول ﷺ وبين

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ١٢٦: الطبري، تاريخه، ج ٣/٢٦٤. (والجند) هي أحد الأقسام الرئيسية لليمن في صدر الإسلام، وبه مدينة سميت باسمه واشتهرت بمسجد معاذ بن جبل (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/١٦٩).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١١، ١١٣؛

اليقوبي، تاريخه، ج ٢/١٣٢: الطبري، تاريخه، ج ٣/٢٧٠؛

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢/٣٧٨.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٣/١٢٦. وعتاب بن أسيد هو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. من قريش، أسلم يوم الفتح، وعينه الرسول ﷺ عاملاً على مكة، توفي الرسول ﷺ وهو عليها فأقره عليها أبو بكر، وتوفي في بداية عهد عمر (ابن سعد، الطبقات، ج ٥/٤٤٦؛ وابن حجر، الإصابة، ج ٢/٤٥١).

(٤) الذهبي، العبر في خبر من غير، ج ١/١٣.

عَتَّاب العديد من المراسلات التي تتعلق بشؤون مكة، وشؤون شرعية أخرى مختلفة.<sup>(١)</sup>

### الطائف:

أسلمت في وقت متأخر برضا أهلها، بعد أن عجز المسلمون عن فتحها خلال الحصار الذي أعقب غزوة حنين. وقد ولى عليها الرسول ﷺ (عثمان ابن أبي العاص).<sup>(٢)</sup> وتوفي رسول الله ﷺ وهو على الطائف، وأقره أبو بكر عليها كما أقره عمر، ولكنه طلب من عمر بعد ذلك أن يعفيه من منصبه، فنقله إلى البصرة والبحرين.

وأما بقية الحجاز فقد عين الرسول ﷺ ولاة للمدن والقرى الأخرى فيه، فقد كان للرسول ﷺ وال على (وادي القرى)،<sup>(٣)</sup> وكذلك له وال على (تيماء).<sup>(٤)</sup>

وكان الرسول ﷺ إلى جانب هذا يبعث بعض أصحابه إلى (القبائل) لتعليم الناس أمور الدين، وجمع الصدقات من الأغنياء وتوزيعها على

(١) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٢٨٦.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ١٢٧؛ (عثمان بن أبي العاص) ابن بشر الثقفي، قدم على الرسول ﷺ مع وفد ثقيف وأسلم، وأمره الرسول عليهم، واستمر عليها حتى عصر عمر حيث توجه إلى البصرة. توفي في عصر معاوية (ابن سعد، الطبقات، ج ٤٠/٧؛ ابن حجر، الإصابة ج ٤٦/٢).

(٣) (وادي القرى) وادٍ يقع بين المدينة والشام، وبين تيماء وخيبر كان به العديد من القرى المشهورة بالنخيل، ويسمى الآن وادي العلاء، ويبعد ٣٢٢ ميلاً عن المدينة (عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٩٣).

(٤) تيماء بلد صغير بين الشام ووادي القرى، على طريق الحج الشامي، وهي بلدة مشهورة باسمها حالياً (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٦٧/٢؛ ابن حبيب، المحبر، ص ١٢٦).



الفقراء، كما كان هؤلاء الأمراء مسؤولين عن إقامة الصلاة في هذه القبائل، شأنهم في ذلك شأن الولاة في المدن والقرى الأخرى، وكانوا يقومون بالمهام نفسها التي يقوم بها ولاة البلدان من صلاة وقضاء وتعليم، وغير ذلك من الاختصاصات التي كانت توكل للولاة عادة.

وقد أرسل الرسول ﷺ ولاته إلى مختلف القبائل في نجد والحجاز، وغيرها من بلاد العرب، وكان كثيراً ما يختار الولاة أو المبعوثين لهذه القبائل ممن أسلم من أفراد القبيلة نفسها، فكان لهم دور في التنظيم وإقامة العدل في بلدانهم وقبائلهم.

#### البحرين؛

تردد ذكر البحرين كجزء من الدولة الإسلامية في أواخر العصر النبوي. وقد بعث الرسول ﷺ مجموعة من الولاة إليها، نظراً لوجود العديد من القرى فيها.<sup>(١)</sup> وكان أشهر ولاة البحرين خلال العصر النبوي الصحابي الجليل: (العلاء بن الحضرمي).<sup>(٢)</sup> وقد بعث معه الرسول ﷺ بعض الصحابة، منهم أبو هريرة رضي الله عنه.<sup>(٣)</sup> وقد دارت بينه وبين الرسول ﷺ العديد من المراسلات التي تتعلق بشؤون الولاية.

وكان الرسول ﷺ يبعث بعض أصحابه إلى العلاء؛ ليحضر الجزية المفروضة على المجوس في البحرين إلى المدينة المنورة. وكان من هؤلاء المبعوثين: (أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه).<sup>(٤)</sup> واستمر العلاء والياً للبحرين بقية أيام

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٩٠.

(٢) هو العلاء بن عبد الله بن أكبر بن ربيعة من حضرموت. كان من حلفاء بني أمية وهو من الصحابة المهاجرين، ولي البحرين للرسول ﷺ ثم لأبي بكر ثم لعمر، وتوفي سنة ٢١هـ، (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٦٢/١؛ وكذلك العبر، ج ١٩/١).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٦٤/١.

(٤) ابن سلام، الأموال، ص ٤١.

الرسول،<sup>(١)</sup> وقد أقره أبو بكر على ولايته بعد وفاة الرسول ﷺ، كما أقره عمر بعد وفاة أبي بكر ﷺ.<sup>(٢)</sup>

### عمان:

بعث الرسول ﷺ إلى ملكي عمان: (جَيْفَرُ وَعَبَّادُ ابْنِي الْجَلْنُدِيِّ) برسالة مع عمرو بن العاص ﷺ، فعرض عليهما الإسلام،<sup>(٣)</sup> فأسلما.

وأقر الرسول ﷺ عمرو بن العاص والياً على عمان مع وجود الملكين، وأخذ عمرو في دعوة الناس إلى الإسلام مع القيام بمهمته الرسمية في عمان، وكان له حوار طويل مع أساقفة عمان ورهبانها، الذين أخذوا يسألونه أسئلة كثيرة عن الإسلام.<sup>(٤)</sup> كما أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الأمراء إلى قرى عمان، وكانت بينهم وبين رسول الله ﷺ مكاتبات.<sup>(٥)</sup> وقد حدثت ردة في عمان بعد وفاة الرسول ﷺ، وتمكن أبو بكر من القضاء عليها بمساعدة جَيْفَرُ وَعَبَّادُ ابْنِي الْجَلْنُدِيِّ،<sup>(٦)</sup> ثم استمرت عمان ولاية إسلامية خلال العصور الإسلامية، وكان لقبائلها تأثير قوي في الفتوح الإسلامية بعد النبي ﷺ.

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ اهتم بأمر البلدان والقرى التي دخلت تحت لواء الدولة الإسلامية، فكان يرسل إليها الولاة والأمراء معلمين وموجهين وناصحين، ويكل إليهم القيام بمهام محددة، منها إقامة الصلاة والتعليم

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٩٧؛ السهيلي، الروض الأنف، ج ٤/٢٥٠.

(٤) ابن قدامة، منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، مخطوط مصور على

ميكروفيلم تحت رقم: ١٢٤٦ م ح، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، ورقة: ٢١.

(٥) انظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٦٤.

(٦) الطبري، تاريخه، ج ٢/٢٦١.

الناس أمر دينهم وجمع الزكاة من الأغنياء وردّها على الفقراء، إضافة إلى جمع الجزية من غير المسلمين وإنفاقها في وجوهها الشرعية، أو بعثها للرسول ﷺ في المدينة المنورة.

كما أن بعض هؤلاء الولاة كان يقضي بين الناس كمعاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب ﷺ وغيرهما، إضافة إلى الإجابة على الأسئلة التي كان الناس يلقونها عليهم، ممن يريد أن يتعرف على الإسلام أو من علماء أهل الكتاب، كما حدث لمعاذ بن جبل في اليمن وعمرو بن العاص في عمان.

وقد كان الرسول ﷺ يجمع العمل لشخص معين أو يقسمه بين أشخاص، فهو يجمع الصلاة والصدقات لأمير واحد، وقد يفرقها على أميرين أحياناً، كما كان يسند القضاء إلى أمير البلد نفسه، أو يرسل معه قاضياً غيره، وكانت هناك اتصالات عديدة بين الرسول ﷺ وبين هؤلاء الولاة تتعلق بشئون الولاية وعموم أمور المسلمين وأحكامهم الشرعية.

كان بعض الولاة يرسلون ما يجمعون من أموال الصدقة إلى الرسول ﷺ في المدينة، لكي يقسمها في وجوهها الشرعية. وكان الرسول ﷺ يتابع أحوال ولاته ويراسلهم.<sup>(١)</sup>

كما أن الرسول ﷺ كان يصدر تعليماته المستمرة للولاة على ضوء ما يجد من أحداث، وبما أن الرسول ﷺ كان يحب التفاوض، فقد كتب لأحد ولاته: (إذا أبردتم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم)<sup>(٢)</sup> وكان يكتب إلى ولاته باستمرار ينهاهم عن الخيانة ويأمرهم بالأمانة<sup>(٣)</sup> ويؤكد عليها.

(١) انظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٢١١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٢.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص ١٢١.

وكان الرسول ﷺ يركز على الولاية بتعليم الناس أمور دينهم والتيسير عليهم، فقد قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن: ((يسرّا ولا تعسرّا، وبشراً ولا تنفراً، وتطاوعاً ولا تختلفاً))، وقال ﷺ: ((إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين))<sup>(١)</sup>.

والرسول ﷺ وضع الأساس للأمة في إدارة البلدان وترتيب أقاليم الدولة المختلفة. ولا شك أن الإدارة العليا تحتاج باستمرار إلى مشاوره الكوادر الأخرى المشاركة في المسؤولية قبل اتخاذ القرارات المصيرية، وقد ساد في الفكر الإداري الحديث أهمية المشاورة قبل اتخاذ قرار إداري محدد وجرت دراسات مختلفة حول أهمية المشاورة ونتائجها بالنسبة للقيادات الإدارية العليا.<sup>(٢)</sup>

كان رسول الله ﷺ وهو قائد الدولة الإسلامية يكثر من مشاورة أصحابه ﷺ، حيث نزلت عليه سورة الشورى لتؤكد هذا المبدأ في قوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى]. وفي قوله - تعالى -: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران]. وقد ثبت كثرة مشاورة الرسول ﷺ للصحابة العاملين معه قبل اتخاذ القرارات الهامة، حتى عرف بعض الصحابة أنهم من أهل شورى رسول الله ﷺ.

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٢٧؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، ج ١٠٨/٥.

(٢) الهواري، الإدارة الأصول والأسس العلمية، ص ١٧٦؛

وانظر: عبدالعزيز العمري، مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، ص ٤٥.

ولا شك أن معظم المصائب والأخطاء في العالم الإسلامي المعاصر ترجع إلى انفراد أصحاب القرار بالرأي دون الرجوع لأهل الخبرة والمشورة، حيث ابتعدوا عن سنة الرسول ﷺ في هذا الجانب، فكانت قرارات كارثية وإدارات عاجزة ومشكلات كبرى.

\*\*\*\*\*

### العدل والمساواة

العدالة مبدأ إسلامي وإنساني مهم، يحكم أمور المسلم في كل أحواله العامة والخاصة، وخصوصاً ما يتعلق بالآخرين إذا تولى عملاً للناس وفضيلة سامية تسمو إلى تحقيقها النظم في كل زمان ومكان، وقد قال الله - تعالى :- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل، ٩٠]، وفي قوله - تعالى :- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء، ٥٨].

قال - تعالى :- ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا آتَىٰ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى، ١٥].

كما شدد القرآن في التحذير من الظلم في قوله - تعالى :- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٤٢] *مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ* [٤٣] *وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ* [٤٤] *إبراهيم].*

والعدل مطلوب مع الجميع حتى مع الأعداء قال - تعالى :- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة، ٨].

ولا شك أن العدالة ليست خاصة في القضاء فقط، بل هي توجيه عام لكل مسلم، وهي من صميم العمل الإداري، حيث إن المسؤول الإداري ينبغي أن يكون عادلاً مع موظفيه وأن يكون عادلاً مع ذوي العلاقة بالعمل، وأصحاب المصالح المتصلة بعمله، والعدالة مطلوبة من كل إنسان حتى في إدارة عائلته وعمله الخاص، فكيف إذا كان صاحب منصب وعمل متصلاً بعامة الناس أو خاصتهم.

وحين زعم أحد الجهّال أن الرسول ﷺ لم يعدل في قسمة أموال حُنين، غضب رسول الله ﷺ لعظم التهمة في نظره ولاتهامه بعدم الإنصاف وهو ﷺ أعدل الناس وأبرُّهم، وأسوة لجميع العاملين على شؤون الناس وحقوق العباد ﷺ، ولا يقبل الظلم من أحد فكيف يظلم بنفسه حاشاه الله - تعالى - من ذلك.

وقد كان ﷺ يحذر من الظلم ومن ذلك قوله: ((اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)).<sup>(١)</sup>

كما كان يأمر بتطبيق العدل وإقامة الحدود على الضعيف والقوى، ويحذر من التهاون في ذلك بقوله: ((إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيمُّ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).<sup>(٢)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج ٩٩/٣؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٩٢/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج ١١٤/٥؛

انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد، ج ٢١٣/٤ - ٢١٤؛

كان رسول الله ﷺ يتولى القضاء بنفسه بين الناس،<sup>(١)</sup> يتحرى العدل ويخشى تدليس الخصوم على بعض، ويحذر من الاعتداء على حقوق الآخرين ولو بحكم قضائي، ولذلك ورد أنه ﷺ: ((سمع خصومة أمام باب حجرته، فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم فلعن بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها)).<sup>(٢)</sup>

وقد كان رسول الله ﷺ يقضي بين الناس كافة ويعمل على أداء الحقوق إلى أهلها سواء كانوا مسلمين أم كفاراً، ويوضح القواعد الأخلاقية للقضاة والخصوم، ويحذر من الكذب في الدعوى، أو اليمين التي تؤدي إلى أخذ الإنسان ما ليس له، فقد ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان)).<sup>(٣)</sup> وفي هذا نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران]. وقرن قول الزور مع الشرك في قوله - تعالى -: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج]. كما كانت توجيهاته واضحة في المساواة بين الخصوم، وعدم الحكم بالهوى وأن

(١) للتوسع حول الموضوع انظر: القرطبي، عبدالله محمد بن فرج المالكي، أفضية رسول الله ﷺ - الدوحة قطر: مطابع قطر الوطنية (د.ت).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج ١٠١/٣.

(٣) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، ج ٧٥/٣.



يكون القضاء بنظام شرعي واضح ومنه: ((البينة على المدعي واليمين على من أنكر)).<sup>(١)</sup> كما أنه قطع الطريق على الدعاوى الباطلة فقال ﷺ: ((لو يعطى الناس بدعواهم لادّعى ناس دماء رجال وأموالهم)).<sup>(٢)</sup> وأكد على أهمية الشهادة، قال - تعالى - : ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ ﴿٢﴾ [الطلاق]. وعدّ أداء الشهادة من أسباب العدل.

وطالب القرآن بإقامة العدل دون هوى، حتى لو كان الحق على أعز الناس إلى الإنسان، بل لو كان على نفسه، قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ ﴿١٣٥﴾ [النساء].

وطالب القرآن بالعدل حتى مع الأعداء في قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ ﴿٨﴾ [المائدة]، وورد في الحديث القدسي ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)).<sup>(٣)</sup>

وقد جاءت أخلاقيات الإسلام لتضمن العدالة ونزاهة القضاء والعاملين

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، باب ما جاء في البينة على المدعي، ج١٤٦/٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعي عليه، ج١٢٨/٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج١٧/٨؛

رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١٦٠/٥.

عليه فحذر ﷺ من الحكم بالهوى أو الجهل، كما قال - تعالى - : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٣٦].

وقد حذر رسول الله ﷺ قضاة الجور بقوله: ((القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة، رجل قضى بغير الحق فعلم ذلك فذاك في النار، وقاضٍ لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاضٍ قضى بالحق فذلك في الجنة)).<sup>(١)</sup>

كما حرم الإسلام الرشوة، وهي مما يدفع إلى الظلم وغمط الناس حقوقهم، ويؤثر في القضاة والحكام. قال ﷺ: ((لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما)).<sup>(٢)</sup>

وكان القضاء عاماً بين الناس في المجتمع المسلم وطبق في العهد النبوي يدخل فيه المسلم وغيره ومطلب العدل عام مع المسلمين وغيرهم، يقول - تعالى - : ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقد شرع رسول الله ﷺ كل ما من شأنه تنظيم العدل بتعيين القضاة في الأماكن البعيدة عن المدينة، فقد بعث ﷺ عدداً من الصحابة للقضاء في منازعات الناس، ومن أشهر هؤلاء القضاة علي بن أبي طالب ﷺ، حيث بعثه النبي ﷺ إلى بعض نواحي اليمن قاضياً، ولم يرجع إلا أثناء حجة الوداع. وقد

(١) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، ح برقم: ١٣٢٢، ج ٣/٦١٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٢/١٦٤، و ج ٥/٢٧٩؛ والترمذي في كتاب الأحكام، ح برقم:

١٣٣٦، ج ٣/٦٢٢؛ وابن ماجه في كتاب الأحكام، والدارمي في الأفضية.

دار حوار بينه وبين النبي ﷺ حول أسس القضاء - كما ذكرنا سابقاً - ومن ذلك قول الرسول ﷺ لعلي: ((إذا حضر خصمان بين يديك فلا تقض لأحدهما حتى تسمع كلام الآخر)).<sup>(١)</sup>

كما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن، وكان من مهمته القضاء بين الناس، وقد حاور ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن فقال: ((بِمَ تحكم؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسوله)).<sup>(٢)</sup>

ولم يبق إقليم تابع لدولة الرسول ﷺ إلا حدد فيه الأمراء ومن يقضي بين الناس، ويقيم العدل فيهم ولعل أشهر دستور عالمي في القضاء هو كتاب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ في القضاء.<sup>(٣)</sup>

والذي لا شك فيه أن عمر استقاه مما تعلمه من النبي ﷺ في شؤون القضاء والعدل، وقد جاء فيه: (أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البيئنة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت اليوم فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٧.

(٣) شرح ابن القيم كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين بما يزيد على (٤٥٠) صفحة (انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١/٨٦ حتى ٤٠٦، ج ١/٢ - ١٦٥).

الحق؛ فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، ما ليس في كتاب الله - تعالى - ولا سنة نبيه، ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه، فمن أحضر بينة أخذت له حقه واستحل القضية عليه، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى. والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيماً في ولاء أو نسب، فإن الله عفا عن الأيمان ودرأ بالبينات، وإياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذكر والسلام).<sup>(١)</sup>

ولا شك أن انتظام الحياة والإسلام في أي مجتمع إنساني لا يقوم إلا على نظام وقوانين وشريعة واضحة يتساوى أمامها الجميع، مع وجود مرجعية قضائية لحفظ الحقوق، وقوة تساعد في إعادة الحقوق إلى أهلها ومنع الظلم وتطبيق أحكام القضاء. وهذا يدفع الجميع للأمان والوقوف مع هذا النظام العادل الضامن للحقوق، والمعين على الحياة الكريمة، والإنتاج الصحيح بعيداً عن سرقة الناس، والاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم.

وهكذا بنى الرسول ﷺ - بتوجيهات إلهية وتطبيقات نبوية - هذا المجتمع المسلم في المدينة، وما وقع تحت حكمه وإدارته من أنحاء الجزيرة العربية على العدل، وأصبح هذا النظام نبراساً للدول الإسلامية ومجتمعاتها يزيد أمانها وإيمانها كلما اقتدت به وسارت على نهجه، وتضيع الحقوق كلما ابتعدت عن طريقه.

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ١/ ٨٥ - ٨٦؛ الهواري، الإدارة الأصول والأسس العلمية، ص ١٧٦.

وقد أَلَّف العلماء وفقهاء الشريعة في هذا المجال ما يصعب حصره من تراث علمي سياسي إداري قانوني شرعي عدلي،<sup>(١)</sup> جهله كثير من أبناء الأمة وتجاهله كثير من القادة وأصحاب القرار فضاعوا وأضاعوا.

\*\*\*\*\*

---

(١) انظر: محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي، ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

### ترتيب الأمن والسلام

الحفاظ على الأمن حاجة إنسانية قائمة، وضرورية وملحة في كل المجتمعات البشرية، وحينما بعث النبي ﷺ، كانت بلاد العرب تعيش حالاً من الفوضى الأمنية، حيث يأكل الضعيف القوى، وتسود الفوضى ويعجز الناس عن السفر وحماية أنفسهم إلا بقوة وأحلاف تتعاون لضبط الأمن، ولم يكن هناك نظام أو شرع وقانون يحمي الناس من اعتداء الآخرين، وجاءت آيات القرآن لتذكر الناس بأهمية الأمن وقرنته بالرزق في قوله - تعالى -:

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش]، وقوله - تعالى -:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور]، وقوله - تعالى -:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ]، وقوله - تعالى -:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران].

وقوله - تعالى -:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم].

كما أشار إلى ذلك في قوله - تعالى -:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة]، وفي قوله - تعالى -:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام].

وبيّن الله في قصص الأنبياء السابقين أهمية الأمن في حياة الأمم ففي قوم صالح، قال - تعالى -: ﴿أَتُركُونَ فِي مَا ههْنَأَ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الشعراء]، وفي عموم القرى والأمم قال - تعالى -: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيكْتَأَ وَهَمْ نَأْمُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَى وَهَمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل].

وقد كان ﷺ يبشر الصحابة في أكثر من موضع بأن الأمن سوف يسود بهذا الدين، ومن ذلك قوله لعدي بن حاتم: ((فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها "حتى" تزور هذا البيت لا تخاف أحداً إلا الله)).<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: ((ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه)).<sup>(٢)</sup>

كان الأمن والسلام بين الناس من أهم أهداف الإسلام، وبالتالي لزم الأمر محاربة الخوف وما يؤدي إليه، ولذلك كان هدف سلطة الدولة التي كان على رأسها رسول الله ﷺ تحقيق الأمن.

وكان القضاء وأدواته وتشريعاته تعمل لتحقيق العدل والأمن والسلام فكان الحفاظ على أرواح الناس: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/١٥٠؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٤٢؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٥٨١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكة، ج٥/٢٣٨.

أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ [المائدة]، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ [البقرة]، وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ [الفرقان]، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ [الإسراء].

وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ [الفرقان].

وكان الرسول ﷺ يؤكد في أحاديثه وخطبه على السلام بين الناس وعلى تأمينهم وعدم الاعتداء عليهم. وكان يؤكد في بيعته على ذلك، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله في رهط فقال: ((أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو له كفارة وظهر، ومن ستره الله فذلك إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له)).<sup>(١)</sup>

وكان من أشهر ما قاله ﷺ في حجة الوداع يوم عرفة: ((ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: ألا أي بلد تعلمونه أعظم

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب توبة السارق، ج٧/١٨.



حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإن الله - تعالى - حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، إلا بحقها كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا من شهركم هذا. ألا هل بلغت؟ ثلاثاً، كل ذلك يجيئونه: ألا نعم، قال ويحكم - أو ويلكم - لا ترجعنّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).<sup>(١)</sup>

وقد أكد ﷺ على أهمية الأمن في حياة الإنسان بقوله: ((من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)).<sup>(٢)</sup> وقد قال ﷺ: ((لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً))،<sup>(٣)</sup> وكان من دعائه: ((اللهم استر عورتي وآمن روعتي)).<sup>(٤)</sup>

وقد أدت دولة الإسلام في المدينة دورها في بسط الأمن والسلام بين الناس،<sup>(٥)</sup> المسلمين وغيرهم، وكان ذلك عماد معاهدة المدينة بين الرسول ﷺ وعموم سكان وقبائل المدينة، هو الدفاع المشترك وبسط السلام فيها وعدم إعاقة من يسببون الخوف لأهلها من المحدثين وغيرهم.<sup>(٦)</sup>

وكان ﷺ يتابع بنفسه أمن المدينة وسلامة أهلها والقادمين إليها، ويطبق الحدود الشرعية على المجرمين الذين يفسدون في الأرض ويريقون الدماء،

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق، ج١٥/٨، ١٦؛ ابن حزم، المحلى، كتاب الحج، ج٨٤/٤؛ وانظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب (٣٤)، ح برقم: ٢٣٤٦، ج٥٧٤/٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢٦٢/٥.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢٥/٢.

(٥) للتوسع حول هذا الموضوع طالع (د. عبدالله التركي، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض ١٤١٧هـ).

(٦) انظر: وثيقة المدينة، من هذا الكتاب.

ويخلون بأمن الناس وسلامتهم، كما فعل مع العُربيين. وقد وضع البخاري في صحيحه كتاباً سماه (كتاب الحدود وما يحذر من الحدود)،<sup>(١)</sup> أورد فيه عدة أبواب، منها (باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع)<sup>(٢)</sup> و(باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان)<sup>(٣)</sup> روى فيه عن عائشة رضي الله عنها: (أن قريشاً أهتمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها؟ - يعني رسول الله ﷺ - قالوا ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: ((يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟)) ثم قام فخطب فقال: ((إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).<sup>(٤)</sup> وقد أمر القرآن الكريم بقطع يد السارق في قوله - تعالى -: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة].

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً في قوله - تعالى -: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].<sup>(٥)</sup> وقد طبق الرسول ﷺ حد السرقة على المرأة المخزومية، ولم يمنعه

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، ج ١٣/٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، ج ١٦/٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ج ١٦/٨.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إقامة الحد على الشريف والوضيع، ج ١٦/٨.

(٥) صحيح البخاري كتاب الحدود، باب (١٣)، ج ١٦/٨.

شرفها، ولا شفاعة أسامة بن زيد وغيره من أشرف مكة في منع تطبيق الحد الشرعي عليها. ويظهر أنه طبق حد السرقة أكثر من مرة في حياته.<sup>(١)</sup>

وكان لحد السرقة دور كبير في أمن الناس على أموالهم، وخوف السراق من إقامة الحد عليهم، حتى خفت السرقة وكادت تنعدم في زمن النبي ﷺ.

ولا شك أن أي بلد ومجتمع في العالم يقيم حد السرقة تقل فيه السرقة، ويأمن الناس على أموالهم. كما أن القتل كانت عقوبته القتل إلا أن يعضو أولياء الدم. وقد جاء الحكم صريحاً في كتاب الله في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣) [الإسراء].

وكان الأمر واضحاً أن في حد القصاص ما يمنع الناس من التفكير في القتل وإراقة دماء الناس إذا علموا أن دماءهم مهددة، وأن القصاص من ورائهم إن فعلوا ذلك، وبالتالي فإن في القصاص حماية للدماء وحياة للناس، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩) [البقرة]. وقد عرف حد الحرابة، وهو الوارد في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِيْنَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) [الَّذِينَ تَأْبَوْنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدِّرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٤) [المائدة].

وقد حدث أن رسول الله ﷺ أكرم أناساً من الأعراب جاؤوه مرضى، وهم رهط من عكَلٍ وفدوا على النبي ﷺ، كانوا في الصفة فاجتوا

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب قول الله - تعالى -: والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما، وفي كم يقطع ...، ج ٨ / ١٥ - ١٨.

المدينة، فقالوا يا رسول الله: ابغنا رسلاً، فقال: ((ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله))، فأتوها فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود، فأتى النبي ﷺ الصريخ، فبعث الطلب في آثارهم فما ترجل النهار حتى أتى بهم، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم، ثم ألقوا في الحرة يستسقون فما سُقوا حتى ماتوا. قال أبو قلابة: سرقوا وقتلوا وحاربوا الله ورسوله.<sup>(١)</sup> وقد عرف النبي ﷺ حاجة الناس إلى الأمان وأن لا يراعوا، فأمن أعدائه في مكة، حين دخلها فاتحاً، حيث أعلن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.<sup>(٢)</sup>

كان ﷺ واعياً بأهمية الأمان في حياة الناس، ولذلك كان من أوائل ما ذكر به الناس بعد الفتح تحريم سفك الدماء.<sup>(٣)</sup> لقد كان الأمان للناس جميعاً في دولة الإسلام، منذ أن ظهرت إلى الوجود في المدينة المنورة، لقد كان الأمان والسلام الشامل أول أهداف دولة الرسول ﷺ منذ قيامها.

إنه الجمع بين منع الجريمة، وإقامة الحدود على المجرم، وحفظ الحقوق، وتنظيم العدل، وإشاعة الأمان، وهذا أهم مطلب إنساني بعد الدين والتوحيد ومعه الرزق، وكلها وردت في إعجاز بيّن في قوله - تعالى -: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾<sup>(٤)</sup> [قريش]، إنه التوحيد والرزق والأمان مقترنة في هذا الإعجاز الرياني، ومربوطة ببيت الله وقبلة المسلمين رمزاً للمكان والنظام والدين في وقت واحد.

\*\*\*\*\*

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب سَمَلُ النبي ﷺ، أعين المحاربين، ج ١٩/٨.

(٢) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب.

(٣) انظر سيرة ابن هشام، ج ٤/١٥٠.

### بناء الآداب والأخلاق الاجتماعية<sup>(١)</sup>

إن المجتمعات البشرية عموماً والمجتمع العربي خصوصاً فسدت أخلاقهم، وأساء بعضهم إلى بعض واحتقر بعضهم بعضاً.<sup>(٢)</sup> وكانت محاولات الرسول ﷺ لتغيير مجتمع مكة من الداخل قوية وجادة، بمحاولته نشر الإسلام وما يرتبط به من شريعة وبناء أدبي وأخلاقي وترابط إنساني، وعلاقات حميمة بين أفراد المجتمع عموماً، بداية بذوي القربى والآباء وأبنائهم في تلاحم بين الدين والمجتمع والأخلاق، وقد تعنتت قريش ومنعت الدعوة ووقفت في وجهها، وحاربت رسول الله ﷺ وآذته وأصحابه، مما دفعه للبحث عن مكان آخر لإقامة المجتمع المسلم المميز بأدبه وأخلاقه وتلاحمه، فكانت الهجرة إلى المدينة وبداية بناء المجتمع الإنساني المسلم الآمن، حيث توافد المهاجرون، وتآلفوا وتحالفوا وتآخوا مع الأنصار، ووجد بينهم ما عرف بنظام المؤاخاة الذي أظهر معادن المجتمع الصافي المتآخي كما قال - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

كان بناء التآلف والتآخي لجيل الصحابة ولأجيال الأمة كلها من بعدهم، يقول - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

(١) لعل من أجمل ما يطرح حول الموضوع ما جمعه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، من أبواب متفرقة في الأخلاق والصلة والسماحة والتعامل مع الجار والمسكين والأرحام وغير ذلك فيما يزيد على (١٢٨) باباً. انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، ج ٦٨/٧ - ١٢٥.

(٢) للتوسع في هذا الموضوع راجع د. أحمد بن عبدالعزيز بن قاسم الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، طبعة ثانية، في ثلاثة أجزاء، بيروت: من إصدار دار الغرب الإسلامي

وَلِإِحْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَّوْنَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر].

لقد كانت تزكية النفس وبناء الأخلاق من صميم دعوة الرسول ﷺ جاءت في قوله - تعالى - : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة]، وفي قوله - تعالى - : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران].

وكذلك قوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة].

وقوله - تعالى - : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة].

وقد جاءت تشريعات الإسلام المختلفة لتقييم العلاقة الحسنة بين أفراد المجتمع،<sup>(١)</sup> وبين العائلة الواحدة، فقال ﷺ : ((البرُّ حُسْنُ الْخَلْقِ))،<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : ((خياركم أحسنكم أخلاقاً))،<sup>(٣)</sup> وركز الإسلام على تحسين علاقة الأبناء بأبائهم والآباء بأبنائهم، حيث كان الأمر الإلهي ببر الوالدين يعني

(١) انظر: الخولي، محمد عبدالعزيز، الأدب النبوي، عطات بالغة وحكم بالغة، ط ١ - بيروت: دار القلم ١٤٠٦هـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢/٢٥٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج ٧/٨٢.

إصلاح العلاقة بين جيل وآخر، وإشاعة التراحم والتواصل. وقد كان بر الوالدين مقروناً بطاعة الله - تعالى - كما قال - تعالى -: ﴿ وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ٢٤ ﴾ [الإسراء].

كما أكد القرآن على ذوي القربى وحسن العلاقة بهم في قوله - تعالى -: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٣٦ ﴾ [الإسراء]. كما كان رسول الله ﷺ على أعلى درجات الخلق كما وصفه الله - تعالى - في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ ﴾ [القلم]، وأمر الله ﷻ الناس بالتأسي به في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٣١ ﴾ [الأحزاب]، وقد قال ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).<sup>(١)</sup>

وكان ﷺ متواضعاً يعود المريض، ويتبع الجنازة ويحيب الدعوة ويكره أن يقوم له الناس، يتواضع مع الكبار والصغار، حتى أن الغريب إذا جاء وجده بين أصحابه غير متميز بجلسة. كان جواداً يأمر بالجدود، كريماً يأمر بالكرم عفيفاً يأمر بالعفة والاستغناء عن الناس، شجاعاً، حليماً يأمر بالحلم، رقيقاً يأمر بالرفق، طيب الرائحة نظيفاً يأمر بذلك، ويأتي على رأس ذلك كله حسن الأدب مع الله ﷻ، ابتداءً بالتوحيد والرضا بعبوديته، وحسن الظن به والتوكل عليه، والخوف منه والرضا بما قسم، ورجاء ما عنده، وتقواه وخشيته في الغيب والشهادة، والأنس بذكره وشكره وحسن عبادته قال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

(١) صححه الألباني، انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٢/٣٨١، (وعنده لأتمم صالح الأخلاق).

تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ [الأنفال]، وفي قوله - تعالى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَكُم  
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة]، وقد قال - تعالى -: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ  
لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ [نوح]، وهو القائل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا  
تَتَلَوْنَاهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا  
يَعْرَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ  
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس]، وقد قال ﷺ مذكراً بحسن الأدب مع الله:  
(استحيوا من الله حق الحياء فاحفظوا الرأس وما وعى والبطن وما حوى  
واذكروا الموت والبلى)).<sup>(١)</sup>

وقد قال ﷺ: ((فإن الله أحق أن يُستحيا منه من الناس)).<sup>(٢)</sup> ومن حسن الأدب  
مع الله الإنابة إليه، والاستغفار والرجوع والفرار إلى الله، كما قال - تعالى  
-: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ [الذاريات]، وتذكر أن النعم منه  
كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ  
تَجْعَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل]، وقوله - تعالى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَكُم وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا  
تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة]، وتذكر كرمه وفضله وإحسانه ومراقبته لخلقه:  
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً  
وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل]. ومن حسن الأدب  
مع الله حسن الأدب مع القرآن كلام الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ  
وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ [الأعراف]. ومن الآداب التي تربت عليها الأمة  
الإسلامية حسن الأدب مع رسوله ﷺ في حياته وبعد مماته، كما في قوله -

(١) الإمام أحمد في مسنده، ج ١/٣٨٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، ومن تستر فالستر  
أفضل، ج ١/٧٣.



تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُفَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات].

وقد أمر القرآن أصحاب النبي ﷺ باتباع أمره وعدم معصيته في قوله - تعالى - : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]، وقال - تعالى - : ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر]، وقال - تعالى - : ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وأكد على حسن الأدب مع الرسول ﷺ وأن لا ينصرفوا عنه إذا كان في أمر جامع إلا بإذنه ﷺ وذلك في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦١﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور].

كما أمر الأمة بالسمع والطاعة لرسول الله ﷺ قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُحْرَجَهُمْ لَنْ أُحْرَجَهُمْ قُلْ لَا نُفَسِّمُوهَا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ٥٤﴾ [النور].

كان ﷺ يقول: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُرْحَزَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُجِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)).<sup>(١)</sup>

كان ﷺ زاهداً في الدنيا ويأمر بذلك، اتصف بأعلى الصفات التي تحت على النظافة واحترام شعور الآخرين في مأكله ومشربه وملبسه وشعره ومظهره، وكان يأمر بإشاعة المحبة والسلام بين الناس، قال ﷺ: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَحَابِسُنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْطُونُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ)).<sup>(٢)</sup> كما قال ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)).<sup>(٣)</sup> وكان ﷺ يسلم على الصبيان إذا مرَّ بهم.

وقد أمر الله بالاستئذان وإفشاء السلام كما في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ

(١) انظر: أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص ١٠٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل الصحابة، ج ٤/٢١٨؛ والإمام أحمد في مسنده، ج ٤/١٩٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ...، ج ١/٥٣.

خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ [النورا]، وأكد القرآن في بنائه الأخلاقي للمجتمع على التواضع والسلام مع الناس في قوله - تعالى - : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]. وقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء]. وقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

كما كان ﷺ يأمر بالرفق وهو من أسباب الألفة في الأسرة والمجتمع فقال: ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله))،<sup>(١)</sup> كما قال: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه))،<sup>(٢)</sup> وقد طبق الرسول ﷺ الرفق واللين مع الصحابة، كما قال - تعالى - : ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]، ومع الرفق واللين كانت محبة النبي ﷺ للأمة وحرصه عليهم قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، وقال - تعالى - : ﴿لَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجرا]، وقال - تعالى - : ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء].

كان ﷺ مثال الرحمة والعطاء وحسن الخلق، خبرته خديجة ﷺ، وهدأت من روعه بعد نزول الوحي عليه، مذكرة بأخلاقه العالية: (كلا

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٨/٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب فضل الرفق، ج٢٢/٨؛ ورواه الإمام أحمد في

مسنده، ج٥٨/٦، ١١٢.

والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتُقري الضيف وتعين على نوائب الدهر،<sup>(١)</sup> وفي ذلك تأكيد للأمة جمعاء: (إن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء).<sup>(٢)</sup> ولما دخل ﷺ مكة فاتحاً كان متواضعاً مطأطئاً رأسه بلا فخر ولا خيلاء.<sup>(٣)</sup> وكان يقف مع المرأة الضعيفة والصبي يسمع إليهم ويحدثهم ويقضي حوائجهم.<sup>(٤)</sup> ولعل حديث أنس ﷺ يشرح ذلك في قوله: (كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، قال وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه إكافٌ من ليف)،<sup>(٥)</sup> وكان لا يأنف أن يُردف معه رجلاً آخر أو صبياً، فكان كثيراً ما يردف أسامة بن زيد ﷺ ويردف بعض نسائه أحياناً.<sup>(٦)</sup> وقد قال ﷺ: ((إن الله - تعالى - أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد)).<sup>(٧)</sup>

ويعمل ﷺ مع أصحابه في السفر فيحتطب ويقوم بجزء من العمل كغيره من الناس. وقد شارك في بناء مسجده، كما شارك أهله في أعمالهم المنزلية: ((يكون في مهنة أهله)).<sup>(٨)</sup> وقد اعتاد على الحياء ﷺ ووصفه الله بذلك في

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله

ﷺ، وهو الحديث الثالث عند البخاري في صحيحه، ج ٣/١.

(٢) أحمد بن عبدالعزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج ١/٧٧.

(٣) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب.

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس، ج ٧/٧٩ - ٨٠.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز، باب (٣٢)، حديث رقم: ١٠١٧، ج ٣/٣٣٧.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل جعلني الله فداك، ج ٧/١١٦.

(٧) رواه ابن ماجه في سننه، باب الحياء، ح برقم: ٤١٧٩، ج ٢/١٣٩٩.

(٨) من حديث عائشة ﷺ عند البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله،

قوله - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَجِىءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِىءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ ءَأَبْدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب].

وكان يدعو إلى الاعتدال في التوفيق بين الدنيا والآخرة، وأن لا تكون الدنيا وزينتها همَّ الإنسان الأول، قال - تعالى -: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ (١٤)﴾ [آل عمران]. وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾ [الأعراف]. وقوله - تعالى -: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص]. وقوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ (٢٠٠)﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ [البقرة].

لقد كان ﷺ حريصاً على معرفة الصحابة لحبه لهم، ولذلك حدث معاذ ابن جبل ﷺ يوماً وقال: ((يا معاذ، والله إنني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا

تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ))<sup>(١)</sup> قَالَ ﷺ: ((إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمْهُ))،<sup>(٢)</sup> كَمَا كَانَ يَحْتَجُّ عَلَى كُلِّ مَا يَشِيْعُ الْمَحَبَّةَ بَيْنَ النَّاسِ، كَالزِّيَارَةِ وَالْهَدِيَّةِ<sup>(٣)</sup> وَالْإِبْتِسَامَةَ الَّتِي قَالَ عَنْهَا: ((وَتَبَسُّمِكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ))،<sup>(٤)</sup> وَعَلَّمَهُمْ أَنْ يُحَيِّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْأَفْضَلِ ﴿وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾<sup>(٥)</sup> [النساء]. وَقَدْ وَضَعَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْاسْتِئْذَانِ، (بَابُ إِفْشَاءِ السَّلَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ)،<sup>(٦)</sup> كَمَا وَضَعَ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْإِيْمَانِ، (بَابُ السَّلَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ)،<sup>(٧)</sup> وَوَضَعَ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، (بَابُ مَا ذَكَرَ فِي فَضْلِ السَّلَامِ).<sup>(٨)</sup>

كَمَا مَنَعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ تَمَيِّزَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَذَكَرَهُمْ بِأَصْلِهِمُ الْوَاحِدَ وَحَرَّمَ أَنْ يَسْخَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَّ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٩)</sup> يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج ٥/٢٤٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٤/٣٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قبول الهدية والإثابة عليها، ح برقم: ١٩٥٣، ج ٤/٣٣٨.

(٤) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف من ح برقم: ١٩٥٦، ج ٤/٣٤٠.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام من الإسلام، ج ٧/١٢٨.

(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام، ج ١/١٢.

(٧) انظر: سنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما ذكر في فضل السلام، ج ٥/٥٢.

اللَّهُ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات]، وأكد على أخوة المؤمنين في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ [الحجرات]. وأوجب الإصلاح بينهم في حال النزاع والوقوف ضد الباغي والاستمرار في الإصلاح في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْئَتُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿٩﴾ [الحجرات].

كما نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة، <sup>(١)</sup> وعن احتقار بعضهم بعضاً قال ﷺ : ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))، <sup>(٢)</sup> كما قال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَصْغُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ﴿١٨﴾ [لقمان]، وأمر الله بالعضو والصفح عن الناس في قوله - تعالى - : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنُوبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٧٨﴾ [البقرة]، وفي قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ [النور]، وفي قوله - تعالى - : ﴿ وَجَزَاؤُهُ سِتَّةٌ سِتَّةٌ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ [الشورى].

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في الغيبة، ح برقم: ١٩٢٤، ج ٤/٣٢٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر، باب (١٨)، ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، ح برقم:

١٩٢٧، ج ٤/٣٢٥؛ والإمام أحمد في مسنده، ج ٣/٤٩١.





وقد كانت الصلاة أهم العبادات عند رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد كان يتجاوز فيها رحمة بالأطفال، فقد روى البخاري عن أبي قتادة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ((إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز مما أعلم من شدة وجْدِ أمه من بكائه)).<sup>(١)</sup>

وكان ﷺ رحيماً بالرقيق والموالي، جعل عتقهم من أعظم القربات، ومن أبواب الكفارات المختلفة، وضيّق الإسلام أبواب الرق بعد أن كانت مفتوحة في كل الشرائع والنظم زمن النبي ﷺ وأوصى بهم ﷺ خيراً بقوله: ((إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم، ولا يقل أحدكم عبي وأمتي، ولكن ليقل فتاي وفتاتي)).<sup>(٢)</sup>

إن هذا التراحم والآداب الإنسانية لم تقف عند المسلم والإنسان فقط، بل تعدتها تشريعات الإسلام إلى الحيوان ورحمته وإطعامه وعدم تعذيبه وقتله بلا رحمة وبلا فائدة؛ قال ﷺ: ((في كل ذات كبدٍ رطبة أجر)).<sup>(٣)</sup> وقال: ((من لا يرحم لا يُرحم))<sup>(٤)</sup> وقد قال ﷺ: ((عذبت امرأة في هرة حبستها حتى

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب (٦٥)، من أخف الصلاة، ج ١/١٧٢؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٣/٢٠٥.

(٢) أحمد بن حنبل في المسند، ج ٢/٢٤٧؛ ورواه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ج ١/١٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، ج ٣/٧٧.

(٤) حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة، انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج ٧/٧٥؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج ٢/٤٤.

ماتت جوعاً فدخلت فيها النار قال فقال: واللّٰه أعلم لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبسيتها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض)).<sup>(١)</sup> وقد قال ﷺ: ((لعن الله من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً)).<sup>(٢)</sup>

كل هذه التعليمات في حقوق الحيوان سبق الإسلام بها العالم الحديث بقرون متعددة، وهي من رحمة الله التي شرعها لعباده المؤمنين به، المقتدين بهديه، ليكونوا رحمة لكل كائن حي، فما بالك بالإنسان.

وقد أكد الإسلام على مساعدة الناس والوقوف مع المحتاجين منهم، ومنع الأذى عن بقية الناس رجالاً ونساءً، فقال - تعالى - في آيات متصلة ببعضها: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(٣٣)</sup> يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٣٤)</sup> يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ<sup>(٣٥)</sup> [النور].

وأكد القرآن على حسن التعامل مع الجار والإحسان إليه،<sup>(٣)</sup> كما قال - تعالى -: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>(٣٦)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، ج ٧٧/٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها، ج ٣٥/٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ج ٢١٦/١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب العيد، باب النهي عن صبر البهائم، ج ٧٣/٦.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاء بالجار، ج ٧٨/٧، وهو حديث متفق عليه.

[النساء]. كما قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره)).<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)).<sup>(٢)</sup> كما قال ﷺ: ((والله لا يؤمن والله لا يؤمن، فقيل من هو يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)).<sup>(٣)</sup> ولم يتوقف الأمر على المسلمين بل تعداه إلى غيرهم في أمر واضح وصريح في حسن التعامل معهم إن كانوا مسلمين في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ [الممتحنة].

وقد أمر ﷺ بالإحسان إلى الأسرى المقاتلين من الأعداء في قوله - تعالى -: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(٥)</sup> إِنَّمَا نَطَعْمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان].

وقد أمر ﷺ بالإحسان إلى أسرى بدر وغيرها من المشركين، فكان المسلمون يطعمونهم مما يأكلون ويحسنون التعامل معهم مما أثار فيهم ودفعهم إلى الإسلام بعد ذلك.<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ج ٧٨/٧، ٧٩. والحديث متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، ج ٧٨/٧، والحديث متفق عليه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ج ٧٨/٧. وهو حديث متفق عليه.

(٤) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.

ومن أروع الأخلاق التي بنيت عليها الأمة السخاء والعطاء،<sup>(١)</sup> وقد عرف العطاء في الأمة في كافة المجالات، ومن ذلك العطاء المالي سواء من خلال الزكاة أم الصدقات التي قرنت مع الصلاة في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝٢٦﴾ [المعارج]، وفي قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَهَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنِيسِرُهُ لِلْغِيبِ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۝١٣﴾ [الليل]، وقوله - تعالى -: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ ۖ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ ۖ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٢﴾ [البقرة]، وقوله - تعالى -: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٢٥٤﴾ [البقرة]، وفي الحديث الشريف قال ﷺ: ((إن الله جواد يحب الجود)).<sup>(٢)</sup> وفي سبيل إبعاد الضغناء والتحاسد والبعد عن القتال لأجل المال قال ﷺ: ((اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)).<sup>(٣)</sup>

إن هذا التوجيه الكريم لبناء الأمة ومجتمعها على الجود والعطاء كان

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج٧/٨١.

(٢) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الأدب، ما جاء في النظافة، ح برقم: ٢٧٩٩، ج٥/١١١ - ١١٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج٨/١٨؛ والإمام أحمد في مسنده، ج٢/١٦٠.

يمارسه ﷺ من خلال حياته وسيرته، حتى عرف بأنه أكرم من على وجه الأرض، وكان يحث على الصدقة ولو بالقليل: ((اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة)).<sup>(١)</sup> وقد كان المسلمون في زمانه يتنافسون في الصدقة والإنفاق على المحتاجين من المسلمين، وتجهيز جيوشهم وإكرام ضيوفه ﷺ، ويأتي في مقدمة هؤلاء عثمان بن عفان ﷺ الذي جهز جيش العُسرة.<sup>(٢)</sup>

كما كان الوفاء بالعهد من أهم أخلاق النبي ﷺ والمسلمين عموماً طبقها الرسول في حياته مع أصدقائه ومع أعدائه، قال - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةٌ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة].

وقد كان الرسول ﷺ يوادع ويعاهد عدداً من القبائل حول المدينة وفيهم لهم بعهدهم، كما عاهد بعض يهودَ عند وصوله إلى المدينة ووفى لهم حتى خان بعضهم، وقد عاهد قريشاً في صلح الحديبية ووفى بعهدهم معهم، وإن كان في ظاهره ظلم لبعض المستضعفين من المسلمين، كما حدث عندما جاءه أحد مستضعفي المسلمين، وقد فرّ من قريش فقال: يا رسول الله إنني

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة، ج ٢/١١٤.

(٢) انظر: غزوة تبوك، من هذا الكتاب.

والله لا أرجع إليهم أبداً فقال ﷺ: ((إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد، ولكن أرجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع))،<sup>(١)</sup> وحينما تحدث الخيانة من الطرف الآخر فقد شرع الإسلام نبذ العهد والإعلان عن ذلك صراحة لا خيانة كما يفعلون، فقال - تعالى -: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ [الأنفال].

وأمر بإتمام العهد ولم ينقضه وأن يتم مدته، وقد جاء في سورة التوبة قال - تعالى -: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١ ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾ ٢ ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٣ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ٤ ﴿[التوبة].

كما كان أداء الأمانة من أساسيات الأخلاق التي بني عليها الإسلام، قال - تعالى -: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب]، وكان ﷺ مضرب المثل في قريش قبل البعثة وبعدها حتى أنهم كانوا يسمونه الصادق الأمين، وكان الصادق سلوكه وخلقه، وصفه الله به في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر].

وكان ﷺ يحث على الصدق ويأمر به ويربي الناس عليه فقال:

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، ح برقم:

((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً))،<sup>(١)</sup> كما حدّث ﷺ وقال: ((آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان)).<sup>(٢)</sup>

أما في مجال الأخلاق الاجتماعية الأسرية، فقد اعتنى الإسلام ببنائها أخذاً في الحسبان احتمالات الخلاف، وتشابك العلاقات، ولذلك جاءت الشريعة وتطبيقاتها في مجال الأحوال الشخصية والشرائع الأسرية بما في ذلك علاقات الزواج والطلاق وما يصحبها من مشاحة، ونفقة ومتاع وحضانة وتربية ورعاية ومسؤولية، وجعل هناك حقوقاً واضحة وحدوداً مرعية من كل جانب، لا يظلم أحد أحداً، ولا يعتدي أحد على حق أحد.

وحذر المسلمين من تعدي تلك الأنظمة والقوانين الإلهية. ولعل ما ورد في سورة البقرة من تلك الأحكام والحدود يبيّن دقة التنظيم لهذه الجوانب، قال - تعالى -: ﴿لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَ اللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٣٦﴾ وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٣٧ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٣٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِن خِفْتُمْ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب، ج ٢٩/٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج ١٤/١؛ ورواه مسلم في صحيحه،

كتاب الإيمان، باب آية المنافق ثلاث، ج ٥٦/١.

أَلَا يُقِيماً حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مِحْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۗ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعِظُكُمْ بِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُعَظُّ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ لَكُمْ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۗ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۗ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۗ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۗ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ ۗ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۗ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ۗ وَلَا تَنْسُوا



الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣٧﴾ [البقرة].

وقد جاءت قواعد أخرى مختلفة حول ما يرتبط بالزواج ابتداءً من الخطبة إلى الفراق وأمر الأزواج بحسن المعاشرة، قال - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء]، وسميت بسورة النساء، لترفع من مكانتهن في نظر المجتمع، كما جعلت الشريعة المرأة ممثلة في الأم أغلى الناس وأحقهم بالبر لدى الإنسان، وجعلت الحياة الزوجية قائمة على المودة والرحمة والسكن، وهو أعظم معنى من الحب قال - تعالى -: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم]. وأمر الزوج بممازحة أهله ومداعبة زوجته، والتحبب إليها، وأمرت المرأة بطاعة زوجها،<sup>(١)</sup> وقد جاءت الأحكام الشرعية لتحريم العلاقة الجنسية وما يؤدي إليها خارج إطار الزوجية، لما في ذلك من تجنُّ على المواليد لغير آباء ومن إضعاف رباط الزوجية، وإفساد النساء على أزواجهن والرجال على زوجاتهم، إضافة إلى الأمراض الجسدية، وعَدُّ الزنا من الكبائر، بل أمر الإنسان رجلاً أو امرأة بغض البصر، وأن لا ينظر إلا إلى من أحلَّ الله له من الزوجات والمحارم.

قال - تعالى -: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُدْرِكْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا

(١) الكمداني، فن تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية، ص ٦٠.

يُؤْتِيَنَّ زَيْنَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ  
 أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي  
 أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ  
 الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ  
 زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور].

وهذه الآيات جامعة في السلوكيات والأخلاق التي تجعل الرجل لا ينظر  
 إلا إلى أهله، والزوجة كذلك، ولا يكون النظر للآخرين ليبعد الإنسان عن  
 أي سبب يؤدي إلى علاقة محرمة، فهي وقائية أولاً، وعلاج مسبق لإيجاد  
 الثقة بين الأزواج.

وفي الوقت الذي بنى فيه الرسول ﷺ المجتمع المسلم على أفضل الأخلاق  
 فإنه حذر من الأخلاق السيئة، ومنها ظلم الناس في قوله - تعالى - : ﴿ فَكَدَّبُوا  
 بِكُفْرِهِمْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ  
 نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان]، وقال ﷺ : (( اتق دعوة المظلوم فإنه  
 ليس بينها وبين الله حجاب ))،<sup>(١)</sup> كما حذر من الحسد في قوله - تعالى - :  
 ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء]، كما حذر من الغش فقال:  
 ((من غشنا فليس منا))،<sup>(٢)</sup> وحذر ﷺ من الرياء كما جاء في قوله - تعالى - :  
 ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ  
 ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون].

وحذر ﷺ من الرياء فقال: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب اتقاء دعوة المظلوم، ج ٩٩/٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا، ج ٦٩/١.

قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: ((الرياء)).<sup>(١)</sup> كما نهى عن الغرور والعُجب بالنفس وهو من أقوى المهلكات، كما قال ﷺ: ((ثلاث مهلكات؛ شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))،<sup>(٢)</sup> وقد أمر ﷺ ألا يفتر الإنسان بماله أو عبادته أو قوته أو شرفه أو عمله، وقد أمر ﷺ ألا يفتر بشيء من ذلك كما قال ﷺ: ((لن ينجي أحدًا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)).<sup>(٣)</sup>

كما كان ﷺ يكره الكسل ويتعوذ منه في قوله: ((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والمهرم والبخل)).<sup>(٤)</sup>

ولعل من أهم ما قدمه الإسلام للمجتمعات البشرية العناية بالوقت وترتيبه، والتفريق بين عمل النهار وسكون الليل، واستغلال الأوقات فيما ينفع، وعدم إضاعة الوقت فيما لا فائدة منه. وفي تقسيم أوقات الصلاة وتحديدها بدقة تظهر عناية الإسلام بالوقت، الذي هو حياة الإنسان ومادتها، في توزيع دقيق ليوومه وما يرتبط به من عبادة وعمل، وما يحتاج من راحة. وحق الإنسان على نفسه في هذا الترتيب هو كحق الله على الإنسان في العناية بالعبادات وتنظيم أوقاتها.

ومن الواضح لكل ذي لب عاقل أن هذه التشريعات والتطبيقات الأخلاقية

- 
- (١) رواه الإمام أحمد في مسنده، عن محمود بن لبيد الأنصاري ﷺ، ج ٤٢٨/٥.
- (٢) انظر: أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص ١٧٠؛ وانظر: ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٣٤.
- (٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، ج ١٣٩/٨.
- (٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، ج ١٣٩/٨.

في عصر الرسول ﷺ ومن خلال سيرته ساهمت في ترابط المجتمع وتلاحمه،  
ومحبته للرسول ﷺ ولما شرعه الله ﷻ.

ولم يقف تأثيرها عند ذلك العصر، بل امتدت بركتها في الأمة والإنسانية  
حتى يومنا الحاضر.

\* \* \* \* \*

### البناء العسكري<sup>(١)</sup>

بدأ الرسول ﷺ دعوته في مكة وجهر بها بعد ما يقارب ثلاث سنوات من البعثة، وناله من قريش أذى كثير، كما نال أصحابه أشد العذاب، حتى قتل بعضهم من شدة العذاب من أمثال ياسر وسمية.

وكان الرسول ﷺ يواسيهم ويدعو لهم ويأمرهم بالصبر ويعدُّهم بالنصر والتمكين، ويمنعهم من القتال.

وبعد إسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبدالمطلب ﷺ عزَّ المسلمون، ومع ذلك لم يؤمروا بقتال، ولم يتوقف الأذى عن المسلمين عمومًا وعن الرسول ﷺ خصوصًا، حتى أن قريشًا حاولت قتله ليلة الهجرة فنجاه الله منهم.

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ومن معه من المهاجرين وانضمامهم إلى الأنصار في دار الهجرة أصبحوا ذوي عدد وقوة، ومع ذلك فإنهم لم يؤمروا بقتال في المرحلة الأولى، مع أن الجميع كانوا مستعدين لما يأمر به الرسول ﷺ، جاء ذلك على لسان الأنصار حينما بايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية، وقالوا: ((والذي بعثك إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيا فإنا فأجاب ﷺ: لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم)).<sup>(٢)</sup>

كان معظم المهاجرين والأنصار من شجعان الرجال المحاربين للقتال، المتمرنين عليه، وتزايدت أعدادهم وقويت شوكتهم وكانوا على استعداد

(١) أُلِّفت العديد من الكتب عن الجوانب العسكرية في حياة الرسول ﷺ منها: محمود شيت خطاب، المصطلحات العسكرية في القرآن، والرسول القائد؛ ومحمد فتح الله كولن، الرسول قائدًا؛ ومحمد ظاهر وتر، فن الحرب في عهد الرسول ﷺ. وغيرها كثير مما يصعب حصره.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٤٤٨، انظر: بيعة العقبة الثانية، من هذا الكتاب.



لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ  
قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ [البقرة].

وتوالى التشريعات في مجال قتال المشركين والكفار طوال حياة الرسول ﷺ ونالت أحكام الجهاد مكانتها عند علماء الشريعة حتى ألفت في ذلك كتبٌ وأبوابٌ خاصة وفقه للجهاد.<sup>(١)</sup>

وقد كان تكوين الجيش زمن الرسول ﷺ بسيطاً، منظماً قوياً، بتسليح وتجهيز ذاتي من الأفراد في الغالب، وقد اعتمد الرسول ﷺ على أرقى الأساليب في إعداد قواته وجيشه، ومن ذلك استمرار التدريب والعمل الجاد للصحابة من خلال السرايا التي كان يبعثها من المدينة. وكان رجالها يقومون بأعمال عسكرية محددة الأهداف والطرق والقادة، بعضها للمناورة، وبعضها للقتال، وبعضها لاعتراض الأعداء وقطع الإمدادات عنهم. وكلها على اختلاف وجهاتها مع تحقيقها لأهدافها الخاصة ساهمت في تدريب وتطوير القدرات العسكرية لأصحاب النبي ﷺ، وزادت من قدراتهم القتالية والقيادية وتحملهم الشدائد واستعدادهم للتضحية والشهادة.

وقاتلوا مع رسول الله ﷺ في بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها ضد المشركين وحلفائهم، حتى فتح الله مكة، وضد يهود حتى أخرجوهم بعد خيانتهم من المدينة، وفتحوا خيبر. وبدأ المسلمون الانطلاق خارج الجزيرة العربية في معركة مؤتة، وفي غزوة تبوك، التي أثبتت تنامي القوة العسكرية تدرجاً في حياة الرسول ﷺ حتى غيرت مجرى التاريخ الإنساني،

(١) انظر: كوركيس عواد، مصادر التراث العسكري عند العرب، ٣ مجلدات، بغداد: المجمع العلمي العراقي ٤٠٢هـ.

بانطلاقها في الفتوح الكبرى على يد الخلفاء الراشدين بعد وفاة الرسول ﷺ، بقيادة أصحابه وجنودهم الذين تولى ﷺ تدريبهم وتربيتهم ليحقق الله فيهم ما وعد في قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]، وقد طبقوا ما قال الله لهم ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة] كما نفذوا ما أمروا به في قوله - تعالى -: ﴿أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة].

ويمكن تلخيص أهم ملامح النظام العسكري لدولة الرسول ﷺ في نقاط منها:

- أن الرسول ﷺ كان يقود الجيوش بنفسه ويشاركهم الجهاد والتضحية، وأنه أصيب في بدنه، وجاهد بنفسه وتعرض للخطر كغيره من الجنود، كان يتعب معهم، ويواسيهم ويداوي جراحهم، لا يتكبر ولا يتجبر، بسيطاً في تعامله رحيماً بجنده.

- كان ﷺ يختار الأكفاء في القيادة العسكرية للمهام العسكرية، وإن كان فيهم من هم أقدم إسلاماً أو أكبر سناً، كان يؤمّر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه، لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب.<sup>(١)</sup>

(١) انظر: ما سطره ابن تيمية في كتابه الرائع (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)، تحت عنوان: اختيار الأمثل فالأمثل، ص ٢٥.



- كان ﷺ لا يجبر أحداً من المسلمين على الانضمام إلى الجيش، ولا يُكرهه على ذلك، مع أنه كان يحبب لهم الجهاد بالمال والنفس، ويضرب لهم الأسوة بنفسه، ويذكرهم بموعود الله للمجاهدين عمومًا وللشهداء خصوصًا فكان جند الرسول ﷺ أعلى جنود الأرض معنوية وأسماهم أهدافًا وأكثرهم رحمة بالخلق، وحماسًا في أداء الواجب.

- كان جميع جنود الرسول ﷺ من المتطوعة، الذين يؤمنون بالجهاد معه، ولا ينتظرون مقابل ذلك راتبًا أو أجرًا دنيويًا، وكانوا مسؤولين عن إعداد أنفسهم بالسلاح والتموين اللازم للرحلات العسكرية والسرايا والغزوات الجهادية، باحثين عن رضا الله ورسوله قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا﴾ [الصف]. كانوا يكلفون بمهامهم كل حسب قدرته، منهم الفارس والراجل، ومنهم الرامي وحامل الراية، ومنهم المسؤول عن الاستطلاع، ومنهم المسؤول عن السقاية، ومنهم الراعي، يكمل بعضهم بعضًا، الكل مجتهد في قتال أعداء الإسلام، مستعد للتضحية في سبيل الله وطلب رضاه، واعتبر الفرار أو التولي يوم الزحف من الكبائر العظيمة، كما قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال].

ومع أن التمويل المادي للجند ذاتي في الغالب، فقد رغب الله ﷻ في النفقة على المجاهدين وبذل المال مع النفس في هذا الأمر قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ عُرْوَةِ نُجُوحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [١٠] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصف]. ولذلك عُرف عدد من الصحابة بكثرة نفقاتهم على المجاهدين في سبيل الله وعلى رأس هؤلاء

عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزوة تبوك،<sup>(١)</sup> وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه الذي سماه الرسول صلوات الله وسلاماته عليه بطلحة الجود لتبرعه الكثير في إحدى الغزوات.

وقد شاركت النساء مع الرجال في الإعداد المالي والتموين وفي السقاية ومداواة الجرحى.<sup>(٢)</sup>

ما يصيبه المسلمون من أموال الأعداء له طريقته ونظامه في التقسيم، فمنه الغنيمة وهي: (ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة)،<sup>(٣)</sup> وكذلك عرف الفبيء وهو: (ما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب).<sup>(٤)</sup>

وقد كانت الشريعة واضحة في تقسيم ما يصيبه المسلمون من الأعداء، فالغنيمة يعطى منها المقاتلون، ويبدأ بمن قتل قتيلاً فله سلبه،<sup>(٥)</sup> ثم يؤخذ بعد ذلك الخمس لله وللرسول يضعه رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه حيث يشاء لمصلحة الأمة فيما يراه، وهو الوارد في قوله - تعالى -: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْفَتْحِ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ [الأنفال]. وفي قوله - تعالى -: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦١﴾ [الأنفال].

وأما الفبيء وهو الوارد في قوله - تعالى -: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا

(١) انظر: غزوة تبوك، من هذا الكتاب.

(٢) عبدالعزیز السلومي، ديوان الجند، ص ٣٧٣.

(٣) يحيى بن آدم، الخراج، ص ١٧.

(٤) يحيى بن آدم، الخراج، ص ١٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب الغنيمة لمن شهد الواقعة، ج ٤/٥١؛ وباب "من

لم يخمس الأسلاب" و "من قتل قتيلاً فله سلبه"، ج ٤/٥٧.

أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر].

الخراج في عصر عمر رضي الله عنه ومن بعده عمل به عمل الفياء أي قسّم على مصالح الأمة تحت نظر الخليفة، بعدل ونظام يعم المسلمين ومصالحهم، بعيداً عن مصالح الخلفاء الخاصة، عملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما حصل في أموال بني النضير بعد أن غنمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، <sup>(١)</sup> وقد أُلْفِتْ كَتَبَ فِي هَذِهِ الْأَحْكَامِ الَّتِي سَارَتْ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ فِي زَمَنِ الرَّاشِدِينَ وَمِنْ جَاءِ بَعْدِهِمْ. <sup>(٢)</sup>

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالسلاح والتدريب عليه، فقد كان يفتيه ويستعمله، فقد استعمل السيف والرمح ورمى بالقوس ولبس الدرع والمغفر، وقال: ((إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري)). <sup>(٣)</sup> وحثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على صناعتها فقال: ((إن الله صلى الله عليه وسلم يُدْخِلُ الثَّلَاثَةَ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢/١٨٤٥/١٨٤٦.

(٢) انظر: أبو يوسف كتاب الخراج؛ ويحيى بن آدم، كتاب الخراج؛ وابن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج؛ والماوردي، الأحكام السلطانية.

(٣) صحيح البخاري، فتح الباري، ج ١٢/٥٦.

الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والممد به، والرامي به)).<sup>(١)</sup> كما قال ﷺ: ((تعاهدوا قرنكم فلا تزال مملوءة نبلاً أبداً)).<sup>(٢)</sup>

وتصنيع السلاح<sup>(٣)</sup> وإعداده جزء من إعداد القوة التي أمر الله بها في قوله - تعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال]. وكان بعض صغار الصحابة ييرون النبال ويُعدونها، فإذا قيل لأحدهم ابن كم كنت؟ قال: كنت أبري النبل وأريشها.<sup>(٤)</sup> وكان بعض الصحابة يصنع النبال فيأتي بها المسجد للتصدق بها.<sup>(٥)</sup> وبعض الصحابة يقتني عدداً كبيراً من السلاح لحاجته ولحاجة الآخرين في الغزوات فيغيرها لهم.

وقد عمل الرسول ﷺ على صناعة دبابة لمهاجمة أسوار الطائف أثناء حصارها،<sup>(٦)</sup> كما عمل ﷺ منجنيقاً أثناء حصار الطائف رماهم به.<sup>(٧)</sup>

كان أصحاب النبي ﷺ يمارسون التدريب على السلاح باستمرار بناءً على توجيهه ﷺ، وكان يشهد ذلك معهم وخصوصاً الرمي، حتى أنهم كانوا في بعض الأيام يترامون عامة اليوم.<sup>(٨)</sup>

(١) الدارمي، في سننه ج٢/٢٤.

(٢) انظر السخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهم ورقة: ٥٣.

(٣) انظر: عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي، (تصنيع السلاح)، ص ٢٠٧.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٣/١٨٧.

(٥) السخاوي، القول التام، ورقة: ٩٣.

(٦) عبدالحى الكناني، التراتيب الإدارية، ج١/٣٧٤.

(٧) إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين، ص ٤٧٠.

(٨) السخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهم، ورقة: ٨٢. د. عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ص ٢١٨.

وقد بين أهمية التدريب فقال: ((كل شيء يلهو به الرجل باطلٌ إلا رمي الرجل بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبة أهله، وقال من ترك الرمي بعد ما علّمه فقد كفر الذي علّمه))،<sup>(١)</sup> كما اتضح من أدلة عديدة تدربُ الصحابة على الرمي وركوب الخيل ومسابقتهم به أمام رسول الله ﷺ،<sup>(٢)</sup> حتى عُرف مكان سباقهم في المدينة بالسبق وعرف مسجد في المنطقة بمسجد السابق.<sup>(٣)</sup>

ويمكننا القول إن التنظيم العسكري وما يرتبط به من استعدادات وجيوش وسلاح في العصر النبوي شمل الهندسة العسكرية وما يتبعها من إعداد خاص سواء كان المباني العسكرية أم التحصينات المختلفة.

فقد كان في المدينة عددٌ من الحصون التابعة للأنصار كان لها دورها في حماية النساء والذراري وغير المقاتلين في الغزوات التي استهدفت المدينة، مثل حصن فارع<sup>(٤)</sup> وغيره وكانت المدينة تفتقد إلى سور عام يحميها من الأعداء زمن الرسول ﷺ ولذلك اعتمدت على الحصون والأطام، وقد وجدت حصون كثر عند يهود المدينة، الذين دخل الرسول ﷺ في حرب معهم، ونصره الله عليهم، رغم حصونهم القوية فقد نصر الله نبيه عليهم ومكنه منهم، يقول - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

(١) الدارمي، سننه، ج ٢/٢٠٥؛ والترمذي، سننه، ج ٤/١٧٤؛ وابن القيم، الفروسية، ص ٢٠.

(٢) انظر: ابن القيم، الفروسية، ص ٥.

(٣) انظر: عبدالعزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج ١/١٦٠.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٢٢٨؛ والفيروز آبادي، المغانم المطابة، ص ٣٩؛ وانظر: إلى هذه الأطام مفصلة في كتاب أحمد بن عبد الحميد العباسي، عمدة الأخبار، ص ٢٣٢ - ٤٣٧؛ وما كتبه الدكتور عبدالعزيز كعكي في موسوعته الرائعة عن معالم المدينة المنورة في العمارة والتاريخ، الجزء الثالث، الأسوار والأبواب والقلاع والأبراج، م ١/١٧٥.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ [الحشر]. وفي قوله - تعالى - عن بني قريظة: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب].

كما وجدت حصون أخرى لدى يهود خيبر فتحها الرسول ﷺ الواحد تلو الآخر،<sup>(١)</sup> كما وجدت حصون أخرى في وادي القرى وتيماء عالج الرسول ﷺ أهلها حتى أسلموا له.<sup>(٢)</sup>

وحيثما غزت قريش ومن معها من الأحزاب المدينة المنورة سبقهم الرسول ﷺ بعمل الخندق المشهور حولها، حيث أشار عليه سلمان الفارسي ﷺ بذلك، فقام ﷺ بنفسه بدراسة جغرافية المكان وحدد نقاطاً يتم الحفر بينها لوضع حزام من الخندق المحفور حول المدينة، يمنع دخول الأعداء من الأحزاب. وقد قام الرسول ﷺ بتقسيم العمل على فرق محددة من الصحابة وحضر الرسول ﷺ بنفسه معهم حتى علاه الغبار كغيره من أصحابه، وكان من أشدهم عملاً. وكان ينشد معهم أثناء الحفر، وكان الخندق كافياً لمنع هؤلاء الغزاة من دخول المدينة، وتحصيناً سريع الإنجاز عظيم الفائدة لا يقل عن بناء الأسوار الذي يحتاج جهداً ووقتاً أكبر.<sup>(٣)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣٣٧: والواقدي، المغازي، ج ٢/٦٧٠.

(٢) انظر: د. عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ص ١٩٠.

(٣) انظر: غزوة الأحزاب، من هذا الكتاب؛

وانظر: عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في العصر النبوي، ص ١٩١.

## دولة الرسول ﷺ والسلام العالمي

قامت دولة الرسول ﷺ على السلام لمن هم تحت لوائها، سواء أكانوا مسلمين أم ذميين، ضمنت لهم العدل والأمان وحماية دين الله من المعتدين. وقد توسعت بالتدرج حتى شملت بلاد العرب قاطبة وامتدت لعلاقات خارجية سواء ما كان مع القبائل العربية أم مع الدول المجاورة.

وكان ﷺ منذ بعثته وقبل ذلك يدرك القوى العالمية المجاورة وحتمية الاحتكاك بالدول والمجتمعات والقبائل التي تعارضه، ولذلك فإن اختياره الحبشة لهجرة أصحابه كان عن دراية تامة بأهلها ونظامها وملكها، ولذلك طلب ﷺ من أصحابه الهجرة إليها وأفادهم: ((إن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد)).<sup>(١)</sup> وثبت ما قال ﷺ كما عرض نفسه على القبائل المختلفة قبل الهجرة، سواء في مكة أثناء موسم الحج أم في الأسواق والمواسم في بلاد العرب.<sup>(٢)</sup> وهذا تأكيد للعلاقة الخارجية، وبعد الهجرة كاتب ﷺ ملوك وقادة وزعماء الدول والقبائل بما في ذلك كسرى فارس وقيصر الروم<sup>(٣)</sup> أعظم دولتين في العالم حينها. وكانت رسائله ﷺ واضحة في تبليغ الرسالة والسلام لمن سالم مُصَدِّراً ذلك في كل كتبه: "بالسلام على من اتبع الهدى"، حيث كانت كلمة السلام هي الأولى من ألفاظه، وكان يخبر ﷺ أصحابه باستمرار بأن دعوته ستصل إلى كل مكان ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار وذلك تأكيداً لعالمية رسالته: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) [الأنبياء].

والمطلع على رسائل الرسول ﷺ للملوك والزعماء يدرك هذا البعد

(١) انظر: الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب.

(٢) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: كتبه ﷺ للملوك والزعماء، في موضعه بعد غزوة الحديبية، من هذا الكتاب.

وحرصه على السلام البشري للناس كافة،<sup>(١)</sup> وأن ما وضعه الله ورسوله من شرع ونظام كفيل بالسلام للجميع حتى لو لم يدخلوا في الإسلام، لكن شرط أن لا يعتدوا على المسلمين أو يصدوا الناس عن سماع الإسلام واتباعه، إنه الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ.<sup>(٢)</sup>

إنها النظرة العامة للعالم، والعلاقة به المبنية على السلام وتبليغ الرسالة وحملها للناس كافة، وصعوبة الانعزال عن المجتمعات البشرية وضرورة الاحتكاك بها،<sup>(٣)</sup> وتبليغها الخير والأخلاق والسلام الذي جاء به الإسلام<sup>(٤)</sup> وإمكانية التعايش مع المخالفين في الدين في ضوء حفظ الحقوق للجميع، بما فيها من حق الزكاة على المسلمين والجزية على غيرهم داخل دولة الإسلام، ومن منع الزكاة فهو مخالف للنظام والشرع، وكذلك من منع الجزية، والتعاون في دفع الظلم ومد وإقامة الجسور الاقتصادية مع سائر المناطق والشعوب المجاورة وحفظ طرق القوافل التجارية وإقامة العهود والمواثيق مع الدول والجماعات والقبائل وحفظها، وكانت واجبة التنفيذ من منطلق ديني وشرعي قابلة للشروط المختلفة التي يتم الاتفاق عليها.<sup>(٥)</sup> وقد ألفت عدة كتب في هذه الوثائق والمعاهدات النبوية يمكن الرجوع إليها.<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، رسائل ورسول الله ﷺ إلى الملوك والأشراف، تحقيق محمد عبدالرحيم، دمشق: دار سعد الدين ١٤٢٥هـ؛

الخالدي: صلاح عبدالفتاح، الرسول المبلغ ﷺ، دمشق: دار القلم ١٤١٨هـ، ص ٩ - ١٢.

(٢) انظر: د. عبدالوهاب كلزية، الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م.

(٣) انظر: د. عبدالوهاب كلزية، مصدر سابق، ص ٦.

(٤) انظر: قلعة جي، محمد رواس، قراءة سياسية للسيرة النبوية، ط ٢ - بيروت: دار النفائس ١٤٢٠هـ، ص ٣٠٤.

(٥) انظر: د. عبدالوهاب كلزية، مصدر سابق، ص ٨٦.

(٦) انظر: ما احتواه كتاب د. محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة من وثائق عالمية عن عصر الرسالة.



### وفاة المصطفى ﷺ<sup>(١)</sup>

جاء الرسول ﷺ ليعلم الناس عبادة الله والاستعداد لليوم الآخر ولقاء الله، وكان يذكرهم بالموت ويوم المعاد، وقد وردت لفضة الموت ومشتقاتها في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن الكريم ومنذ بداية البعثة والقرآن يذكر النبي ﷺ: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الضحى].

وجاءت الآيات القرآنية لتعلن صراحة: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر]، وترد الآيات على كفار قريش الذين كانوا ينتظرون وفاة الرسول ﷺ لتنتهي دعوته كما زعموا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِّنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَّا يَأْنٍ مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء]، وهذا الأمر مبدأ عام لكل البشر والخلق: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء]، وفي قوله - تعالى -: ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَاَن ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن]، وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص]، وقوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة]، وقوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلُوا قُلُوبًا فَادَّرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران].

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾، ج ١٣٧/٥ — ١٤٤؛ ووضع ابن أبي شيبة، في كتاب المغازي، ما جاء في وفاة النبي ﷺ، ص ٤٠٩؛ كما ألفت العديد من الكتب في وفاة النبي ﷺ، وآخر ما تكلم به منها: أحمد جاد، وفاة الحبيب؛ وأبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، وغيرها.

وقوله - تعالى - : ﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبَّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَن عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [٧٨] [النساء].

كما كان واضحاً أنه ﷺ كان يودع أمته ويؤكد على ذلك أكثر من مرة في حجة الوداع ((خذوا عني مناسككم فالعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا))، فطلق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع.<sup>(١)</sup>

كما أنه ﷺ حين ودع معاذ بن جبل قبل سفره إلى اليمن، قال: ((يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا فتمر بقبري ومسجدي))،<sup>(٢)</sup> فبكى معاذ ﷺ.

في الوقت الذي هيا فيه رسول الله ﷺ نفسه للقاء ربه واستعد لذلك كان القرآن يُعدُّ أصحابه وسائر الأمة لفراقه والنبات على دينه من بعده: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [١٤٤] [آل عمران].

وكانت هذه الآية من مثبتات الصديق ﷺ عند وفاة الرسول ﷺ تلاها على الناس فكانت عوناً في تهدئتهم وثباتهم، وقد قال ﷺ لابنته فاطمة ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي)).<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٤/٢١٠؛ وصححه الألباني في السلسلة، برقم: ٢٤٩٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤/١٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل فاطمة بنت النبي - عليها الصلاة والسلام، ج ٧/١٤٣.

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت: ((سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك)) قالت: قلت يا رسول الله: ما هذه الكلمات أراك أحدثتها تقولها قال: ((جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتهما قلتها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾)).<sup>(١)</sup>

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على توديع الأحياء، فقد كان كذلك - حريصاً على زيارة قبور الأموات من المسلمين في آخر أيامه، فقد زار صلى الله عليه وسلم قبور شهداء أحد كالمودع لهم، حيث ورد عن عقبه بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: ((إني بين أيديكم فرطٌ - أي متقدمٌمكم - وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها)).<sup>(٢)</sup> فقال عقبه: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>(٣)</sup>

كما حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيارة مقبرة البقيع والدعاء لأهلها؛ ورد في حديث أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال: ((يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج٢/٥٠؛ وانظر: تفسير ابن كثير، سورة النصر، ج٢/٢٠٤٣.

(٢) العلي، صحيح السيرة، ص ٥٥٤؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٤١٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، ج٢/٩٤، وكتاب المغازي، باب أحدٌ يحبنا ونحبه، ج٥/٤٧٠.

معي))، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: ((السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهناً لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شرُّ من الأولى))، ثم أقبل عليّ فقال: ((يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فخيرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة))، قال: فقلت: بأبي أنت وأمي خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: ((لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة))، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه.<sup>(١)</sup>

### شكوى رسول الله ﷺ:

في أواخر شهر صفر وقبل وفاته ﷺ بخمسة وعشرين يوماً بدأت شكوى رسول الله ﷺ، وكان صابراً محتسباً لا يشتكي لكن مناسبة أظهرت شكواه، ذلك أنه ﷺ كان راجعاً من زيارة أصحاب البقيع، فاشتكت له أم المؤمنين عائشة ﷺ من صداع في رأسها، تقول عائشة زوج النبي ﷺ: ((رجع إليّ النبي ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً، وأنا أقول: وارأساه، قال: "بل أنا والله يا عائشة وارأساه"،<sup>(٢)</sup> قالت: ثم قال: "وما ضرك لو ميت قبلي فغسلتك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟" قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك قالت: فتبسم رسول الله ﷺ وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه،

(١) العلي، صحيح السيرة، ص ٥٥٣؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/٦٦٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرض، باب قول المريض إني وجع أو وا رأساه أو اشتد بي الوجع، ج ٨/٧؛ وانظر: الرواية الأخرى في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤٢/٥؛ وانظر: كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ج ٨/١٢٥.

حتى استعزَّ به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه، فاستأذنه في أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له)).<sup>(١)</sup>

نعم كانت بداية شكواه وشعور أمهات المؤمنين بها في ليلة محددة، بمناقشة أم المؤمنين عائشة ؓ له بعد عودته من البقيع.

ورد عن أم الفضل بنت الحارث قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً ثم ما صلّى لنا بعدها حتى قبضه الله. <sup>(٢)</sup> ولعل حديث أم الفضل يشير إلى مغرب الليلة التي اشتدَّ فيها وجع رسول الله ﷺ كما ذكرت عائشة ؓ، ولعل هذا اليوم هو يوم الاثنين قبل وفاته بأسبوعين كما ذكر بعض العلماء.<sup>(٣)</sup>

#### اشتداد المرض على رسول الله ﷺ:

كان عند رسول الله ﷺ قبيل موته تسع من أمهات المؤمنين، وكان يرتاح أكثر عند أم المؤمنين عائشة ؓ، وحين مرض ﷺ كان حريصاً على إعطائهن حقهن من المبيت، رغم ما في ذلك من إزعاج له بالثقل اليومي حال المرض، ولما اشتدَّ عليه المرض كان يسأل: ((أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة، فأذنَّ له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها)).<sup>(٤)</sup> وتوضح بعض الروايات كيفية انتقاله ﷺ للتمريض في بيت عائشة. ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة ؓ زوج النبي ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي، فأذنَّ له

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٤٣؛ وانظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٧.

(٣) من رواية البخاري، ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٦٠.

(٤) من حديث البخاري، في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٢.

فخرج وهو بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباسٍ ورجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة رضي الله عنها فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمِّ عائشة؟ قال: قلت: لا قال ابن عباس: هو عليٌّ، <sup>(١)</sup> كان انتقال عليٍّ والعباس برسول الله صلى الله عليه وآله لحجرة عائشة دليلاً على قربهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى مكانة عائشة وراحته رضي الله عنها عندها. وقد بقي رضي الله عنه في حجرة أم المؤمنين عائشة آخر أيامه، وكانت أمهات المؤمنين وآل البيت من أمثال العباس وعلي بن أبي طالب يترددون عليه ويسعون لخدمته بما يستطيعون، وكان يخص بعضهم بالحديث لما لهم من مكانة عنده ولحبه الخاص لهم. ومن هؤلاء ابنته الوحيدة المتبقية فاطمة رضي الله عنها أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة أشبه الناس بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله. <sup>(٢)</sup>

وقد نقلت لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بكل صدق وأمانة موقفاً يبين مكانة فاطمة رضي الله عنها من رسول الله صلى الله عليه وآله وما خصّها به من علم لم يُعطه أحداً آخر فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارّها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارّني النبي صلى الله عليه وآله أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أنني أوّل أهل بيته يتبعه، فضحكت. <sup>(٣)</sup>

وقد أورد البخاري تفصيلات أكثر عن هذه الحادثة برواية عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ((مرحباً بابنتي)) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرّ إليها حديثاً

(١) البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، ج ١٤٠/٥.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، ج ١٣٨/٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، ج ١٣٨/٥.

فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها. فقالت: أسرَّ إليَّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حُضراً أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فبكيته. فقال: أما ترضين أن تكوني سيده نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك.<sup>(١)</sup>

إن هذه الحادثة والرواية تعطي وضوحاً تاماً في خصوصية فاطمة ﷺ بالعلم وإخبار الرسول ﷺ لها أنها سيده نساء أهل الجنة، كما أن عائشة ﷺ كانت صادقة في النقل عن رسول الله ﷺ في أنها هي تحدث بفضائل فاطمة، في كتاب المناقب عند البخاري ﷺ وعند غيره.<sup>(٢)</sup> وما خصَّ به رسول الله ﷺ فاطمة، وهذا من أكبر الأدلة على الصلة الصحيحة الحقة بين أمهات المؤمنين وبين بقية آل بيت النبي ﷺ، فمعظم الأحاديث في فضل فاطمة وعلي ﷺ وردت برواية أم المؤمنين عائشة ﷺ.

ولعل في تريض الرسول ﷺ في بيت عائشة حكماً متعددة، فبالإضافة إلى راحة النبي ﷺ النفسية عندها ومعرفتها لما يريد قبل أن يتكلم، فقد كانت أكثر أمهات المؤمنين حفظاً لما يقول ﷺ وهو في أيامه الأخيرة. ومن المواقف الأخرى الخاصة بفاطمة ﷺ أنه لما ثقل النبي ﷺ قالت فاطمة ﷺ: واكْرَبَ أباه فقال ﷺ: ((ليس على أبيك كرب بعد اليوم)).<sup>(٣)</sup>

كما ورد عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: ((وددت لو أن عندي بعض أصحابي، قلنا: يا رسول الله ﷺ ألا ندعو لك أبا بكر؟

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٣٨/٥.

(٢) انظر ترجمة فاطمة ﷺ في المعاشين للرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

(٣) من حديث البخاري في صحيحه، ج ١٤٤/٥.

فسكت، فقلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: نعم. فجاء، فخلّا به فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير<sup>(١)</sup>.

وقد ورد أن عثمان بن عفان ﷺ قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا صائر إليه، فكانوا يرونه ذلك اليوم.

وقد ورد عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يا عثمان إنه إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه، يقول ذلك ثلاث مرات))<sup>(٢)</sup>.

وقد ثبت عن أسامة بن زيد ﷺ قال لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس بالمدينة فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه عليّ ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي<sup>(٣)</sup>. ومن المعروف أن أسامة بن زيد ﷺ كان مكلفاً في تلك الفترة وقبل مرض النبي ﷺ بقيادة جيش البلقاء.

وقد ثبت عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسستهُ بيدي فقلت يا رسول الله: إنك لتوعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ((أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال ﷺ: أجل، ثم قال ﷺ: ما من مسلم يصيبه أذى من

(١) رواه ابن ماجه، في المقدمة، باب (١١) فضل عثمان ﷺ، ح برقم: ١١٣، ج ٤٢/١؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٦٦/٣، وصححه الألباني؛ انظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ٧٦.  
(٢) من رواية الترمذي في سننه، المناقب، في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ح برقم: ٣٧٠٥، ج ٦٢٨/٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٥١/٤؛ رواه الترمذي، كتاب المناقب، مناقب أسامة بن زيد ﷺ، ح برقم: ٣٨١٧، ج ٦٧٧/٥؛ ورواه أحمد في مسنده، (٢١٢٤٨)؛ وقد جعل البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه، بعد باب وفاة النبي ﷺ، ج ١٤٥/٥.



مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)).<sup>(١)</sup>

وفي أثناء مرض الرسول ﷺ مرّ أبو بكر ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلسنا من رسول الله ﷺ، فدخل العباس على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد: أيها الناس فإن الناس يكثرون، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالمالح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم)).<sup>(٢)</sup>

ومن الخطب التي نقلت عنه ﷺ في مرضه ما رواه ابن عباس ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصباً رأسه بخرقة، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((إنه ليس أحد من الناس أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل، سُدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر)).<sup>(٣)</sup>

ولا شك أن هذه الرواية من ابن عباس ﷺ فيها رد على من يدّعي وجود خلاف بين أبي بكر ﷺ وبين آل البيت، فها هو أحد علماء آل البيت يتحدث عن فضائل أبي بكر الصديق في كلام من آخر ما تحدث به رسول الله ﷺ إلى الأمة.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى والطب، باب شدة المرض، ج ٣/٧؛ وباب أشد الناس بلاء الأنبياء، ج ٣/٧.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب قول النبي ﷺ: اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، ج ٢٢٦/٤؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٥٠/٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ج ١٢٠/١؛ وأحمد في مسنده، ج ٢٧٠/١؛ انظر: رواية مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ج ١٠٨/٧.

وورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: ((إن الله خير عبداً ما بين الدنيا وبين ما عنده، فاختر ما عند الله))، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً ما بين الدنيا وبين ما عنده، فاختر ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا، قال: ((يا أبا بكر لا تبك إن من آمن الناس عليّ في صحبته وفي ماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر)).<sup>(١)</sup>

وقيل إن الصديق رضي الله عنه لما فطن لكلام رسول الله ﷺ بكى وقال: (بل نفديك بأبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله، ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة)،<sup>(٢)</sup> وهذا دليل على أنها آخر خطب الرسول ﷺ.

ومن هذه الخطبة والتورية من رسول الله ﷺ فهم الصديق وداع النبي ﷺ وقُرب أجله، فبكى وأعلن استعداداه لفداء رسول الله ﷺ بكل ما يستطيع، فإذا برسول الله ﷺ يبادلُه الشعور ويشفي عليه ويعطيه فضلاً ناله وحده ﷺ، وهو أن تكون خوخته هي الباب الوحيد الذي يبقى مباشرة للدخول على مسجد رسول الله ﷺ. وهذا فيه إشارة إلى أنه سيكون إمام المسلمين للصلاة بهم بعد رسول الله ﷺ وهذا ما حصل بعد ذلك.

وقد اجتمع عليه رضي الله عنه أهل بيته وقد اشتدّ به الوجع،<sup>(٣)</sup> فتشاوروا فيما

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ج ١/١٢٠؛

وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٦٤٩.

(٢) رواه الدارمي في المقدمة، باب وفاة النبي ﷺ، ج ١/٣٦.

(٣) انظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ٦٤.

بينهم، فقررُوا أن يلدُوهُ بدواء جِيء به من الحبشة (أي يدخل دواء في جانب فمه) وهو دواء خاص بذات الجنب، فأشار إليهم ﷺ أن لا يفعلوا ذلك، فقالوا كراهية المريض للدواء، فأمر رسول الله ﷺ أن يُلدَّ كل من شهد ذلك ((لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس، فإنه لم يشهدكم))،<sup>(١)</sup> وقد أراد رسول الله ﷺ من القصاص منهم تطهيرهم، خشية أن يأتوا يوم القيامة ويحاسبوا على فعل عصوا فيه رسول الله ﷺ فكان حريصاً على التكفير عنهم بالقصاص رحمة بهم، لا انتقاماً كما يظن البعض.<sup>(٢)</sup>

كما ثبت أنه حين اشتد عليه وجعه قال ﷺ: ((هريقوا عليّ من سبع قِربٍ لم تُحلَّ أو كيتُنهنَّ لِعليّ أهدُ إلى الناس))، فأجلسناه في مِخضِبٍ لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتُنَّ، قالت ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم.<sup>(٣)</sup>

كما ثبت عن عائشة ﷺ أنها قالت: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه).<sup>(٤)</sup>

وكان من سنَّته ﷺ أن ينفث على نفسه في صحته ومرضه ﷺ، وقد ورد عن عائشة ﷺ: (أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي تويء فيه طفقت أنفثُ على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه).<sup>(٥)</sup>

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤٣/٥.

(٢) انظر الزرقاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ٣ / ٣٧٩.

(٣) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤٠/٥.

(٤) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤٠/٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٣٩/٥.

وقد ورد أنه ﷺ كان يشتكي من السمّ الذي أكله في شاة اليهودية، في الطعام الذي صنَعته لرسول الله ﷺ في خيبر، وأرادت به قتله ﷺ، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة ؓ قالت: (كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: ((يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبهري في ذلك السمِّ)).<sup>(١)</sup>

وفي الأيام الأخيرة اشتدّ الألم برسول الله ﷺ، وكان يجتمع عنده أهل بيته وخاصة أصحابه للسلام والاطمئنان عليه. وكان من لم يدخل عليه يسأل من دخل عليه. عن كعب بن مالك الأنصاري ؓ أن عبد الله بن عباس ؓ أخبره (أن علي بن أبي طالب ؓ خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ﷺ، قال: أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده العباس ؓ فقال: ألا تراه أنت، والله بعد الثلاث عبْدُ العصا، والله إنني لأرى رسول الله ﷺ سيُتوفى في وجعه، وإنني لأعرف في وجوه بني عبدالمطلب الموت، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن يكون الأمر، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا، قال علي ؓ: والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فيمنعنا لا يعطيناها الناس أبداً وإنني لا أسأله رسول الله ﷺ أبداً).<sup>(٢)</sup>

وهذه الرواية تدل على إحساس العباس ؓ عم النبي ﷺ بحال النبي ودنو أجله، وخوفه مما قد يحدث لآل البيت بعد وفاة النبي ﷺ، كما أنه يؤكد على أنهم لا يعلمون فيمن يكون الأمر والخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ،

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٣٧/٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤٠/٥ - ١٤١؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٦٥٤.

وأن العباس يرى الاستفسار عن ذلك، ولكن علياً عليه السلام رأى عدم سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن الأمر لم يكن واضحاً بالنسبة لعلي والعباس عليهما السلام، وقد وردت أحاديث أخرى تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب كتاباً للناس من بعده، إلا أن خلافاً حدث فيمن عنده.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوموا)). قال عبيدالله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.<sup>(١)</sup>

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تحدث بما كان يريد أن يكتب، فقد روى البخاري قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم الخميس، وما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يردون عليه فقال: ((دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه))، وأوصاهم بثلاث قال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها)).<sup>(٢)</sup>

ومن الواضح من هذه الرواية لابن عباس أحد علماء أهل البيت ما هي

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج ٥/١٣٧ - ١٣٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج ٥/١٣٧.

الوصايا التي أرادها ﷺ، ولم تكن الخلافة من بعده موضوع تلك الوصية، ولو كانت موضوعها فإنه لم يكن فيها تحديد لشخص بعينه لا لعلي ﷺ ولا لأبي بكر ﷺ، بل ربما أشارت بعض الأحاديث أنه كان سيوصي لأبي بكر ﷺ بالخلافة من بعده من غير قدح في عليٍّ ولا في غيره، وأنه كان ألمح إلى ذلك في مواقف أخرى سيأتي ذكرها، إلا أنه لم ينص عليه ﷺ ولو كان سينص على ذلك لعليٍّ ﷺ أو غيره لما ترك هذا الأمر إلى ساعات مرضه الأخيرة، ولكان ذكره أكثر من مرة، خصوصاً قبل المرض. لأهمية الأمر.

ومن المعروف أنه ﷺ خطب الناس أكثر من مرة ولم يذكر أو يشير إلى شيء من ذلك في تلك الخطب، مع إمكانية الأمر ويسره لو كان ﷺ راغباً في ذلك، خصوصاً أنه تحدث عن أقل من هذا في تصور من يدعون رغبته في الوصية لعليٍّ ﷺ أو لغيره.

كما ورد من حديث عائشة ﷺ قالت: ((قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادع لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)).<sup>(١)</sup> والثابت أنه لم يكتب لأبي بكر ﷺ، وهذا الحديث يمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس ﷺ السابق في البخاري بنية الرسول ﷺ في الكتابة واختلاف من حوله ثم عدوله عن الكتابة، وأنه ﷺ ربما كان ينوي الكتابة لأبي بكر لو كان موصياً، خصوصاً أنه أمره بالصلاة وهذه علامة قوية، مع أن الأمة ترى أنه لم يوص لأبي بكر ولا لغيره.

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٧/١١٠؛ وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة، ص ٢٠٣، ٢٠٤؛ والمسند، ج٦/١٤٤؛ وابن سعد في الطبقات، ج٣/١٨١.

ومن المؤكد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد صلى بالناس ثلاثة أيام، وقيل سبع عشرة صلاة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت أولى تلك الصلوات صلاة عشاء، فقد ورد عن عائشة قالت: ((ثقل برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا. هم ينتظرونك يا رسول الله فقال: صبوا ماء في المخضب ففعلنا، قالت فاغتسل ثم ذهب لينوء - لينهض بجهدٍ ومشقة - فأغمي عليه ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوفٌ في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله إلى أبي بكر ليصلي بالناس، فكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام)).<sup>(١)</sup>

وقد ورد في رواية أخرى عند الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتية بطبق يكتب فيه ما لا تضل فيه أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتني نفسه فقلت: إني أحفظ وأعي قال: ((أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم)).<sup>(٢)</sup> وفي رواية لأم سلمة: (حتى جعل يجلسها في صدره، وما يفيض بها لسانه).<sup>(٣)</sup>

وقد ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بربه)).<sup>(٤)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٢؛ وعثمان الخميس، كنوز السنة، ص ٤٢١.

(٢) انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٥٥٧؛ وانظر: أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول، ص ٣٣؛ وانظر: رواية عائشة عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج٥/١٤٠.

(٣) رواه النسائي (انظر: تخريجه في ذهول العقول بوفاة الرسول، ص ٣٣).

(٤) انظر: الذهبي، السيرة النبوية، ص ٥٥٧؛ ومهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦٨٩.

### اليوم الأخير في حياة الرسول ﷺ:

وفاة الرسول ﷺ كانت يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة الموافق: الثامن من حزيران سنة ٦٣٢م، وذلك في الضحى قبل منتصف النهار.<sup>(١)</sup>

كان رسول الله ﷺ قد انقطع عن الصلاة بالمسلمين قبل الوفاة ثلاثة أيام الجمعة والسبت والأحد، مع أن حجرته تعد داخل المسجد وفي طرفه، وفي صبيحة يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ يظهر حرص رسول الله على الاطمئنان على المسلمين ووحدتهم واصطفافهم للصلاة جماعة، خلف أبي بكر الصديق. فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: (إن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهم المسلمون أن يفتتوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر).<sup>(٢)</sup>

كان هذا آخر عهد جماعة المسلمين برسول الله ﷺ، ولم يره بعدها إلا بعضهم، ومن هؤلاء أبو بكر الصديق ﷺ حيث كان مرابطاً بالقرب من رسول الله ﷺ أثناء مرضه بمنزله المجاور للرسول ﷺ، منقطعاً عن بيته الآخر الذي بالسنع في أطراف المدينة، حيث زوجته الثانية.

(١) أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٤٢؛ وعبد السلام الترماني،

أزمنة التاريخ الإسلامي، ص ٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤١/٥؛ وانظر:

ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٣.



وفي اليوم الذي توفي فيه الرسول ﷺ استأذن أبو بكر من رسول الله ﷺ في أن يزور بيته الذي بالسنع ليتفقد أحواله، فكان هناك حين قبض رسول الله ﷺ. (١)

ولعل حديث أنس ﷺ عن حال فاطمة بنت النبي ﷺ مع أبيها كان يوم وفاته ﷺ: ((لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة ﷺ: واكرب أباه، فقال لها ﷺ: ليس على أبيك كرب بعد اليوم)). (٢)

وربما يدلُّ الحديث على أنه أخبرها أن هذا آخر يوم في حياته، وأنه لن يكون من أهل الدنيا بعد ذلك اليوم.

كما أنه لا يستبعد أن نُفِثَ عائشة ﷺ (٣) على النبي ﷺ كان أكثر من مرة، ومنها اليوم الذي توفي فيه، حيث اشتدَّ عليه الألم ﷺ.

وقد شهد بعض الصحابة آخر ما تكلم به النبي ﷺ ولعل ذلك كان في اليوم الذي توفي فيه ﷺ ومن ذلك ما رواه أبو عبيدة بن الجراح ﷺ قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ: ((أخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَاعْلَمُوا أَنَّ شَرَّ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)). (٤) وهذا

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٤: أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٣٧؛ وانظر رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٢ - ١٤٣. (والسُّنْحُ منطقة في أطراف المدينة تبعد ما يقارب الميل عن مسجد رسول الله ﷺ وفيها مزارع بني الحارث بن الخزرج قرب وادي بطحان المشهور في عوالي المدينة).

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٤.

(٣) انظر: حديث البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٩.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١/١٩٥؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، رجاله ثقات، ج٥/٣٢٥.

هو آخر ما سمعه أبو عبيدة من النبي ﷺ وقد يكون غيره سمع من بعده شيئاً إضافياً آخر من النبي ﷺ.

ومن هذه الرواية يبدو أن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ كان من آخر من لقي الرسول ﷺ. ويتضح من ذلك اهتمامه ﷺ باستقرار الدولة الإسلامية، ومن ذلك إخراج اليهود والنصارى، حيث كانوا يشكلون تهديداً في تلك المرحلة، كما كان واضحاً أن الرسول ﷺ، كان مشدداً في منع الناس من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، لما في ذلك من الشرك الأكبر، وإن كان هذا لا يجوز مع الأنبياء، فمع غيرهم من أهل الأنبياء وأصحابهم من باب أولى، وبالتالي حرص على أن يكون من آخر وصاياه للأمة ﷺ.

وكان الرسول ﷺ يخشى أن يفعل الناس بقبره كما فعلت الأمم السابقة بقبور أنبيائهم، كاليهود والنصارى، ويؤكد ذلك رواية أم المؤمنين عائشة ﷺ، وابن عباس ﷺ في صحيح البخاري، قالوا: لما نزلت برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة لثوب مريع أسوداً له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))<sup>(١)</sup> يحذر مما صنعوا، كما أكدت عائشة ﷺ في رواية أخرى قالت: (لولا ذلك لأبرز قبره خشية أن يتخذ مسجداً).<sup>(٢)</sup>

ولذلك فكل من فعل مثل ذلك بأي قبر لأي إنسان كائناً من كان فهو عاص لرسول الله ﷺ ومخالف لأمره.

### السواك:

كان رسول الله ﷺ حريصاً على السواك طوال حياته يفعله ويأمر

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤٠.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٣٩.

المسلمين به، عند كل وضوء وعند كل صلاة، يحث عليه ويحمله معه في حله وترحاله.

وكان من آخر من دخل على رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ، حيث كان دخوله خاصاً بحكم أخوته لأم المؤمنين عائشة ﷺ وكونه محرماً لها، وتقص أم المؤمنين عائشة ﷺ حادثة دخول عبدالرحمن بن أبي بكر واستياك رسول الله ﷺ في آخر حياته فتقول: (دخل عبدالرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ، وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبدالرحمن سواك رطب يستنُّ به فأبده رسول الله ﷺ بصره فأخذت السواك فقضمته، ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به فما رأيت رسول الله ﷺ استنَّ استتائاً قط أحسن منه فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال: "في الرفيق الأعلى" ثلاثاً ثم قضى، وكانت تقول مات بين حاقنتي وذاقنتي).<sup>(١)</sup>

وكانت عائشة ﷺ فخورة باختلاط ريقها بريقه ﷺ بسبب ذلك السواك تقول ﷺ: (فجمع الله بين ريقِي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة).<sup>(٢)</sup>

وقبل وفاته ﷺ أخذته بحة وفهمت عائشة ﷺ ما كان يقول، تقول ﷺ: ((سمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة، يقول: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء] قالت: فظننت خيراً

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٣٩؛ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٤.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤٢.

حينئذ)).<sup>(١)</sup>

وكان ﷺ في صحته يحدث وهو صحيح إنه ((لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يُخَيَّر))، قالت عائشة ؓ: ((فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي، غُشي عليه ساعة ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: "اللهم الرفيق الأعلى").<sup>(٢)</sup> قالت عائشة ؓ: إذا لا يختارنا. قالت عائشة ؓ: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: ((اللهم الرفيق الأعلى)).

وقد قبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجر عائشة ؓ، وقد قالت ؓ: مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ.<sup>(٣)</sup>

ومن المؤكد إسناد ظهره إلى أم المؤمنين عائشة ؓ في لحظاته الأخيرة، فقد ورد عنها: أصغيت إليه قبل أن يموت وهو مسندٌ إليّ ظهره يقول: ((اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى)).<sup>(٤)</sup>

وفي حديث آخر قالت ؓ: ((وإني لمسندته إلى صدري))،<sup>(٥)</sup> وفي حديث آخر ما يدل على أن رأسه على فخذي عائشة ؓ ولا تناقض بين ذلك، روى البخاري أن عائشة ؓ قالت: ((كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: إنه لم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٢٨/٥؛ وأحمد في مسنده، ج ٢٠٥/٦؛ ومسلم في صحيحه، فضائل الصحابة ؓ، باب في فضائل عائشة ؓ، ج ١٣٧/٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب دعاء النبي ﷺ: اللهم الرفيق الأعلى، ج ١٥٥/٧؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٥٥/٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤٠/٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٣٩/٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٤٣/٥.

يقبض نبي قط، حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير"، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: "في الرفيق" <sup>(١)</sup>.

وفي رواية لعائشة رضي الله عنها أنه (كان بين يديه ركوة أو شيء فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: "لا إله إلا الله إن للموت سكرات"، ثم نصب يده فيقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده) <sup>(٢)</sup>.

كانت صورة الرسول صلى الله عليه وسلم الجسدية حسنة، لم تتغير قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، فمع مرضه ما يقارب الأسبوعين إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان في أحسن صورة، ولم يؤثر المرض في جماله وبهائه صلى الله عليه وسلم. <sup>(٣)</sup> مع أنه صلى الله عليه وسلم لم تظهر عليه آثار الشيخوخة أو الشيب والضعف، فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) <sup>(٤)</sup>.

كانت عائشة رضي الله عنها شابة لم تر الأموات ولا خبرة لها بذلك، فلما مال رأسه عند الموت سقط من فيه نقطة باردة على ترقوة عائشة رضي الله عنها وصدرها، ثم مال فسقط على الفراش تقول صلى الله عليه وسلم: (ولم أكن رأيت ميتاً قط، فأعرف الموت بغيره، فجاء عمر يستأذن ومعه المغيرة بن شعبة، فأذنت لهما ومددت الحجاب، فقال عمر: يا عائشة ما لنبي الله؟ قلت: غُشي عليه منذ ساعة، فكشف عن وجهه فقال واغمّاه، إن هذا لهو الغم، ثم غطاه، ولم يتكلم

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج ١٢٨/٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج ١٤٣/٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٥٥/٤.

(٣) أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ١١٧.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج ١٤٨/٣.

المغيرة، فلما بلغ عتبة الباب قال المغيرة: مات رسول الله ﷺ يا عمر، قال: كذبت ما مات رسول الله ولا يموت حتى يأمر بقتال المنافقين، بل أنت تحوسك فتنة<sup>(١)</sup>.

كان الصديق أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، وقد حل محله للصلاة بالناس بأمره، وعدّه الناس نائباً عن الرسول في الإمامة بالصلاة وغيرها، وكان غائباً تلك اللحظة عند زوجته الأخرى بالسُّنْح في أطراف المدينة، على بعد ميل تقريباً، وما أن توفّي الرسول ﷺ حتى أسرع الناس إلى استدعاء الصديق ﷺ، الذي أقبل مسرعاً على فرسه، ولم يحدث أحداً، ودخل حجرة ابنته عائشة ﷺ، ورفع الحجاب فنظر إلى الرسول ﷺ وقال ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة]، مات رسول الله ﷺ، ثم جاء قبّل رأسه وقبّل رأسه وقال: وانبيّاه. ثم قبّل رأسه وقال: واصفيّاه. ثم قبّله وقال: واخليلاه، مات رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وقال: (والله لا يجمع عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها)<sup>(٣)</sup> وقد أشار البخاري إلى تقبيل أبي بكر الصديق ﷺ لرسول الله ﷺ في أكثر من حديث<sup>(٤)</sup>.

كان الوضع في مسجد رسول الله ﷺ صعباً، حيث كان الناس يتجمعون، ليسألوا عن صحته ﷺ ويطمئنوا عليه، ولشدة محبتهم له لا

(١) سيرة ابن كثير، ج٤/٤٧٩؛ انظر: أحمد في مسنده، ج٦/٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٦/٣١؛ ورواه الترمذي في مختصر الشمائل، ص ١٩٦.

(٣) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض الرسول ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٣.

(٤) انظر: حديث البخاري، كتاب المغازي، باب مرض الرسول ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٣.

يكاد بعضهم يفارق مسجده، وكان عمر غير مصدق بوفاة الرسول ﷺ، يتكلم ويزمجر ويتوعد،<sup>(١)</sup> قائلاً: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يُفني الله ﷻ المنافقين.

فخرج أبو بكر ﷺ من حجرة عائشة إلى المسجد، فلما رآه الناس انصرفوا عن عمر وتوجهوا إلى أبي بكر ليسمعوا ما يقول، وكان عمر لا يزال يتكلم في الناس، ويصف ابن عباس المشهد وهو شاهد عيان حاضر، فيقول: (إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران]. قال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها وقال سعيد بن المسيب: إن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى ما تُقَلِّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، أن النبي ﷺ قد مات).<sup>(٢)</sup>

لقد كان فقه أبي بكر وحكمته واضحين، كان صاحب الموقف ورجله، أوعى الناس للقرآن وأكثرهم استحضاراً له، ولذلك فإن الكثيرين ما أن سمعوا الصديق يقرأ تلك الآية حتى أحسوا كأنها نزلت

(١) انظر: حديث البخاري، كتاب المغازي، باب مرض الرسول ﷺ ووفاته، ج ١٤٣/٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٥٥/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض الرسول ﷺ ووفاته، ج ١٤٣/٥؛ وابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٥٧/٤.

الساعة، فخرج الناس من المسجد إلى طرقات المدينة يتلون الآية وكأنها أنزلت للتو.<sup>(١)</sup>

وذكر أن علياً عليه السلام أقعد ولم يستطع حراكاً لشدة الصدمة، كما ذكر أن عثمان رضي الله عنه أخرس وبدأ يذهب ويجيء ولا يتكلم.<sup>(٢)</sup>

أما ابنته وحبيبته فاطمة رضي الله عنها، الوحيدة الباقية من بناته فقد كان مصابها عظيماً وجللاً، وكان عليه السلام أخبرها مقدماً بدنو أجله. وينقل أنس بن مالك رضي الله عنه ما قالته حين علمت بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم: (لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم". فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل نعاها. فلما دفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب).<sup>(٣)</sup>

أما أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان متعلقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ملازماً له رضي الله عنه فيعبر عن مصابه بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الأيدي إنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا).<sup>(٤)</sup>

شمل وقع الوفاة كل من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبه، فأمام أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم كانت هاجرت إلى المدينة وكان عليه السلام يزورها ويتفقدتها، فلما تُوفِّي

(١) القسطلاني، المواهب اللدنية، ص ٣٩١.

(٢) انظر السهيلي، الروض الأنف، ج ٤ / ٤٦٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج ٥ / ١٤٤.

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، ح برقم ٣٦١٨، ج ٥ / ٥٨٨ - ٥٨٩؛

وأحمد في المسند، ج ٣ / ١٢٢، ٢٤٠.



الرسول ﷺ حرص أبو بكر على زيارتها ، فقال بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: (انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، فلما انتهيا إليها بكت ، فقال لها ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ، قالت: والله ما أبكي ، أن لا أكون أعلم ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان).<sup>(١)</sup>

إن تفكير أم أيمن ﷺ بحس أهل الأرض جميعاً ، وحاجتهم إلى الوحي والتوجيه ، واقتادهم إلى الرابط والواسطة بين السماء والأرض ، بين الرب وعباده حيث كان الرسول المعلم المربي الموجه الرحيم الشفيع ﷺ بين أظهر الناس ، فإذا مات انقطعت تلك الصلة المباشرة. كان الناس كلهم يفتقدون رسول الله ﷺ ، وكان يعزي بعضهم بعضاً ، وذكر أن بلال بن رباح ﷺ لما أذن بعد وفاة الرسول ﷺ قال أشهد أن محمداً رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ﷺ ترك بلال الأذان.<sup>(٢)</sup>

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "سيعزي الناس بعضهم بعضاً من بعدي تعزيةً في" ، وكان الناس يقولون ما هذا؟ فلما قبض رسول الله ﷺ لقي بعضنا بعضاً يعزي بعضهم بعضاً برسول الله ﷺ.<sup>(٣)</sup>

وتبصروا في قول رسول الله ﷺ: ((إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ﷺ ، باب فضائل أم أيمن ، ج ١٤٤/٧ -

١٤٥؛ وانظر: ابن أبي شيبة ، المغازي ، ص ٤١٣ .

(٢) القسطلاني: المواهب اللدانية ، ج ٣/٣٩٢ .

(٣) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج ٣٨/٩؛ وانظر: أحمد جاد ، وفاة الحبيب ، ص ١٥٦ .

مصيبتة بي فإنها من أعظم المصائب)).<sup>(١)</sup>

ويصف الشيخ محمد الغزالي انتشار الخبر في المدينة بقوله: (وتسرب النبأ الفادح من البيت المحزون، وله طنين في الأذان، وثقل ترزح تحته النفوس، وتدور به البصائر والأبصار. وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة قد أظلمت، فتركتهم لوعة الثكل حيارى لا يدرون ما يفعلون).<sup>(٢)</sup>

كان الحزن شديداً لدى المسلمين عامة، ولدى أهل المدينة خاصة لكنهم يتذكرون قول الله - تعالى - : ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٤) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارِضًا﴾ (٥) [الضحى]، فيؤمنون أن لقاء الله نعمة لرسول الله ﷺ وجنة الفردوس الأعلى والكوثر موعده، وكان للمؤمنين والأمة كلها حزن وبلاء ومصيبة عظيمة، تقول عائشة ؓ: (لما توفى رسول الله ﷺ، ارتدت العرب واشترأت اليهود والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشتائية لفقدهم ﷺ حتى جمعهم الله على أبي بكر الصديق ﷺ).<sup>(٣)</sup>

وقد ثبت أن النبي ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً. روى البخاري بسنده عن عمرو بن الحارث قال: (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة).<sup>(٤)</sup>

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة ؓ: (أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً

(١) قال عنه الألباني، صحيح بشواهد سلسلة الأحاديث الصحيحة، ص ١١٠٦.

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٥١٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٦٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤٤؛ وانظر:

رواية عائشة عند الإمام أحمد في مسنده؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٤٤٥.

من يهودي إلى أجل ورهن درعاً من حديد).<sup>(١)</sup>

وورد عن عائشة قالت: (توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير).<sup>(٢)</sup>

وكان ﷺ في حياته يقول: ((ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها)).<sup>(٣)</sup> ما كان ﷺ حريصاً على جمع المال وتكديسه للورثة، وكان يحذر من ذلك في قوله الذي رواه الحارث بن سويد قال عبدالله: قال النبي ﷺ: ((أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر)).<sup>(٤)</sup>

وقد قال ﷺ: ((لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال))،<sup>(٥)</sup> كما أنه من المعروف أن الصدقة لا تحل له ﷺ ولا لآل بيته إنما يأكلون من الخمس.

لقد جادت قرائح الشعراء منذ وفاة الرسول ﷺ إلى اليوم الحاضر بقصائد مختلفة في رثاء الرسول ﷺ، ولعل أصدقهم رثاءً كان شاعره ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري، الذي أجاد في مدح الرسول ﷺ في حياته، كما أبدع في رثائه

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الرهن، باب الرهن عند اليهود وغيرهم، ج٣/١١٦.

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ج٧/٢٧٤؛ وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٤٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب ما قدم من ماله فهو له، ج٧/١٧٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب ما قدم من ماله فهو له، ج٧/١٧٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: ((لا نورث ما تركنا صدقة))، ج٨/٣؛ وانظر: باب الخراج والإمارة والفيء، قول رسول الله ﷺ: ((لا نورث ما تركنا صدقة)).

عند مماته وهو أول من فتح للشعراء باب رثاء النبي ﷺ، حيث قال يبكي رسول الله ﷺ في قصيدة من عيون الشعر أوردتها ابن هشام، قال فيها ﷺ:

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ  
 مَنِيرٍ وَقَدْ تَعَفَّو الرِّسْمَ وَتَهْمَدُ  
 وَلَا تَتَمَحِّي الأَيَاتِ مِنْ دَارِ حَرَمَةٍ بِهَا  
 مِنْبِرِ الهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ  
 وَوَأَضْحَ آثَارٍ وَبِأَقْيِ مَعَالِمِ  
 وَرَبِيعٍ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ  
 بِهَا حَجَرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا  
 مِنْ اللّٰهِ نَوْرٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ  
 مَعَارِفَ لَمْ تُطَمَسْ عَلَى العَهْدِ أَيُّهَا  
 أَتَاهَا إِلَيَّ فَالْأَيُّ مِنْهَا تَجَدَّدُ  
 عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرِّسُولِ وَعَهْدَهُ  
 وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي السُّتْرِ مُلْحَدُ  
 ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرِّسُولَ فَأَسْعِدَتْ  
 عَيْوُنٌ وَمِثْلَاهَا مِنْ الجَفْنِ تُسْعِدُ  
 يَذْكُرُنَّ آلاءَ الرِّسُولِ وَمَا أَرَى لَهَا  
 مُحْصِرِيًّا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَأُّدُ  
 مُفْجَعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ  
 فَظَلَلْتُ لِآلَاءِ الرِّسُولِ تُعَدُّدُ

وما بلغت من كل أمر عَشِيرَةً  
ولكن لنفسي بعد ما قد توجَّدُ  
أطالت وقوفاً تذرِف العَين جَهْدَهَا  
على طلل القبر الذي فيه أحمدُ  
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركَتُ  
بلادُ ثوى فيها الرشيد المسدُّدُ  
وبوركَ لحدِّ منك ضُمنَّ طيباً  
عليه بناء من صفيح منضُّدُ  
تهيل عليه التراب أيدي وأعِينُ  
عليه وقد غارت بذلك أسعدُ  
لقد غيَّبوا حلمًا وعلماً ورحمة  
عشية علَّوه الثرى لا يوسدُ  
وراحوا بحزن ليس فيهم نبِيهم  
وقد وهنت منهم ظهور وأعضدُ  
يُكُون من تبكي السماوات يومه  
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمدُ  
وهل عدلت يوماً رزية هالك  
رزية يوم مات فيه محمدُ  
تَقَطَّع فيه منزلُ الوحي عنهم  
وقد كان ذا نور يغور ويُجدُ

يدل على الرحمن من يقتدي به  
وينقذ من هول الخزايا ويرشد  
إمام لهم يهديهم الحق جاهداً  
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا  
عفو عن الزلات يقبل عذرهم  
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود  
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله  
فمن عنده تيسير ما يتشدد  
فبينا هم في نعمة الله بينهم  
دليل به نهج الطريقة يقصد  
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى  
حريص على أن يستقيموا ويهدوا  
عطوف عليهم لا يثنى جناحه  
إلى كنف يحنو عليهم ويمهد  
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا  
إلى نورهم سهم من الموت مقصد  
فأصبح محموداً إلى الله راجعاً  
بيكته حق المرسلات ويحمده  
وأمسّت بلاد الحرم وحشاً بقاعها  
لغيبه ما كانت من الوحي تعهد

قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها  
 فقيدٌ يبكيه بلاطٌ وغرقدُ  
 ومسجدُه فالوحشات لفقده  
 خلأءٌ له فيه مقامٌ ومقعدُ  
 وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت  
 ديار وعرصات وربيعٌ ومولدُ  
 فبكى رسول الله يا عينُ عبدةً  
 ولا أعرفتك الدهرَ دمعك يجمدُ  
 وما لك لا تبكين ذا النعمة التي  
 على الناس منها سابعٌ يتغمدُ  
 فجودي عليه بالدموع وأعولي  
 لفقده الذي لا مثله الدهر يوجدُ  
 وما فقد الماضون مثل محمدٍ  
 ولا مثله حتى القيامة يفقدُ  
 أعفٌ وأوفى ذمةً بعد ذمةٍ  
 وأقرب منه نائلاً لا ينكدُ  
 وأبذل منه للطريف وتاليدٍ  
 إذا ضنَّ معطاءً بما كان يتألدُ  
 وأكرمٌ صيتاً في البيوت إذا انتمى  
 وأكرمٌ جرداً أبطحياً يسودُ

وأمنعُ ذرّواتٍ وأثبتت في العِلا  
دعائم عزّ شِهاهقاتٍ تُشيدُ  
وأثبتتُ فرعاً في الفروع ومنبتاً  
وعُوداً غِذاء المِزْنُ فالعودُ أغيدُ  
رِياهُ وليداً فاستتمّ تمامه  
على أكرم الخيرات ربُّ ممجّدُ  
تناهت وصاةُ المسلمين بكفه  
فلا العلم محبوسٌ ولا الرأي يفندُ  
أقول ولا يُلفى لقولي عائِبُ  
من الناس إلا عازبُ العقلِ مُبعّدُ  
وليس هوأي نازعاً عن ثائنه  
لعلي به في جنّة الخلدِ أخلدُ  
مع المصطفى أرجو بذاك جواره  
وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد<sup>(١)</sup>

ومما قال حسان بن ثابت في بكائه ورثاء رسول الله ﷺ ، كما أورد ابن هشام:

ما بال عينك لا تنام كأنما  
كحلت مآقيها بكحل الأرمـد  
جزعاً على المهديّ أصبح ثاويّاً  
يا خير من وطئ الحصى لا تبعـد

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول، ج٤/٦٦٦ - ٦٦٩.



وجهي يقيك الترب لهفي ليتني  
 غيبت قبلك في بقيع الغرقدر  
 بأبي وأمي من شهدت وفاته  
 في يوم الاثنين النبي المهدي  
 فظلمت بعد وفاته متبداً  
 متلداً يا ليتني لم أولدر  
 أقيم بعدك بالمدينة بينهم  
 يا ليتني صبحت سم الأسود  
 ومما قال في القصيدة نفسها:  
 أو حل أمر الله فينا عاجلاً  
 في روحة من يومنا أو في غد  
 فتقوم ساعتنا فلقى طيباً  
 محضاً ضرائبه كريم المحتدر  
 يا بكر آمنة المبارك بكرها  
 ولدته محصنة بسعد الأسعد  
 نوراً أضاء على البرية كلها  
 من يهد للنور المبارك يهدي  
 يا رب فاجمعنا معاً ونبيئنا  
 في جنة تثنى عيون الحسد  
 في جنة الفردوس فاكتبها لنا  
 يا ذا الجلال وذا العلاء والسودر

والله أسمع ما بقيت بهالكِ  
إلا بكيك على النبي محمد  
يا ويح أنصار النبي ورهطه  
بعد المغيب في سواء الملحدر  
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا  
سوداً وجوههم كلون الإثمدر  
ولقد ولدناه وفينا قبره  
وفضول نعمته بنا لم نجحد  
والله أكرمنا به وهدي به  
أنصاره في كل ساعة مشهد  
صلى إليه ومن يحف بعرشه  
والطيبون على المبارك أحمد<sup>(١)</sup>

ومما قال حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ نقلاً عن ابن هشام في السيرة النبوية:

نُبُّ المساكين أن الخير فارقهم  
مع النبي تولى عنهم سحرا  
من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي  
ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا  
أم من نعاتب لا نخشى جناده  
إذا اللسان عتى في القول أو عثرا

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول، ج٤/٦٦٩ - ٦٧٠.

كان الضياء وكان النور نتبعه  
 بعد الإله وكان السمع والبصر  
 فليتت يا يوم واره بملحده  
 وغيبوه وألقوا فوقه المدراً  
 لم يترك الله منا بعده أحداً  
 ولم يعيش بعده أنثى ولا ذكراً  
 ذلت رقاب بني النجار كلهم  
 وكان أمراً من أمر الله قد قُدر  
 واقتُسم الفياء دون الناس كلهم  
 وبددوه جهاراً بينهم هـدرا

ومما قال حسان رضي الله عنه أيضاً:

آليت ما في جميع الناس مجتهداً  
 مني أليّة بر غير إفتاد  
 تالله ما حملت أنثى ولا وضعت  
 مثل الرسول نبي الرحمة الهادي  
 ولا برا الله خلقاً من بريت به  
 أوفى بذمة جارٍ أو بميعاد  
 من الذي كان فينا يُستضاء به  
 مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد  
 أمسى نساؤك عطلن البيوت فما  
 يضربن فوق قفا سترٍ بأوتاد

مثل الرواهب يلبس المياذل قد  
 أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادي  
 يا أفضل الناس إنني كنت في نَهْرٍ  
 أصبحت منه كمثّل المفرد الصادي<sup>(١)</sup>

### تجهيز الرسول ﷺ والصلاة عليه ودفنه:

حينما توفي الرسول ﷺ كان يلبس كساءً غليظاً، ورد عن أبي بردة ﷺ قال: أخرجت إلينا عائشة ﷺ إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساءً من هذه التي يدعونها المليدة وفي رواية أنها قالت: (في هذا نزع روح رسول الله ﷺ)،<sup>(٢)</sup> ولا شك أن عائشة ﷺ تركت حجرتها وخرجت بعد أن سَجَّتْ رسول الله ﷺ عند اجتماع المسلمين ليباشر النبي ﷺ أهله من الرجال، الذين واروا الحجرة على جسد رسول الله ﷺ الطاهر، وبقي كذلك ﷺ فترة انشغال المسلمين بالخبر، وكان أشد الناس حزناً على رسول الله ﷺ وفقداً له أقربهم إليه ابنته فاطمة ﷺ، ولذلك اجتمع عندها وفي بيتها آل البيت، على رأسهم عمه العباس بن عبدالمطلب، وعلي بن أبي طالب والزيير ابن العوام ومعهم طلحة بن عبيد الله ﷺ.<sup>(٣)</sup> كما عرف عن صفية ﷺ أنها كانت تلوح بثوبها بيدها ما تستطيع الحديث من الحزن.<sup>(٤)</sup>

وكانت جميع بيوت الصحابة صغيرة يصعب اجتماع الكثيرين فيها في وقت

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٧١.

(٢) من رواية البخاري، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، ج٤/٤٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزينة، باب التواضع في اللباس، ٣٤/٢٠٨٠.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٠.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٤.

واحد ، واجتمع بعض المهاجرين والأنصار عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد أغلقت الحجرة على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقي جسده رضي الله عنه بقية يوم الاثنين يوم الوفاة ، حيث انشغل الناس بتدبير خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم . ولعلمهم اهتماموا لهذا الأمر مبكرين قبل تجهيز جسده الطاهر ودفنه ، لشعورهم أنهم ما زالوا تحت إمرته ما دام جسده موجوداً لم يوارَ التراب ، وإحساسهم بأن عليهم تدبير أمر خلافته قبل دفنه رضي الله عنه ، واشتغل الناس ببيعة الصديق رضي الله عنه .<sup>(١)</sup>

وفي يوم الثلاثاء وهو التالي لوفاته صلى الله عليه وسلم ، اجتمع في حجرة عائشة رضي الله عنها آل النبي صلى الله عليه وسلم ، عمه العباس بن عبدالمطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبناء عمه العباس الفضل ، وقتبم ، وأسامة بن زيد ، وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،<sup>(٢)</sup> ثم نادى من وراء الناس أوس بن خولي الأنصاري الخزرجي من بني عوف ، وكان من أهل بدر فقال: يا علي نشدك الله وحظنا من رسول الله ، وكان يريد السماح بمشاركة الأنصار في الغسل وهو واحد منهم فقال علي رضي الله عنه له: ادخل فدخل معهم.<sup>(٣)</sup>

وقيل إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه (أمرهم أن يغسله بنو أبيه).<sup>(٤)</sup> وكان أمراً طبيعياً وتلقائياً حتى لو لم يأمرهم أبو بكر رضي الله عنه بذلك ، ومن الأرجح أنهم وضعوه على سريريه في الحجرة للغسل لثبوت صلاتهم عليه وهو على سريريه رضي الله عنه .

(١) مروان كجك ، تهذيب سيرة ابن كثير ، ص ٦٨٣ ؛

وانظر: بيعة العقبة ، من هذا الكتاب؛ وانظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤/٦٥٥ .

(٢) ابن أبي شيبة ، المغازي ، ص ٤١٤ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤/٦٦٢ .

(٤) رواه الترمذي في الشمائل ، باب ما جاء في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ٢٠٠ ، وقال الألباني صحيح انظر هامش الرواية .

وقد غسلوا النبي ﷺ دون أن ينزعوا لباسه ﷺ، ففي رواية لعائشة رضي الله عنها قالت: (لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا، ألقى الله ﷺ النوم حتى ما بهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو، أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه، وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، فكانت عائشة رضي الله عنها تقول: (لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما غسله غير نسائه).<sup>(١)</sup>

وهذا رأيها لاختصاصهن بجواز النظر إلى جسده الطاهر كاملاً. وهذا ما فعل بأبي بكر عند موته، طلب أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها.<sup>(٢)</sup>

ومن المؤكد أن الميت يكون في باطنه ما يحتاج إلى تنظيف لكن الرسول ﷺ لم يجدوا فيه ذلك، فقد ورد أن (علياً رضي الله عنه التمس من النبي ما يلتمس من الميت فلم يجدوا شيئاً، فقال: بأبي وأمي طببت حياً وميتاً).<sup>(٣)</sup>

كان غسل رسول الله ﷺ بالماء والسدر،<sup>(٤)</sup> وكان علي رضي الله عنه يسنده إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس وابنه الفضل وقتّم يقلبونه مع علي رضي الله عنه، وكان أسامة بن زيد وصالح مولى رسول الله ﷺ يصبان الماء، وعلي يُغسل

(١) رواه أبو داود في كتاب الجنائز، باب ستر الميت عند غسله واللفظ له، ح برقم: ٣١٤١، ص ٥٦٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٦٢؛ ورواه ابن حبان وصححه الذهبي؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٢٧٦؛ وانظر: العلي، صحيح السيرة، ص ٧٢٣؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٦، وابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٥١٨.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٨٢.

(٣) رواه ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٦، وابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٥١٩.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٥٢٠؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٢/٢٨٠.

ويدلك والقميص دون أيديهم.<sup>(١)</sup>

ثم أُدرج ﷺ في ثوبين أبيضين وبُرد حبرة لوتعني ثياب يمنية مخططة،<sup>(٢)</sup> وقيل إنها كانت من القطن (الكرفس). وقد ورد عن عائشة ؓ قالت: (كُفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض).<sup>(٣)</sup> وكان غسله من بئر بقاء يشرب منها ﷺ، وتسمى بئر سعد بن خيثمة.<sup>(٤)</sup> وهذا دليل على نقاء ذلك الماء وطهارته وتميزه عن غيره.

وقالت عائشة ؓ: (كُفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كُرْسُف ليس فيها قميص ولا عمامة)،<sup>(٥)</sup> وذكر أنه أُبقي على قميصه الذي كان عليه تحت الكفن.<sup>(٦)</sup>

وقد وُضع رسول الله ﷺ على السرير بعد تكفينه، فتشاور المسلمون في الصلاة على النبي ﷺ، فكان رأي أبي بكر الصديق ؓ أن لا يُخرج ﷺ من المكان الذي توفي فيه قالوا: (يا صاحب رسول الله ﷺ أياصلى على رسول الله ﷺ قال: نعم، قالوا كيف؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، حتى يدخل الناس، قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أيدفن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٢/٢٨١؛ انظر: عنوان: صفة كفنه ﷺ عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٥٢٢.

(٤) ابن أبي شيبعة، المغازي، ص ٤١٦.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في كفن الميت، ج٣/٤٩؛ وانظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الكفن بغير قميص، ج٢/٧٧.

(٦) انظر: أبو داود، كتاب الجنائز، باب الكفن، ح برقم: ٣١٥٣، ص ٥٦٧.

قالوا أين؟ قال في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب فعلموا أن قد صدق.<sup>(١)</sup>

ثم دخل الناس يصلون عليه أرسالاً، يدخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء، أدخل الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد،<sup>(٢)</sup> وكان المصلون يرونه أنه إمامهم وهو ميت ﷺ.

ولا شك أن هذا الأمر تطلب ترتيباً وتنظيماً، حيث إن الكل يرغب في الصلاة على رسول الله ﷺ والمكان ضيق، فاحتاج الأمر شيئاً من الترتيب، ويبدو أنه كان للسن دور في ذلك، وقد ورد أن أبا بكر الصديق ﷺ روى عن رسول الله ﷺ قال: ((سمعت رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه)).<sup>(٣)</sup>

وقد تكون المحبة للمكان من الله ليكون قبر نبيه فيه، وقد تكون من النبي ﷺ للمكان، وكلها تتفق مع اختيار الله لموضع قبر نبيه ﷺ، كما اختار له مهاجراً، ولم نسمع أن أحداً من الصحابة أبدى رأياً آخر حول موضع قبر النبي ﷺ مخالفاً لرأي أبي بكر ﷺ.

وأما الحفر لقبر رسول الله ﷺ فبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة توفى

(١) رواه الترمذي في الشمائل، ص ٣٧٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٦٣؛ وابن سعد، في الطبقات، ج ٢/٢٧٥؛ وانظر: تخريجه عند العلي، صحيح السيرة، ص ٧٢٦؛ وضع البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ﷺ، ج ٢/١٠٦ - ١٠٨؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٤٢١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢/٢٨٩؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٦٣؛ انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٤١٢.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، باب (٣٣)، ح برقم: ١٠١٨، ج ٣/٣٣٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٢٦٣؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٤١١.



عدد من أصحابه، وكانوا أحياناً يُلحدون لحداً وهو الشق في جدار القبر، وأحياناً يشقون شقاً،<sup>(١)</sup> وهو الحفر في وسط القبر، وهي طريقة أهل المدينة، وكلها متبعة بحسب من كان يقوم بإعداد القبر. ولما مات رسول الله ﷺ (اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم، فقال عمر: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً، أو كلمة نحوها فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً، فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثم دفن رسول الله ﷺ).<sup>(٢)</sup>

وقد ورد أن الذي كان يلحد هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وكان يحضر لأهل المدينة، وأن الذي يشق هو أبو عبيدة بن الجراح، وأن الذي بعث يدعوهم هو العباس بن عبدالمطلب ﷺ، فجاء الأنصاري أولاً فلحد لرسول الله ﷺ،<sup>(٣)</sup> ولذلك أحب الناس عموماً والصحابة خصوصاً أن يلحد لهم، فهذا سعد بن أبي وقاص في مرضه الذي مات فيه يقول: أُلحدوا لي لحداً وانصبوا عليّ اللبن نصباً كما صنع برسول الله ﷺ.<sup>(٤)</sup>

ووافق اللحد ما كان يدعو به الصحابة، حيث كانوا بعد استدعاء الرجلين يقولون: (اللهم اختر لرسولك)،<sup>(٥)</sup> فكان اللحد ما كتبه الله لرسوله.

كان الرسول ﷺ بجوار القبر حتى استكمل الناس رجالاً ونساءً وصغاراً

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب اللحد والشق في القبر، ج٢/٩٦.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب اللحد ونصب اللبن على الميت، ج٣/٦١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٣.

وكباراً الصلاة عليه في جوف الليل، من مساء الثلاثاء ليلة الأربعاء الموافق ١٤ من ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة الموافق: ١٤ من حزيران سنة ٦٣٣م.

ثم نُحي السرير عن حفرة القبر، وأدخل ﷺ القبر، حمله عليُّ ﷺ وعمه العباس وابناه قثم والفضل ومولاه شقران،<sup>(١)</sup> وقيل إن شقران مولى رسول الله ﷺ وضع قطيفة كانت لرسول الله تحته كان يفرشها رسول الله ﷺ ويلبسها فقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً، وذلك خشية أن يتنافس الناس عليها.<sup>(٢)</sup>

وقد شاركهم في ذلك أوس بن خولي الأنصاري ﷺ، وحينما وضع الرسول ﷺ في قبره نصب عليه اللبن ليمنع التراب (كما يفعل في القبور حالياً)، نشاهدها بنفس الطريقة حتى الآن، يتبعون فيها ما فعل برسول الله ﷺ، ثم بعد إتمام كمال اللبن وتطيينه، أهالوا التراب على قبر رسول الله ﷺ وذلك في جوف الليل.

تقول أم المؤمنين عائشة ﷺ: (ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي [الأرض اليابسة المحصية] من جوف الليل من ليلة الأربعاء).<sup>(٣)</sup> وفي صباح اليوم التالي أذن بلال الفجر، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله بكى وبكى الناس، وظهر حزنهم على رسول الله ﷺ.<sup>(٤)</sup>

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٢/٢٧٥؛ وانظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٤، ٤١٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٤؛ والترمذي، كتاب الجنائز، ما جاء في الثوب الواحد يلقي تحت الميت في القبر، ح برقم: ١٠٤٧، ج٣/٣٦٥؛

انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب جعل القطيفة في القبر، ٩١ / ٩٦٨.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦٤.

(٤) الندوي، السيرة النبوية، ص ٤١٤.

وقد بقي قبر الرسول ﷺ كما هو في حجرة عائشة ؓ دون إبراز أو رفع زائد عن مستوى الأرض،<sup>(١)</sup> وهو ما طُبق بمعرفة الصحابة لحديث رسول الله ﷺ الذي روته عائشة ؓ وعقبت عليه (أنه ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم بعده: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجداً).<sup>(٢)</sup>

وقد دُفن أبو بكر ؓ بعد ذلك بجوار رسول الله ﷺ ثم استأذن عمر ؓ أن يُدفن معهما في نفس الحجرة عند وفاته، فأذنت له عائشة ؓ في قصة طويلة).<sup>(٣)</sup>

وقبر أبي بكر أدنى من قبر الرسول ﷺ، وقبر عمر أدنى من قبر أبي بكر، وكلهم في اتجاه القبلة، بحيث إن رأس الصديق بحذاء كتف الرسول ﷺ، ورأس عمر بحذاء كتف أبي بكر الصديق ؓ، وأبو بكر ؓ خلف النبي ﷺ ومن خلفه عمر ؓ، وأصبحا رفيقي رسول الله ﷺ في الحجرة الشريفة، كما كانا صاحبيه في حياته ؓ.<sup>(٤)</sup> وكانت القبور ترتفع عن الأرض أربعة أصابع.<sup>(٥)</sup>

كان أكثر الناس احتكاكاً برسول الله ﷺ أثناء مرضه وعند وفاته

(١) صحيح البخاري، عن أبي بكر بن عياش، عن سفيان الثمار أنه رأى قبر رسول الله ﷺ مسنماً، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، ج ١٠٧/٢.

(٢) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، ج ١٠٦/٢.

(٣) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٩٤٤/٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٣٦٨/٣.

(٤) انظر: كيف استأذن عمر من عائشة في الدفن مع رسول الله ﷺ عند البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ؓ، ج ١٠٧/٢ - ١٠٨.

(٥) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج ٤٠١/٣.

أقربهم إليه، سواء من النساء أمثال عائشة رضي الله عنها وبقية أمهات المؤمنين، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم من الرجال كأبي بكر وعمر وآل البيت علي والعباس وبنيه، وأنس بن مالك، وأسامة بن زيد رضي الله عنه، ولذلك نقلت عائشة رضي الله عنها لنا أخباراً ووصايا عنه لم ينقلها أحد آخر، وهكذا يتضح أنه كان للنساء دور في مشاركة الأمة في العناية برسول الله صلى الله عليه وسلم وقت حاجته لذلك، في مرضه الذي مات فيه.

ولعل تمييزه عند عائشة رضي الله عنها وفي حجرتها، وموته على صدرها رضي الله عنها، وكونها ملاصقة له في آخر أيامه، أبان عن فضلها ومكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أعلم بها من غيره رضي الله عنه، وثقة آل بيته وهي منهم وائتمان الأمة إياها على أعلى البشر رضي الله عنهم، وكانت شابة حافظة لكل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، وقد ثبتت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يمرض عند عائشة رضي الله عنها، حيث حفظت عنه ووعدت، كما كانت لها محبة خاصة في قلبه، وراحته عندها لا يجدها رضي الله عنها عند غيرها.

ولا غرو أن كانت معظم الروايات المتعلقة بمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته وآخر وصاياه كانت من طريق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهذا أبان فضلها وعلمها لكل ذي عقل.

كما أن وجوده في بيت عائشة رضي الله عنها يتيح لأبي بكر الصديق رضي الله عنه الدخول عليه والاتصال به رضي الله عنه أكثر من غيره من الناس، وكان علي رضي الله عنه وآل البيت مجاورين لرسول الله صلى الله عليه وسلم متصلين به متفقدين له باستمرار، وكان آل البيت وآل أبي بكر الصديق مجتمعين ومعهم بقية المهاجرين والأنصار هم أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته وبعد وفاته، بينهم من التواد والتراحم والألفة إضافة إلى المصاهرة ما ليس بين غيرهم.

وحاشا لله أن نتصور بينهم شيئاً من العداة والتنافر الذي لا يقبله أصحاب الطوائف بين علمائهم وأئمتهم المزعومين، فكيف يكون بين المصطفى ﷺ وأصحابه ومحبيه وأصهاره؟!

وكان أولى الناس بتجهيز رسول الله ﷺ وغسله هم أبناء أبيه الأقربين، يعني أبناء عبدالمطلب وأحفاده، وقد تولوا هذا الأمر بكل أمانة، وهُمُ الأُولَى في مثل هذا الموقف دون تقصير من بقية الصحابة. وكان أكثرهم عملاً ومباشرة لتجهيز جسد رسول الله ﷺ الشريف علي بن أبي طالب ﷺ ابن عمه، مع عمه العباس وأبنائه وموالي رسول الله ﷺ، وبمشاركة رمزية من الأنصار ﷺ.

\*\*\*\*\*





القسم الخامس  
المعاشون للمصطفى ﷺ

قال - تعالى :- ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ  
اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا  
فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا  
اللَّهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُ  
يَجْتُوذِر لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].

قال - تعالى :- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ  
وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةِ  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ [الرعد].

قال - تعالى :- ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ  
تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ  
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾  
وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ  
وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [الأحزاب].



### بيعتا أبي بكر الصديق ﷺ

كان الرسول ﷺ إمام المسلمين في صلاتهم، ورأس الدولة الإسلامية وقائدها وبانيها، وكان همه ﷺ والأمة كلها استمرار الدولة والنظام وحفظ الحقوق وقيام الدين. وهدف الرسول ﷺ الامتداد إلى أنحاء العالم المختلفة لتبليغ الرسالة وضمان العدل والأمن للناس كافة، مع التفكير بداية بفارس والروم المجاورة لبلاد العرب، ومن هنا جاء توجيهه ﷺ لجيش أسامة بن زيد وإعداده للخروج قبيل وفاته إلى أطراف الشام<sup>(١)</sup>. وهذا يعني ضرورة وجود رأس قيادة للدولة يتولى تنفيذ أوامر الرسول ﷺ ووصاياه، وإقامة شرع الله والامتداد العالمي للدولة والدعوة الإسلامية.

كان هذا همًّا للرسول ﷺ، ومع ذلك فإنه لم يوص لأحد بعينه ليكي الأمر من بعده<sup>(٢)</sup> وقد كانت هناك إشارات اتضح منها ترجيحه لأبي بكر الصديق ﷺ لهذا الأمر. وكان عماد الدولة الإسلامية بالدرجة الأولى سكان المدينة الأنصار، إضافة إلى المهاجرين ﷺ، ولكل مكانته كمجموع في السلطة وإدارة الدولة ومساعدة الرسول ﷺ في شؤونها المختلفة مع تفاوت في المهام والمكانة بين أفرادهم.

كان واضحاً للجميع ما تنزل من آيات تأمر بالاستمرار وحمل الدين، وما يطلبه من نظام وعدم الرجوع إلى الوراء بعد موت الرسول ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفى فيه، ج ١٤٥/٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده ...، ج ١٨٦/٣؛ وانظر: وفاة الرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ج ١٩٤/٤.

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ آل عمران] نعم إنهم الشاكرون الذين اختاروا أبا بكر ليقيموا نظاماً مستعداً للقضاء على من ينقلب على عقبه من المرتدين وأمثالهم. واتضح معنى الآية في ذلك الموقف والحفاظ على القوة والنظام، والاستعداد للدفاع عن دولة الرسول ﷺ ضد المرتدين الذين قويض الله لهم أبا بكر وأعوانه من المهاجرين والأنصار ﷺ.

### حادثة السقيفة:

في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار - وهم أهل المدينة - قبل هجرة الرسول ﷺ إليها، إلى سعد بن عبادة ؓ، وهو من زعمائهم في سقيفة بني ساعدة، في وقت كان علي بن أبي طالب وبقية آل البيت عند فاطمة ؓ، وكان عمر ؓ مع بعض المهاجرين والأنصار مجتمعين عند أبي بكر الصديق ؓ.<sup>(١)</sup> وكان الوضع صعباً والتفكير قائماً، فالأنصار يرون أنهم أهل المدينة وسلموها للرسول ﷺ بعد الهجرة، وأن الأمر بعد الوفاة يتطلب ترتيباً جديداً، ربما يكون في نظر بعضهم عودة القيادة فيها لأهلها، بعد وفاة المصطفى ﷺ. وكان غالبية الأنصار والمهاجرين يرون أن الوضع مختلف، وأن دولة إسلامية نظامية أشمل وأوسع من المدينة قامت وستستمر بعد الرسول ﷺ بنظام وترتيب بعيد عن أي وضع سابق قبل الهجرة. وكان أكثر الناس تأهيلاً لقيادة الدولة هم أكثر الناس فهماً لنظامها وترتيبها وشرعها، وهم المهاجرون السابقون الذين صحبوا الرسول في مكة والمدينة وتعلموا على يديه، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ؓ،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٧؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٤.

وأَنهم أولى الناس بالأمر من بعده. وهذا الأمر كان مفهوماً عند بعض الأنصار وعند المهاجرين من أهل المدينة.

ولذلك بادر بعض الأنصار بإبلاغ أبي بكر وعمر، ومن معهم باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وطلبوا منهما حضور ذلك الاجتماع، قبل أن يصدر عنه شيء يكرهونه. وكان هذا دليلاً على حرص الأنصار أن يحضر شيوخ المهاجرين اجتماعهم، فقال عمر لأبي بكر: (انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه).<sup>(١)</sup>

وفي الطريق قابلا رجلين من الأنصار، هما عويمر بن ساعدة الأنصاري ومعن بن عدي من بني العجلان، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين اقضوا أمركم.<sup>(٢)</sup> كان واضحاً أن القضية ليست منافسة بين المهاجرين والأنصار، بل كان حدثاً فيه الكثير من التقدير والاحترام بين الفئتين اللتين وصفهما الله ﷻ: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ التوبة. فالذي بلغ أبا بكر وعمر بالاجتماع هم من الأنصار، والذين قالوا: لا عليكم اقضوا أمركم من الأنصار، وعمر ﷺ قال: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فالكل يرى أنه أخٌ للآخر، ليست منافسة ولا حباً في الرئاسة، لكنه اجتهاد في الحق والوصول إلى الأفضل، وإن كان للبعض، ممن يكرهون الصحابة، رأي آخر مبني على الشك في الصحابة أصلاً وفي كل تصرفاتهم. ولعل عمر ﷺ قد أحسَّ في وقت متأخر من خلافته بمثل هذا الرأي،

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٧.

(٢) من حديث عمر بن الخطاب، المغازي، لابن أبي شيبه، ص ٤٢٤؛ انظر: الروض الأنف، ج٤/٤٧٢.

فحدثت الناس بنفسه عما وقع في سقيفة بني ساعدة في حديث طويل رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: (كنت اختلف إلى عبدالرحمن بن عوف ونحن بمنى مع عمر ابن الخطاب، أعلم عبدالرحمن بن عوف القرآن، فأتيته في المنزل فلم أجده، فقيل: هو عند أمير المؤمنين، فانتظرت حتى جاء، فقال لي: قد غضب هذا اليوم غضباً ما رأيته غضب مثله منذ كان، قال: قلت: لم ذاك؟ قال: بلغه أن رجلين من الأنصار ذكرا بيعة أبي بكر، فقال: والله ما كانت إلا فلتة، فما يمنع امرأ إن هلك هذا أن يقوم إلى من يحب، فيضرب على يده، فتكون كما كانت، قال: فهم عمر أن يكلم الناس، قال: فقلت: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك ببلد قد اجتمعت إليه أفناء العرب كلها، وإنك إن قلت مقالة، حُملت عنك، وانتشرت في الأرض كلها، فلم تدر ما يكون في ذلك، وإنما يعينك من قد عرفت أنه سيصير إلى المدينة، فلما قدمنا المدينة، رحنا مُهَجَّرًا حتى أخذت عضادة المنبر اليمنى، وراح إليّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل حتى جلس معي، فقلت: ليقولن هذا اليوم مقالة ما قالها منذ استُخْلِف، قال: وما عسى أن يقول، قلت: ستسمع ذلك، قال: فلما اجتمع الناس، خرج عمر حتى جلس على المنبر، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فضلى عليه، ثم قال: إن الله أبقى رسوله بين أظهرنا ينزل عليه الوحي من الله يحل به ويحرم، ثم قبض الله رسوله، فرفع معه ما شاء أن يرفع، وأبقى منه ما شاء أن يبقى، فتشبتنا ببعض، وفاتنا بعض، فكان مما كنا نقرأ من القرآن "لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم"، ونزلت آية الرجم، فرجم النبي صلى الله عليه وآله ورجمنا معه، والذي نفس محمد بيده! لقد حفظتها وعلمتها وعقلتها، لولا أن يقال: كتب عمر في المصحف ما ليس فيه، لكتبتها بيدي كتاباً، والرجم على ثلاثة منازل،

حَمَلٌ بَيْنٌ، أو اعتراف من صاحبه، أو شهودٌ عدلٌ، كما أمر الله.

وقد بلغني أن رجالاً يقولون في خلافة أبي بكر: إنها كانت فلتة، ولعمري إن كانت كذلك، ولكن الله أعطى خيرها ووقى شرها، وأيكم هذا الذي تنقطع إليه الأعناق كانقطاعها إلى أبي بكر، إنه كان من شأن الناس أن رسول الله ﷺ توفي فأتينا، فقبل لنا: إن الأنصار قد اجتمعت في بني ساعدة مع سعد بن عبادة يبايعونه، فقامت وقام أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح نحوهم فزعين أن يحدثوا في الإسلام فتقاً، فلقيننا رجلاً من الأنصار، رجلاً صدق: عويمر بن ساعدة ومعن بن عدي، فقالا: أين تريدون؟ فقلنا: قومكم لما بلغنا من أمرهم، فقالا: ارجعوا فإنكم لن تُخالفوا، ولن يوتى شيء تكرهونه، فأبيننا إلا أن نمضي، وأنا أزوي كلاماً أريد أن أتكلم به، حتى انتهينا إلى القوم، وإذا هم عكوف هناك على سعد بن عبادة، وهو على سرير له مريض، فلما غشيناهم، تكلموا فقالوا: يا معشر قريش، منا أمير ومنكم أمير، فقام الحباب بن المنذر، فقال: أنا جُدَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُدَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ، إن شئتم والله رددناها جَدَعَةً، فقال أبو بكر: على رسلكم، فذهبت لأتكلم، فقال: أنصت يا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار! إنا والله ما ننكر فضلكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقكم الواجب علينا، ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب ليس بها غيرهم، وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فاتقوا الله ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام. ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: لي ولأبي عبيدة بن الجراح، فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة، قال: فوالله ما بقي شيء كنت أحب أن أقوله إلا وقد قاله يومئذ غير هذه

الكلمة، فوالله لأن أُقتل، ثم أُحيا، ثم أُقتل، ثم أُحيا في غير معصية، أحب إليّ من أن أكون أميراً على قوم فيهم أبو بكر، قال: ثم قال عمر: يا معشر الأنصار! يا معشر المسلمين! إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ أبو بكر السبّاق المبين، ثم أخذت بيده وبادرني رجل من الأنصار، فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده وتتابع الناس، وميّل على سعد بن عباد، فقال الناس: قُتل سعد، فقلت: اقتلوه قتلهم الله، ثم انصرفنا وقد جمع الله أمر المسلمين بأبي بكر، فكانت لعمرُ الله فلتة كما قُلتم، أعطى الله خيرها ووقى شرها، فمن دعا إلى مثلها فهو الذي لا بيعة له ولا لمن بايعه.<sup>(١)</sup>

لقد كان واضحاً من الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة احترام الأنصار للمهاجرين، والمهاجرين للأنصار وتبادل الآراء، وزُهد أبي بكر وعمر في الخلافة،<sup>(٢)</sup> وحرصهم جميعاً على استتباب النظام، فقوة الدولة والنظام مصلحة لجميع المسلمين، ورأسهم المهاجرين والأنصار الذين أسسوها مع الرسول ﷺ. كما كان واضحاً حرص أبي بكر على الإنصاف للأنصار، وكذلك ثنائه عليهم حين خطب فيهم، وقد اقترح أحد الأنصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، فرفض ذلك عمر ﷺ،<sup>(٣)</sup> وقد وردت رواية أخرى أنه: (لما كان ذلك اليوم، خرج أبو بكر وعمر حتى أتيا الأنصار، فقال أبو بكر: "يا معشر الأنصار إنا لا ننكر حقكم ولا ينكر

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٢ - ٤٢٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٩.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر

بعد النبي ﷺ، ج ٤/١٩٣ - ١٩٤.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٣٩٣.

حقكم مؤمن، وأنا والله ما أصبنا خيراً إلا ما شاركتمونا فيه، ولكن لا ترضى العرب ولا تقر إلا على رجل من قريش، لأنهم أفصح الناس السنة، وأحسن الناس وجوهاً، وأوسط العرب داراً، وأكثر الناس سجية في العرب، فهلم إلى عمر فبايعوه"، قال: فقالوا لا، فقال عمر: لم؟ فقالوا نخاف الأثرة، قال عمر: أما ما عشت فلا، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضل مني، فقالها الثانية، فلما كانت الثالثة قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر، قال: وأتى الناس عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: أتأتونني وفيكم ثالث ثلاثة، قال ابن عون: فقلت لمحمد: من ثالث ثلاثة؟ قال: قول الله ﷻ **إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** [التوبة].<sup>(١)</sup>

لقد كان من الطبيعي تبادل وجهات النظر والاختلاف فيها أحياناً والمناقشة والسماع للآراء المختلفة. وهذا بالطبع يؤكد على أن هذا الاجتماع تم دون أي ترتيب أو تسويق مسبق، إنما انطلق الجميع من المصلحة العامة والبحث عن الحق بعفوية ونية صادقة.

ولذلك كان رأي عمر ﷺ منطلقاً من ناحية شرعية حيث قال: (يا معشر الأنصار: أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر).<sup>(٢)</sup>

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) من رواية ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٣/١٧٨.

وقد قام خطيب من الأنصار فقال: (تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره)،<sup>(١)</sup> ويأدر أحد الأنصار وبإيع قبل عمر بن الخطاب،<sup>(٢)</sup> ثم تتابع الحضور في سقيفة بني ساعدة على بيعة أبي بكر في غير رغبة منه، وكل الحضور كانوا من الأنصار عدا أبا عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب ﷺ. وكانت هذه البيعة الخاصة ببيعة سقيفة بني ساعدة خاصة بمن حضرها، ولم يعتب على من غاب عنها، وكانت يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ.

ولا شك أن هؤلاء المبايعين لو كان عندهم أدنى خبر في وصية عن رسول الله ﷺ في الولاية من بعده لأبي بكر، لما ناقش المجتمعون، ولبايعوا مباشرة دون مبادلة للآراء والأدلة، كما لو كان هناك وصية لعلي ﷺ لما خفيت عليهم ﷺ، ولما تجاهلوا فهم خير من يفهم، هم تلاميذ محمد ﷺ تربيته وأصحابه حملوا السلاح والأرواح معه:

﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٣٣) [الأحزاب]، فكيف يتجاهلون الوصية بهذه البساطة، كما أن علياً لم يذكر الوصية أو يطالب بشيء من ذلك، وهو أشجع الناس ﷺ فحاشا لله أن يخاف في الله لومة لائم.

هذه البيعة المهمة لم تكن كافية، فكانت هناك حاجة إلى بيعة العامة، كان من الغد وهو يوم الثلاثاء بعد صلاة الفجر، البيعة العامة لأبي بكر الصديق بعد الصلاة، وهي بمثابة المناسبة المناسبة العامة للتصويب، بعد أن تمَّ

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٤٩٠.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٥.



اختياره وانتخابه من كثرة الأنصار وعدد محدد من المهاجرين من أهل الحل والعقد، اختاروه وبايعوه لما يرون من استخلاف رسول الله ﷺ له بالصلاة بالناس، قبل تقديمه لعامة الناس وقد قام عمر فتكلم في الناس.

روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك قال: (لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهد إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخراً. وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة).<sup>(١)</sup>

كانت هذه المبايعة من عامة الناس كل من حضر، ولم يرد وجود أي اعتراض على هذه البيعة، لا من علي ﷺ ولا من غيره من آل البيت ﷺ، فقد كانوا أكثر من غيرهم فرحاً ببيعة أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين - وكانوا مساعديه الأولين في شؤون الدولة عامة وفي مقاومة المرتدين خاصة.

ولما تمت بيعة أبي بكر الصديق ﷺ خطب خطبة الخلافة في الناس، وهي بمثابة إعلان رسمي عن توجهاته وسياسته القادمة في الأمة، ومنهجه في

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٣/١٨٢؛ الطبري، تاريخه، ج ٢/٢٣٥.

تسيير أمورها وكان مما قاله ﷺ بعد ما حمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله: (أما بعد أيها الناس، فإني قد وليتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم).<sup>(١)</sup>

كانت بداية عهده ﷺ بالتواضع، وإعلان أنه لا يزكي نفسه، وأنه ليس خيرهم، وكان ﷺ خيرهم فيما نعلم، لكنه خُلِقَ الإسلام التواضع والثناء على الله وليس مدح النفس.

كما أكد ﷺ قضية العدل والمساواة، وأن الجميع أمام نظر الشريعة والدولة ومؤسساتها سيأخذون حقوقهم بإنصاف تام، كما أكد عليهم مبدأ الجهاد والأخذ بالقوة، وأنه منهج الرسول ﷺ وأحد أسباب القوة وهيبة المسلمين.

كما حذر ﷺ من الفاحشة وضررها والمجاهرة بها، وأنها من أسباب الأمراض المتجددة في الأمة، وليته يرى حال البشرية اليوم وأمراضها الناتجة عن الفاحشة وعلى رأسها الأمراض الاجتماعية، ليضع سياسة مقاومة الفاحشة، والوقوف في وجه من يحب أن تشيع بين الأمة.

كما بيّن ﷺ أنه يسير وفق شرع الله وسنة رسوله وأن طاعته واجبة في

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٦١: الطبري، تاريخه، ج٢/٢٣٨: ابن كثير، تاريخه، ج٥/٢٤٨.

حدود اتباعه لهذا المنهج، وأن طاعته لا تجب في غير ذلك، بل إن طاعته لا تلزم إذا خالف ذلك.

إن هذه الخطبة التي تمثل خطة عمل وسياسة مستقبلية تحتاج إلى مزيد دراسة وتحليل من الباحثين، لإبراز ما فيها من القيم والمعاني والسياسة والخطط الداخلية والخارجية للدولة والنظام الذي يسيره.<sup>(١)</sup>

### أسباب اختيار أبي بكر الصديق ﷺ:

لا شك أن الصديق ﷺ هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وأكثر الناس التصاقاً برسول الله ﷺ، وهو صاحبه في الهجرة من بين سائر الأمة. وقد أشار الصحابة إلى ما ورد من ذلك في القرآن الكريم ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].<sup>(٢)</sup>

وقد كان ﷺ يعتمد على الصديق أكثر من غيره في مرضه الذي مات فيه وقبله، ومع أن الرسول ﷺ لم يوص مباشرة لأبي بكر الصديق، إلا أن هناك بعض الأحداث التي عدت مؤشرات واضحة في تفضيل بيعة الصديق ﷺ، وإن كانت لم تكن وصية، حيث إنه ﷺ ترك الأمر شورى بين المسلمين، ليكون منهجاً مستمراً للأمة تأخذ به، ويكون التشاور مبدأً أخلاقياً سياسياً، ونظاماً تسير عليه إن أرادت الحق والسعادة. ومن تلك المؤشرات: أنه ﷺ أمر بالاعتداء بأبي بكر وعمر من بعده، عن حذيفة بن

(١) من أفضل من حلل الخطبة التي قالها الصديق. د. محمد الصلابي، سيرة أبي بكر الصديق، من ص ١٦٨ - ١٧٨.

(٢) انظر: ابن أبي شيبعة، المغازي، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

اليمان قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: إني ما أدري قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود بشيء فصدقوه).<sup>(١)</sup>

أن الرسول ﷺ أمر أن يصلي أبو بكر بالناس حين مرضه الذي مات فيه، بعد عجزه عن الخروج للصلاة بالناس. روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال: مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فقلت: يا رسول الله ﷺ إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمه، فلو أمرت غير أبي بكر. فراجعت مرتين أو ثلاثاً فقال: ليصل بالناس أبو بكر فإنكن صواحب يوسف)).<sup>(٢)</sup>

وكانت مراجعة عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ خشيةً على أبيها، وقد علت ذلك في رواية ابن هشام قالت رضي الله عنه: ((يا نبي الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال مُرُوهُ فليصل بالناس، قالت: فعدت بمثل قلبي، فقال إنكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أنني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان، فكنيت أحب أن يُصرف ذلك عن أبي بكر)).<sup>(٣)</sup>

كان واضحاً ثناء الرسول ﷺ على أبي بكر في آخر خطبة خطبها

(١) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، رواية رقم: ٥١٦، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ج ٢٢/٢:

انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٢؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٦/٣٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٢؛ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام

إذا عرض له عذر، ج ٢٢/٢.

الرسول ﷺ حيث أمر بسدّ الأبواب التي تفتح على مسجده عدا باب أبي بكر ﷺ<sup>(١)</sup>.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ((خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر، فمجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خير فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن من آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر،<sup>(٢)</sup> ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر)).<sup>(٣)</sup>

كما كان من المبررات الواضحة - كما نقل ابن عباس ﷺ - قول عمر ابن الخطاب: (يا معشر المسلمين إن أوّلَى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السبّاق المُسن).<sup>(٤)</sup>

وكان الناس في حياة الرسول ﷺ يسألون ويناقدون عن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ فيذكرون الصديق ﷺ، أولهم، عن ابن عمر ﷺ قال: (كنا نُخَيَّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فتخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم

(١) سبق تخريجه. (وقد عجت لبعض أعداء الصحابة ممن يحاول إنكار الروايات بحجة أن بيت أبي بكر كان بالسُّنْح أطراف المدينة، متجاهلين أن وجود دارين للصديق ثابت ومعروف، وأن في كل دار منها زوجة من زوجاته).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً؛ وصحيح مسلم، ج٧/١١٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، ج٤/١٩٠.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٩٣؛ وقد نقل ابن أبي شيبة القول عن أبي عبيدة، في المغازي، ص ٤٢٩.

عثمان بن عفان).<sup>(١)</sup>

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قولها: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن بن أبي بكر: ائتني بكِتَفٍ ولوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه فلما ذهب عبدالرحمن ليقوم قال: أبى الله والمؤمنون أن يُخْتَلَفَ عليك، يا أبا بكر.<sup>(٢)</sup>

ومن المعروف أن الصديق رضي الله عنه كان كارهاً للخلافة فقد روى رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل قال: (وسألته عما قبل بيعتهم، فقال: وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة).<sup>(٣)</sup>

كما كانت هناك بعض الرؤى فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم بولاية أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده. روى البخاري أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا على بئر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر فأخذ أبو بكر الدلو فنزع ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعها ضعف والله يغفر له، ثم أخذ عمر بن الخطاب من أبي بكر، فاستحالت في يده غرباً فلم أر عبقرياً من

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ج٤/١٩١.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٤٧؛ انظر: مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج٧/١١٠.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٣٩٥.

الناس يفري فرّيه حتى ضرب الناس بعطن - قال وهب: العطن مبرك الإبل - يقول: حتى رويت الإبل فأناخت)).<sup>(١)</sup> وقد ورد: ((أن امرأة أتت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: رأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت. قال ﷺ: إن لم تجديني فأني أبا بكر)).<sup>(٢)</sup>

وعلينا أن نذكر أن علي بن أبي طالب ﷺ كان من أكثر الناس ثناءً على أبي بكر وعلى علمه ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ﷺ قال: (إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره، إذا رجل من خلفي وضع مرفقه على منكبي، يقول: رحمك الله إن كنت أرجو أن يجعلك الله مع صاحبك، لأنني كثيراً مما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فألتفت فإذا هو علي بن أبي طالب).<sup>(٣)</sup>

وقد أثنى علي بن أبي طالب ﷺ على أبي بكر الصديق ﷺ وخلافته، وكذلك خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. وشهادة علي بن أبي طالب ﷺ بنفسه رد مباشر على من حاول القدح في الصديق أو الزعم بأن لعلي وصية تجاهلها أبو بكر ﷺ. عن عبد بن خير قال: (سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: قُبِضَ رسول الله ﷺ على خير ما قُبِضَ عليه نبي من الأنبياء، قال: ثم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، ج٤/١٩٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، ج٤/١٩١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، ج٤/١٩٧.

استُخلف أبو بكر فعمل لعمل رسول الله ﷺ وبسنته، ثم قبضَ أبو بكر على خير ما قبضَ عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ثم استُخلف عمر، فعمل بعملهما وسنتهما، ثم قبضَ على خير ما قبضَ عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وبعد أبي بكر).<sup>(١)</sup>

كما ورد عن محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين).<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن الروايات في فضائل أبي بكر ﷺ من أقوال علي ﷺ تؤيد الروايات التي ذكرت بيعة علي ﷺ والعباس وغيرهم من آل البيت لأبي بكر الصديق ﷺ في البيعة العامة بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة في مسجده صباح الثلاثاء التالي لوفاته.<sup>(٣)</sup> ومن الثابت أن علي بن أبي طالب ﷺ لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذي القصة في حرب المرتدين.<sup>(٤)</sup>

لقد كان واضحاً ترك الرسول ﷺ الأمة دون تحديد أمير، وأنه ﷺ وضع قواعد يتم اتباعها في الشورى والاختيار من أهل الحل والعقد.<sup>(٥)</sup> وقد علمت

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، رواية رقم: ٥٢٠، ص ٤٣٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، ج ٤/١٩٥.

(٣) ابن كثير؛ السيرة النبوية، ج ٤/٣٩٨.

(٤) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٤٩٥.

(٥) تحدثت كتب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية بتفصيلات كثيرة عن قضايا البيعة، ومنها: ابن تيمية في السياسة الشرعية؛ وابن القيم في الطرق الحكيمة؛ والماوردي في الأحكام السلطانية؛ وأبو يعلى الفراء في الأحكام السلطانية، وغيرهم.



الأمة هذا الأمر وأصبح قاعدة اتبعها عمر بن الخطاب ﷺ، حيث ثبت في الصحيحين عن ابن عمر ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ لما طُعن قيل له: (ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني - أبا بكر - وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ، قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف).<sup>(١)</sup>

كما ورد عن علي ﷺ أنه قال بعد أن طُلب منه أن يستخلف: (ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يُردِ الله بالناس خيراً فيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم).<sup>(٢)</sup>

ويؤكد ابن كثير أن علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ﷺ قد بايعا الصديق في اليوم الأول مع المسلمين ولم يتخلفا عن بقية المسلمين، ويستدل بذلك على شهود علي ﷺ الصلاة مع أبي بكر الصديق منذ وفاة الرسول ﷺ بل وقبل ذلك لم ينقطع عن الصلاة خلف الصديق على الإطلاق، وخرج معه في أول غزوة غزاها بعد وفاة الرسول ﷺ إلى ذي القصة لقتال أهل الردة.<sup>(٣)</sup> وصدق في أبي بكر وعلي قول الله - تعالى -: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة]، فكانوا يحبون الله ويجاهدون في سبيله.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه، ج٤/٦؛ انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الحكام، باب الاستخلاف، ج١٢٦/٨؛ انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٨٨٩/٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣٣٥/٣.

(٢) انظر: تخريجه عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٤٠١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٦٥٣/٤.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣٩٨/٤.

وقد جدد علي بن أبي طالب البيعة لأبي بكر الصديق بعد ستة أشهر مرة أخرى، وذلك بعد وفاة فاطمة عليها السلام، وذلك للتأكيد على رضاه وحسن العلاقة بينهما عليهما السلام ونفي ما يشاع من خلاف ذلك.

وقد ورد أن علياً والزبير عليهما السلام قالوا: (ما غضبنا إلا لأننا أخرجنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو حي)،<sup>(١)</sup> وكلام علي عليه السلام حق، وعلي والزبير وأبي بكر عليهم السلام من أهل الحق.

وقد شاركوا جميعاً مع الصديق عليه السلام في الجهاد والفتوح التي خطط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت أيام الصديق وصدق فيهم قول الله - تعالى -: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور].

\*\*\*\*\*

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤ / ٣٩٩.

### أمهات المؤمنين ﷺ

إن من سنن الله في البشر الزواج والذرية، وكان أنبياء الله ﷺ يتزوجون وينجبون الذرية، ويحيون الحياة الزوجية والاجتماعية كغيرهم من الناس، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه العزيز، يقول - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) [الرعد].

وقد سار رسول الله ﷺ على سنن الأنبياء ﷺ قبله، حيث أحل الله له الزواج كسائر الأنبياء الآخرين، يقول - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمِكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٥٠) [الأحزاب].

يطلق لفظ أمهات المؤمنين ويقصد به زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهن،<sup>(١)</sup> وقد كان لهن شرف خاص ميزهن به الله ﷻ عن سائر النساء يقول ﷺ: ﴿يُنْسَاءُ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٣) [الأحزاب].

وقد سماهن الله ﷻ في كتابه أمهات المؤمنين، يقول - تعالى -: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾

(١) السيوطي: الحافظ جلال الدين (ت، ٩١١هـ)، مسانيد أمهات المؤمنين، ص ١٥.

كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ [الأحزاب].

ويقال لهن أمهات المؤمنين بالنسبة للرجال دون النساء،<sup>(١)</sup> ولذلك فقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها ردت على امرأة نادتها بـ (يا أمه) بقولها: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم، ولذلك رأى العلماء أن المراد بالأمومة (تحريم نكاحهن على التأبيد كالأمهات) لا ما يرتبط بالأمومة من جواز وضع الحجاب، أو المخالطة أو ما يرتبط بذلك من الأحكام.<sup>(٢)</sup>

وقد اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أفضل النساء، فهو خير الرجال، وهن خير النساء، وأزواجه في الدنيا أزواجه في الآخرة، فقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أبى لي أن أتزوج أو أزوج إلا أهل الجنة.<sup>(٣)</sup>

وقد عشن مع الرسول صلى الله عليه وسلم في داره وصحبته في تنقلاته وأسفاره، وأخذن أخبار الرجال وأحكام النساء والرجال، ونزلت الملائكة في بيوتهن، وفي حضورهن.

وقد كان أمامهن الاختيار بين الدنيا والدار الآخرة، فاخترن الله والدار الآخرة وذلك بعد نزول قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب].

ولذلك فقد وردت روايات في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه منها ما أورده

(١) الصالحي الشامي: أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٣٥.

(٢) الصالحي الشامي، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٣٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، تراجم النساء، ص ٨٩؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم،

البخاري في صحيحه في باب طويل هو باب قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٩) [الأحزاب]. وقال قتادة ﴿ وَأَذْكُرْتُمْ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴾ (٣٤) [الأحزاب].

والقرآن آيات الله والحكمة السنة، قالت عائشة لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت ثم قال إن الله جل ثناؤه قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأُسْرِحَكُنَّ سَرْحًا جَمِيلًا ﴾ (٣٨) [الأحزاب]. قالت: فقلت: ففي أي هذا استأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت. (١)

لقد كانت جميع أمهات المؤمنين يردن الله والدار الآخرة، وتالياً فإنهن جميعاً من أهل الجنة - كما يقول العلماء - بناء على هذا التخيير ونتيجة جوابهن له. (٢)

كما أنهن نلن قدرًا من العلم لم ينله أحد من الناس: ﴿ وَأَذْكُرْتُمْ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴾ (٣٤) [الأحزاب]، فقد هياهن الله لذلك .

وكان لهن شرف نقل كثير من أمور الشريعة للأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ، تنفيذاً لأمر الله في الآية، فكن ينقلن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب (وإن كنتم تردن ..)، ج ٦/٢٣.

(٢) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢٥.

وهي القرآن، ومن الحكمة وهي أحاديث رسول الله ﷺ وسنته.

وقد كان تعامل رسول الله ﷺ معهن تعامل الزوج السامي المعلم الميسر الرقيق.<sup>(١)</sup> قال ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ: ((لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنًا ولا متعنًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا))،<sup>(٢)</sup> وقد رأين منه كل خير وبركة.

وكان ﷺ مثلاً للرجال في الخير مع نسائهم وأهلهم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).<sup>(٣)</sup> وقد حملت أمهات المؤمنين من خير رسول الله ﷺ وخير ما حمل من علم وخلق وبركة لسائر الأمة، طيلة حياتهن في أيام رسول الله ﷺ وفي أيام الخلفاء الراشدين ومن بقي منهن بعد ذلك.

ولقد كُنَّ تاج المجتمع ومعلماته ومربياته، وقادته في المجال العلمي والاجتماعي، قُمنَ بدور عظيم في كل مجال، وقد زاد هذا الدور وتأصل بعد رسول الله ﷺ في عصر الراشدين وجزء من عصر بني أمية.

ومن المعلوم أن من بقي منهن بعد وفاته كن يعشن في المدينة المنورة ومجتمعها، فيؤثرن ويتأثرن به، يحرص الجميع عليهن بالرعاية والتكريم، أهل المدينة وروادها من ذوي الشأن في ذلك الزمان.

(١) مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً، ج ٤/١٨٨.

(٢) انظر: الهاشمي، عبدالمنعم، النبي ﷺ والنساء، ط ١ - الكويت: مكتبة المعارف المتحدة ١٤٢٩هـ، ص ١٢١.

(٣) الترمذي: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، ح برقم: ٣٨٩٥، ج ٥/٧٠٩.

## خديجة بنت خويلد ﷺ: (١)

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، (٢) ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة النبوية تقريباً، نشأت على الأخلاق الفاضلة وعرفت بالعفّة والصدق، كانت في الجاهلية تسمى بالطاهرة تمييزاً لها وعرفاناً بعفافها.

تزوجت قبل رسول الله ﷺ وكانت تاجرة ذات مال تبحث عمّن يضارب لها في مالها، فبلغها صدق الرسول ﷺ وأمانته وخُلقه، فطلبت منه أن يتاجر لها في مالها في أسواق العرب، فخرج في تجارتها إلى الشام يرافقه غلامها ميسرة، الذي حدثها عن صدقه وأمانته وحسن خلقه، وقارنت ذلك بما رأت منه في تجارتها وتعامله معها.

فرغبت في الزواج منه، وحكت لأحدى صويحاتها تلك الرغبة الشريفة، فأخبرت النبي ﷺ فخطبها لعمها وتزوجها، فكانت أولى زوجاته، وأم جميع أولاده، عدا إبراهيم، أنجبت منه القاسم وبه كان يكنى ﷺ، وعبدالله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة ﷺ، (٣) قال عنها ﷺ: ((خير نساءها مريم وخير نساءها خديجة)). (٤)

وبعد خمسة عشر عاماً من زواج رسول الله ﷺ نزل عليه الوحي، فكانت

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة ﷺ وفضلها، ج٤/٢٣٠؛

وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٨٢.

(٢) انظر: زواج الرسول ﷺ من خديجة ﷺ، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٨٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة ﷺ وفضلها، ج٤/٢٣٠؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، ج٧/١٣٢.

نعم المرأة، آمنت به وصدقته عن خيرة ومعرفة وقرب وطمانته بقولها: (والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق).<sup>(١)</sup>

كانت أول من آمن برسول الله ﷺ، سبقت بذلك الرجال.<sup>(٢)</sup>

كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ في بيتها بمكة وهي التي زمّلته ودثّرتة ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾ [المزمل]. ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ﴾ [المدثر]، كانت تحب النبي ﷺ ويحبها، لها منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ في حياتها وبعد وفاتها.

وقد حفظ النبي ﷺ لها ذلك الفضل، فلم يتزوج عليها في حياتها إلى أن قضت نحبها، فحزن لفقدائها حزناً شديداً، ولم يزل يذكرها، ويعترف بحبها وفضلها على سائر أمهات المؤمنين فيقول: ((إني قد رزقت حبها))،<sup>(٣)</sup> ويقول: ((آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ﷻ ولدها إذ حرمني أولاد النساء)).<sup>(٤)</sup>

كان يصل صديقاتها بعد وفاتها ويحسن إليهنّ ﷺ، كان إذا ذبح الشاة يقول: ((أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة)).<sup>(٥)</sup>

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ٣/١: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٠٣.

(٢) انظر: الوحي، من هذا الكتاب.

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، ج ٧/١٣٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٢٨٣.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﷺ، ج ٤/٢٣١.



وكان النبي ﷺ إذا سمع صوت هالة أخت خديجة تذكر صوت زوجته فيرتاح لذلك، كما ثبت في الصحيحين.<sup>(١)</sup>

وقد توفيت ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين، وقبل حادثة الإسراء بالنبي ﷺ، ولها من العمر خمس وستون سنة، ودفنت بالحجون.<sup>(٢)</sup>

ومهما كتبنا عن خديجة ﷺ فلن نوفيها حقها، لكن ما ذكرناه هنا إشارات والكتابة عنها تحتمل مجلدات متعددة.

#### سودة بنت زمعة ﷺ:

هي سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية،<sup>(٣)</sup> ثاني زوجات النبي ﷺ، تزوجها بعد وفاة زوجها السكران بن عمرو، وكانت أسلمت معه وهاجرت إلى الحبشة، وبعد عودتهما مات عنها.<sup>(٤)</sup> وهي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة ﷺ، ولم يتزوج معها ﷺ نحواً من ثلاث سنين أو أكثر، كانت خلالها ترعى بنات النبي ﷺ حتى دخل بعائشة ﷺ.<sup>(٥)</sup>

كانت تحب المزاح فتلقي من الكلام ما تقصد به إضحاك النبي ﷺ.<sup>(٦)</sup> كانت امرأة صوامة زاهدة رفيعة الخلق،<sup>(٧)</sup> وقد ورد أن سودة بنت زمعة

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب تزويج النبي ﷺ خديجة ﷺ وفضلها، ج٤/٢٣١.

(٢) انظر: أحداث ما قبل الهجرة، من هذا الكتاب.

(٣) معمر بن المثنى، أزواج النبي ﷺ، ص ٦١.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٥٤: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٣٨.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٥؛

عبد المنعم الهاشمي، أزواج النبي ﷺ، ص ١١٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٤.

(٧) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٧/١٤٤: البخاري، التاريخ الصغير، ح برقم: ١٧٨.

وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ.<sup>(١)</sup> وفي صحيح مسلم عن عائشة ﷺ قالت: (ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها - أي جلدها - من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة).<sup>(٢)</sup> ولما حجّت نساء النبي ﷺ في عهد عمر لم تحجّ معهن، وقالت: قد حججت واعتمرت مع رسول الله ﷺ، فأنا أقعد في بيتي كما أمرني الله، وظلت كذلك حتى توفيت،<sup>(٣)</sup> في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ فصلى عليها ودفنت في البقيع.<sup>(٤)</sup>

كانت معطاءة تكثر من الصدقة، حتى إن عمر بن الخطاب ﷺ بعث إليها بخرارة - وهو وعاء تُوضع فيه الأطعمة - من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: في خرارة مثل التمر؟ ففرقتها بين المساكين.<sup>(٥)</sup> روى عنها عدد من الصحابة والتابعين، وهي قليلة الحديث ﷺ.

#### عائشة بنت أبي بكر الصديق ﷺ (٩ ق. هـ - ٥٨ هـ):

أمها أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان،<sup>(٦)</sup> ولدت في السنة الرابعة من البعثة النبوية.<sup>(٧)</sup> وكانت عائشة تكنى بأُم عبد الله،<sup>(٨)</sup> قال رسول الله ﷺ: ((أرئيتك في المنام مرتين، أرى أنك في سَرَقَةٍ من حرير ويقول: هذه امرأتك

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضررتها، ج٤/١٧٤؛

وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٤.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٥.

(٤) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/١٨١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٩؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٥٨.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٥٩.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٦٣.

فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضيه)).<sup>(١)</sup> عقد عليها رسول الله ﷺ بمكة وهاجرت مع والديها إلى المدينة، ودخل بها رسول الله ﷺ بعد الهجرة وعمرها تسع سنوات، وهي الوحيدة البكر من بين نسائه ﷺ. وكانت تفتخر على نسائه بذلك.<sup>(٢)</sup>

وهي الثالثة في ترتيب زواجه، عاشت مع رسول الله ﷺ في المدينة وكانت تسافر معه في كثير من غزواته، وقد أحبها الرسول ﷺ وبشرها بمرافقته في الجنة أكثر من مرة.<sup>(٣)</sup>

صحبت الرسول ﷺ في عدد من غزواته، وبرأها الله من الإفك الذي اتهمها به المنافقون ومن سار على دربهم في آيات تتلى إلى يوم القيامة.<sup>(٤)</sup>

مرض رسول الله ﷺ في حجرتها ومات في حجرها، توفيت عنها رسول الله ﷺ ولها من العمر ثمانية عشرة سنة. كانت محل عناية المسلمين بعد رسول الله ﷺ، كان أكثر الناس صلة بها وأخذاً للعلم عنها أبناء أختها أسماء، ومن أشهرهم في ذلك عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير وغيرهم،<sup>(٥)</sup> من أكثر من شهد نزول الوحي على الرسول ﷺ نقلت ما يقرب من (٢٢٠٠) حديث عن رسول الله ﷺ،<sup>(٦)</sup> كانت مرجعاً لأهل المدينة في الإفتاء بعد وفاة الرسول ﷺ. وقد قال رسول الله ﷺ لأم سلمة حينما عاتبته في عائشة ﷺ: ((يا أم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب النظرة إلى المرأة قبل التزويج، ج٦/١٣١.

(٢) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٩٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٧٩.

(٤) انظر حادثة الإفك في غزوة بني المصطلق، من هذا الكتاب.

(٥) انظر: الرواة عن عائشة ﷺ، عند: جمعة، أحمد خليل، نساء أهل البيت، ص ١٤٩.

(٦) انظر: الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، ج١/٤٩٣.

سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها)).<sup>(١)</sup> كما كانت كثيرة الصلة بالحسن والحسين سِبْطِي رسول الله ﷺ بعد عودتهما من العراق بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.<sup>(٢)</sup> توفيت ﷺ في المدينة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين من الهجرة على الأرجح.<sup>(٣)</sup>

### حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ (١٨ق.هـ - ٤٥هـ):

هي ابنة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وأمها زينب بنت مظعون،<sup>(٤)</sup> تزوجها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة،<sup>(٥)</sup> عاشت معه ونهلت من علمه وتأديت بأدبه ﷺ، عاشت بعد وفاته ﷺ، وشهدت عصر الراشدين الزاهر، وعاشت الفتن التي جرت بعد استشهاد عثمان ﷺ، كما عاشت فترة من خلافة معاوية، كان إخوتها من أبناء عمر، وعلى رأسهم عبد الله بن عمر ﷺ أكثر الناس التصاقاً بها وأخذاً للعلم منها، وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين من الهجرة وقد بلغت ستين سنة.<sup>(٦)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة ﷺ، ج٤/٢٢١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٩٢: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٨١؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣٥.

(٣) لمزيد من التوسع حول حياة عائشة ﷺ بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ؛ انظر: سعيد الأفغاني، عائشة والسياسة، ط٢ - القاهرة: لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧م، ص ٦٠.

(٤) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣٧.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٧٧؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣٩.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٨٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٩؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٤٤.

وكانت حجرتها وحجرة عائشة وسودة متجاورات، والأرجح أنها جنوب  
حجرة عائشة، حيث يقف زوار القبر الشريف حالياً.<sup>(١)</sup>

أم سلمة ﷺ (١٤ ق.هـ - ٥٥٩هـ):

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية،<sup>(٢)</sup> استشهد عنها زوجها أبو  
سلمة بن عبد الأسد<sup>(٣)</sup> فتزوجها من بعده رسول الله ﷺ في شوال من السنة  
الرابعة من الهجرة، كانت تشير على رسول الله ﷺ في كثير من المواقف،<sup>(٤)</sup>  
لها منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ، رحلت معه في العديد من الغزوات،  
عاشت بعد رسول الله ﷺ وشهدت عصر الراشدين، وما جرى من فتن بعد  
استشهاد عثمان، كانت تربطها علاقة خاصة بعلي بن أبي طالب وبنيه،<sup>(٥)</sup>  
وتوفيت في أول عصر يزيد بن أبي سفيان، سنة إحدى وستين من الهجرة.  
وكانت آخر أمهات المؤمنين وفاة.<sup>(٥)</sup>

زينب بنت جحش ﷺ:

زينب بنت جحش هي زينب بنت جحش بن رباب، أم المؤمنين، ابنة عمه  
رسول الله ﷺ أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم، خالها حمزة بن عبدالمطلب

(١) انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢/٤٦٠؛ النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ٧٣.  
(٢) ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ)، الإصابة في  
تمييز الصحابة، ط ١ - القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ، ج٤/٤٥٨؛ الذهبي، سير أعلام  
النبلاء، ج٢/٢٠١؛ معمر بن المثنى، أزواج النبي ﷺ، ص ٦٤.  
(٣) انظر: ترجمته عند: ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٣٥.  
(٤) انظر: رأيها في الحلق أثناء غزوة صلح الحديبية عند البخاري، صحيحه، (باب الشروط في  
الجهاد)، ج٣/١٨٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣١٩؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي،  
ص ١٥٧.  
(٥) السيوطي، مسند أمهات المؤمنين، ص ٤٤.  
(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٣؛ الصالحي الشامي،  
أزواج النبي، ص ١٥٨.

وخالتها صفية بنت عبدالمطلب قديمة الإسلام من المهاجرات الأوائل<sup>(١)</sup>.  
 زوجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة مولاه، وكان يشكوها لرسول  
 الله ﷺ لأنها تؤذيه بالترفع عليه بسبب النسب فكان ﷺ يقول له: ((أمسك  
 عليك زوجك)) لكنه طلقها.

وبعد أن انقضت عدتها، تزوجها رسول الله ﷺ بأمر الله لإبطال عادة  
 التبني ﴿لِيَكُنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا  
 وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وليؤكد أنه ليس ابناً للنبي ﷺ، قال  
 - تعالى -: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ  
 وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال - تعالى -: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ  
 هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ  
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
 رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]، فكان يدعى بعد ذلك زيد بن حارثة ﴿وَإِذْ تَقُولُ  
 لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي  
 نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا  
 زَوَّجْنَاكَهَا لِيَكُنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا  
 وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وأخبر الله - تعالى - رسوله ﷺ أن زيداً سيطلق زوجته ليتزوجها النبي ﷺ  
 من بعده، ومع ذلك قال لزيد: ((اتق الله وأمسك عليك زوجك))، فعاتبه الله  
 على ذلك حيث قال: ﴿وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ  
 أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(١) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢/٢٥٦؛ ابن سعد، الطبقات،  
 ج ٨/١٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١/١٩١.

ولعل من أهداف ذلك تثبيت المساواة بين الناس، فهو ﷺ يتزوج من مطلقة مولى له، والعرب كانت لا تزوج الموالي، عن أنس قال: (لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد: "اذهب فاذكرها علي"،<sup>(١)</sup> فانطلق حتى أتاها، وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيته عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، إن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي ﷺ ثم قامت إلى مسجدها، ونزل القرآن بقوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: من الآية ٣٧]، فعُدَّ ذلك عقداً وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.<sup>(٢)</sup>

وقد أطعم النبي الصحابة في يوم زواجه بها، وبقي بعضهم متأخرين لم ينصرفوا وكان النبي ﷺ شديد الحياء، لم يصرفهم فنزل قوله - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب]،<sup>(٣)</sup> كانت تسامي عائشة بنت الصديق في الجمال والحظوة، دينة ورعة عابدة كثيرة الصدقة، تسمى أم

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ٢/١٥٠٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول آية الحجاب وإثبات وليمة العرس، ج ٤/١٤٨ - ١٤٩؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/١٠٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول: لا تدخلوا بيوت النبي، ج ٦/٢٤؛ وانظر:

تفسير ابن كثير، ج ٤/١٥١٣.

المساكين، تعمل بالخرافة وتتصدق من عمل يدها.<sup>(١)</sup>

وثبت في الصحيحين في حديث الإفك، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: "ماذا علمت أو رأيت"، فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك.<sup>(٢)</sup>

قالت عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل رحماً، وأعظم أمانة وصدقة كانت زاهدة كثيرة الصدقة).<sup>(٣)</sup>

أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على كثرة تصدقها، وكفى عن ذلك بطول يدها، روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً، قالت: فكأن يتناولن أيهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق)).<sup>(٤)</sup>

ومن زهدها لما خرج العطاء أرسل عمر رضي الله عنه إلى زينب بالذي يخصها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر. غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. فقالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله واستترت منه بثوب. قالت: صبوه واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لبرزة بنت رافع: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان من أهل رحمها وأيتامها، فقسمته حتى بقيت

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣١٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ج٦٠/٥؛ انظر: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ج١٧٧/٨ - ١١٨.

(٣) انظر: حديث الإفك، في غزوة بني المصطلق، من هذا الكتاب.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل زينب، ج١٤٤/٧؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٠٨/٨.



بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة: غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا حق. فقالت: فلکم ما تحت الثوب. قلت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: "اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا" فماتت،<sup>(١)</sup> روت عن رسول الله أحد عشر حديثاً.<sup>(٢)</sup>

قالت زينب بنت جحش حين حضرته الوفاة: إني قد أعددت كفني، فإن بعث لي عمر بكفن فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذ أدليتُموني أن تصدقوا بحقوتي، فافعلوا، كانت أول أزواج النبي وفاة بعده ﷺ، توفيت سنة عشرين من الهجرة، وصلى عليها عمر بن الخطاب ﷺ ودفنت بالبقيع.<sup>(٣)</sup>

#### جويرية بنت الحارث ﷺ (١٤ق.هـ - ٥٠هـ):

كان اسمها برّة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية، وهي ابنة للحارث بن أبي ضرار زعيم بني المصطلق، سُببت في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم رجل من الأنصار، فجاءت تشتكي لرسول الله ﷺ فاشتراها فأعتقها ثم تزوجها سنة خمس من الهجرة،<sup>(٤)</sup> عاشت بقية حياتها في كنف رسول الله ﷺ، وقد شهدت عصر الراشدين وما دار فيه، وتوفيت سنة ست وخمسين من الهجرة، ولها من العمر خمس وستون سنة.<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/١١٠.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢١٨.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/١٠٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/١٩٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧/١٤٠.

(٤) انظر: غزوة بني المصطلق، من هذا الكتاب؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٦٥؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج٤/٤٧.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٦٣؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢١٠.

### أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (٢٨ق هـ - ٤٤هـ):

اسمها رملة وهي ابنة لأبي سفيان صخر بن حرب زعيم قريش المشهور، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، كانت مؤمنة سالحة، هاجرت مع المسلمين إلى الحبشة بصحبة زوجها عبيد الله بن جحش، ثم تنصروا مات عنها، وثبتت رضي الله عنها على إسلامها مع ردة زوجها، فخطبها النبي ﷺ، وبعث لها صداقاً وهي في الحبشة وتزوجها، ثم هاجرت إلى المدينة سنة ست من الهجرة، عاشت في بيت النبوة بعيدة عن أهلها من المشركين وعلى رأسهم زعيم قريش أبو سفيان بن حرب (والدها)، حتى أسلموا يوم الفتح، نهلت من علم رسول الله ﷺ، عاشت بعده عصر الراشدين، وجزءاً من خلافة معاوية، وهي أخت للخليفة،<sup>(١)</sup> كان لها هيبة وجلال، توفيت في المدينة سنة أربع وأربعين من الهجرة.<sup>(٢)</sup>

### ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها (١٨ق هـ - ٥١هـ):

كان اسمها برة، فسمها رسول الله ﷺ ميمونة، وهي بنت للحارث بن حزن الهلالي، تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة.<sup>(٣)</sup> كانت خالة لعبد الله بن عباس، ولخالد بن الوليد،<sup>(٤)</sup> وأختاً لأسماء بنت عميس لأمها، عاشت في بيت رسول الله ﷺ ونهلت من علمه، وعاشت بعده زمن الراشدين وشهدت أحداثه، بقيت زمناً من خلافة معاوية رضي الله عنه حتى

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٢٢.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣٠٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٢٢؛ الصالحى الشامى، أزواج النبي، ص ١٦٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣٧٢؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٨/١٣٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨/١٣٢؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣٧٢.

توفيت سنة إحدى وخمسين من الهجرة،<sup>(١)</sup> ورد لها ما يزيد على سبعين حديثاً روتها عن رسول الله ﷺ.<sup>(٢)</sup>

### صفية بنت حيي ﷺ (١٠ق.هـ - ٥٢هـ):

هي صفية بنت حيي بن أخطب، من ذرية نبي الله هارون الكهني، كان أبوها سيد يهود بني النضير، قتل عنها زوجها من يهود خيبر أثناء غزوة خيبر، فصارت مع السبي فأعتقها رسول الله ﷺ ثم تزوجها في شوال سنة سبع من الهجرة،<sup>(٣)</sup> أحببت رسول الله ﷺ رغم عداته لليهود وقتله لأبيها وزوجها وهما من زعمائهم، حيث شرح الله صدرها للإسلام، ودعا لها ﷺ حتى ذهب ما كانت تجده عليه، وأخبرها ﷺ أنها ابنة نبي، وعمها نبي وزوجة نبي. توفيت عنها رسول الله ﷺ، فعاشت زمن الراشدين وشهدت أحداثه، وبقيت زمناً من خلافة معاوية وتوفيت سنة اثنتين وخمسين من الهجرة الشريفة.<sup>(٤)</sup>

### مارية القبطية ﷺ:<sup>(٥)</sup>

هي أم إبراهيم ابن النبي، مؤمنة من أهل مصر، وهي مارية بنت شمعون من قرية حفن بمحافظة المنيا المصرية كان والدها من زعماء القبط.<sup>(٦)</sup> وقد قدمت المدينة في السنة السابعة من الهجرة ضمن هدايا بعثها المقوقس

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٤٥؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٦٤.

(٢) انظر: الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، ج١/٤٩٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٣٥؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢١٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

(٦) انظر: لمزيد من التفصيل، رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس، من هذا الكتاب.

أو (كيرس) حاكم مصر إلى النبي ﷺ مع أختها سيرين، وقد عرض الرسول ﷺ عليهما الإسلام فأسلمتا وحسن إسلامهما،<sup>(١)</sup> وقد وهب النبي ﷺ سيرين لحسان بن ثابت، واصطفى لنفسه مارية، كانت امرأة جميلة عاقلة، أثارت غيرة أم المؤمنين عائشة وغيرها من نساء النبي ﷺ.<sup>(٢)</sup>

وكدت لرسول الله ﷺ في السنة الثامنة من الهجرة ابنه إبراهيم، وعاش في كنف الرسول ﷺ سنة وبضعة أشهر، حتى توفى في شهر ربيع الأول من السنة العاشرة من الهجرة، فحزن عليه الرسول ﷺ وحزنت عليه مارية ﷺ.<sup>(٣)</sup> وقد توفى الرسول الله ﷺ وهو راضٍ عنها، وقد أوصى بأهل مصر خيراً في قوله: ((إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً أو قال ذمة وصهراً))،<sup>(٤)</sup> كانت مارية خالة لعبدالرحمن بن حسان بن ثابت ﷺ.<sup>(٥)</sup>

توفيت في السنة السادسة عشرة من الهجرة النبوية، وصلى عليها عمر بن الخطاب ﷺ ودفنت في البقيع.<sup>(٦)</sup>

ويُعدها بعض العلماء من إماء الرسول ﷺ وأنها ملك يمينه، وعلى كل حال فهي أم ولد لرسول الله ﷺ. وقد ذكر عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (أعتقها ولدها)،<sup>(٧)</sup> يعني أنها عتقت في حياة النبي ﷺ بعد ولادتها لإبراهيم

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٢١٢، ٢١٤.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٢.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وصية النبي بأهل مصر، ج٧/١٩٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٤: الطبري، تاريخه، ج٢/٤٧٥.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٣.

ابن النبي ﷺ. وبالتالي ليست جارية، وكانت حسنة الدين والإسلام، ولها من المكانة عند الصحابة كما لغيرها من أمهات المؤمنين، وكان عمر حريصاً على أن يشهد الناس جنازتها يدعوهم لذلك بنفسه.<sup>(١)</sup>

\* \* \* \* \*

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢١٦.

### استقرار أمهات المؤمنين ﷺ

عاشت أمهات المؤمنين في المدينة أثناء حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته عدا خديجة التي توفيت بمكة، فكان سكناهن وإقامتهن الدائمة فيها في بيوتهن وحجراتهن التي خصصها لهن رسول الله ﷺ في الغالب، حيث كان استقرارهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) [الأحزاب]. وكان بعضهن يخرجن للحج إلى مكة برفقة محارمهن،<sup>(١)</sup> كما خرجت أم المؤمنين عائشة ﷺ إلى العراق قبيل موقعة الجمل بصحبة عبد الله بن الزبير<sup>(٢)</sup> ابن أختها أسماء ﷺ، وكانت ﷺ كلما ذكرت هذا الخروج استغفرت وبكت، مما يدل على ندمها على هذا الخروج.<sup>(٣)</sup> وقد منع عبد الله بن عمر ﷺ أخته أم المؤمنين حفصة ﷺ من الخروج إلى العراق مع عائشة ﷺ، كما أن أم حبيبة ﷺ كانت أختاً للخليفة معاوية ﷺ ومع ذلك فإنها آثرت البقاء في المدينة وعدم الهجرة إلى دمشق مقر الخلافة آنذاك، مع ما ذكر من زيارتها لدمشق وسرعة عودتها للمدينة،<sup>(٤)</sup> ولعل أمهات المؤمنين يتذكرن قوله ﷺ لعامة الناس:

((تفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح العراق فيخرج من المدينة قوم

(١) ابن حنبل: المسند، ج٦/٣٢٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١٧٣: ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٠٩: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٣١.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٧٧.

(٤) ابن عساکر، تاريخ دمشق، تراجم النساء، ص ٧٠: جمعة، نساء أهل البيت، ص ٣٩٩.

بأهلهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)).<sup>(١)</sup> فإذا كانت المدينة خيراً لعامة الناس فأمهات المؤمنين أولى بذلك، خصوصاً أنهنَّ أمرنَّ بالقرار في المدينة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب].

### علاقتهن الاجتماعية:

كان لأمهات المؤمنين مكانتهن المميزة بين أهل المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، حيث يحرص أهل المدينة على لقياهنَّ والتحدث إليهنَّ والتعلم منهنَّ، كما أن بعض من يزور المدينة من الأمصار الإسلامية يقدمون الهدايا لبيوت أمهات المؤمنين، وكن من الزاهدات العابدات، وبالتالي فإنهن يخرجن ما يأتيهن صدقة على أهل المدينة من الضعفاء والمحتاجين، كما كان رواة الحديث وطالبوا العلم من الرجال والنساء يقصدون المدينة للسمع منهن وأخذ علمهن.<sup>(٢)</sup>

لم تكن أمهات المؤمنين غريبات عن المجتمع، فالكل يرى أنهن أمهات لهم، كما أنهن يرتبطن بعلاقات عائلية وأسرية مميزة مع الكثير من أهل المدينة وغيرها، يقول - تعالى - مشيراً لهذه العلاقة والروابط الخاصة: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا آبَائِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب].

(١) مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار، ج٤/١٢٢؛ وانظر: تخريج الحديث عند صالح الرفاعي، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص ١٩١.  
(٢) انظر: عبدالعزيز العُمري، إثراء أمهات المؤمنين في المجتمع المدني في عهد معاوية بن أبي سفيان، بحث ضمن كتاب أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، ص ١٥٦؛ انظر: ندى النخيلان، أمهات المؤمنين وأثرهن في مجتمع المدينة في عصر الخلفاء الراشدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة، ١٤٣٠هـ، وقد نشرتها دار إشبيليا: الرياض ١٤٣٢هـ.

وقد كان معظمهن من قريش، مثل عائشة وحفصة، وأم سلمة وأم حبيبة، كما أن بعضهن من العرب ومنهن جويرية بنت الحارث وميمونة بنت الحارث، وكانت منهن صفية وأصلها من يهود العرب ثم أسلمت، ومنهن مارية قبطية من مصر. والجميع يربطهن بالمجتمع علائق الإيمان والمحبة لرسول الله ﷺ ولآله، ويتميزن بقريهن من رسول الله ﷺ، وبأمومتهم للمؤمنين عموماً، كما كان لبعضهن إخوة وأخوات مثل حفصة وعائشة وأم سلمة وأم حبيبة وغيرهن. وكان لهؤلاء الأخوة بنين وبنات وأحفاد وأخوات وزوجات وأرحام، فكانت لهن من كُتِّمَّ علاقاتهن الأسرية الخاصة، الممتدة بجذورها المختلفة في مجتمع المدينة ومكة والأمصار الإسلامية الأخرى.

وكن ﷺ واصلات للرحم موصولات باستمرار، فكن يهدين للنساء الأقمشة وغيرها،<sup>(١)</sup> كما يهدي لهن أقاربهن من الرجال والنساء، فقد ثبت تقديم عبدالله بن الزبير هدايا لخالته أم المؤمنين عائشة ﷺ.<sup>(٢)</sup>

وقد حُرِّمَت أمهات المؤمنين في المدينة إجمالاً من الذرية، عدا أم سلمة التي عاش أبنائها من زوجها السابق أبي سلمة، الذين تربوا في حجر رسول الله ﷺ،<sup>(٣)</sup> فكانوا عوناً لها وعوناً للناس على تلقي علمها. وقد عاش ابنها سلمة وعمر طيلة خلافة معاوية وبقيا بعد ذلك عشرات السنين، وأما ابنتها زينب فقد كانت من أفقه النساء في زمانها، وعاشت طيلة خلافة معاوية وبقيت بعده.<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٧١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٧٢.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢/٤٣٠؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص١٥١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ، ص ١٥٩، ١٦٠.



وامتازت علاقة أم المؤمنين عائشة ؓ بأبناء أختها أسماء، حيث كانت تكنى (بأم عبدالله) يقصدون به عبدالله بن الزبير، كانوا يصحبونها في سفرها وإقامتها، كما كانوا يُعدُّونها بمثابة الأم لهم، وقد نالوا بصحبتها من علمها، فكانت معظم روايات الحديث عنها بواسطة أمهم. <sup>(١)</sup> كان أبناء الزبير ينادونها بـ(يا أماء، ويا خالة)، ويعجبون من غزير علمها، <sup>(٢)</sup> وكانت توجههم وتؤدبهم عند الحاجة <sup>(٣)</sup> كما كانت تدفع عنهم الأذى. <sup>(٤)</sup>

كما كان إخوتها وأبناء إخوتها من الملازمين لها، وكانت تصلح بينهم عند الحاجة، فقد وردت أخبار عن إصلاح عائشة ؓ بين أخيها عبدالرحمن وبين زوجاته، <sup>(٥)</sup> وقد كان بعض أبناء أخيها عبدالرحمن قبل موتها ملازمًا لها، <sup>(٦)</sup> كما شهد وفاتها عبدالله بن الزبير ؓ وغيرهم من أقاربها. <sup>(٧)</sup>

كما كان لحفصة ؓ علاقتها المميزة بأبناء عمر بن الخطاب ؓ، وخصوصًا الصحابي الجليل عبدالله بن عمر ؓ، حيث كان يوجهها وتسمع منه، وقد أوصته عند موتها، وقد نزل في قبرها مع بعض أبنائه وأبناء

(١) انظر الرواة عن عائشة عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٣٦؛ الفئسان: مرويات أم المؤمنين عائشة ؓ في التفسير، ص ١٦؛ وندى النخيلان، دور أمهات المؤمنين في مجتمع المدينة في عصر الراشدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة، ١٤٣٠هـ، ص ٢٨٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٨٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٨٤.

(٤) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٣١.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٩٠.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٨١.

(٧) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٢٨.

عاصم بن عمر رضي الله عنه.<sup>(١)</sup>

وقد كانت أم حبيبة أختًا للخليفة معاوية رضي الله عنه أدركت زمن خلافته، وكان يقدرها ويخصها بالزيارة والوصل، كما كانت لها علاقات حميمة بأبناء إخوتها، وكان جمع من بني أمية من محارمها يلتقون بها ويروون الأحاديث عنها.<sup>(٢)</sup>

كما اشتهر عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها صلتها لأرحامها ممن يخالف دينها، حيث بقي بعض أرحامها على اليهودية، ومع ذلك فقد كانت تصلهم،<sup>(٣)</sup> بل إنها أوصت عند موتها ببعض المال لابن أختها وكان يهوديًا.<sup>(٤)</sup> ومن المعروف جواز الوصية لغير الوارث، واختلاف الدين يمنع من الميراث، ولذلك يأخذ غير المسلم بالوصية.

كما كان أصحاب النبي رضي الله عنه يحرصون على زيارة أمهات المؤمنين وعدم الانقطاع عنهن، وكانوا يناقشونهن في بعض المسائل الفقهية والروايات وكن في بعض الأحيان يصححونهم عند الحاجة، كما فعلت عائشة في حديث قطع الصلاة،<sup>(٥)</sup> وفي غيره.<sup>(٦)</sup>

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢/ ٨٦؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٤٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/ ٢٢٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٦٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨/ ١٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/ ٢٣٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢٢٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨/ ١٢٨؛ الدارمي: سنن الدارمي، ج ٢/ ٤٢٧؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ٢/ ٣٨٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/ ٢٣٢؛ الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٢٢٥.

(٥) انظر: البخاري، صحيحه، كتاب الصلاة، باب من قال (لا يقطع الصلاة شيء)، ج ١/ ١٣٠.

(٦) انظر: الصالحي الشامي، أزواج النبي رضي الله عنه، ص ١٣٢.

والمتتبع لروايات الحديث، يجد أمهات المؤمنين يروون عن الصحابة والصحابة يروون عنهن،<sup>(١)</sup> وذلك كله مع الحفاظ على الحجاب والآداب الشرعية الصحيحة.

وهذا يدل على العلاقات الخاصة بين الصحابة وبين بيت النبوة، وعلى استمرارها بعد وفاة النبي ﷺ مع من بقي من أمهات المؤمنين طيلة حياتهن. وكانت أقوى صلاتهن مع الحسن والحسين ﷺ سبطي رسول الله ﷺ بعد عودتهما من العراق واستقرارهما في المدينة، حيث كانا يتفقدان أمهات المؤمنين ويدخلان عليهن ويتابعان أحوالهن لكونهما محارم لهن فهن زوجات جدهما رسول الله ﷺ ورضي عنهما.

كما تميزت العديد من الصحابيات والتابعيات بالرواية عن أمهات المؤمنين وأخذ العلم منهن والتردد عليهن،<sup>(٢)</sup> وقد اشتهر عدد من التلميذات لعائشة ﷺ،<sup>(٣)</sup> منهن عمرة بنت عبدالرحمن،<sup>(٤)</sup> ومولاتها أم ذرة كانت تروي عن عائشة وعن غيرها من أمهات المؤمنين.<sup>(٥)</sup>

كما اشتهر عدد من النساء الراويات عن أم المؤمنين حفصة ﷺ.<sup>(٦)</sup>

(١) جمعة: أحمد خليل، نساء أهل البيت، ص ٣٣٤.

(٢) جمعة: نساء أهل البيت، ص ١٥٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩٢/٨.

(٤) هي عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصارية، تربت في حجر عائشة ﷺ، تابعة، مدنية، ثقة، حجة، عدت من عالمات زمانها، أمر عمر بن عبدالعزيز بكتابة حديثها، توفيت سنة ١٠٦ هـ، (الطبقات الكبرى)، ج ٣٨٦/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج ٩٢/٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ١٢/٤٣٨.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٢/٤٧٦.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٢/٤١٠.

كما اشتهر رواية جماعة من النساء عن أم سلمة رضي الله عنها.<sup>(١)</sup>

وروت جماعة من النساء عن أم حبيبة رضي الله عنها.<sup>(٢)</sup>

وقد كانت أمهات المؤمنين مرجعاً للناس في أحكام الزواج والطلاق والرضاع والمعاشرة وما يرتبط بها.<sup>(٣)</sup>

وقد اشتهر عن عائشة رضي الله عنها عنايتها الخاصة بالمرأة، فقد كانت تعتني بالفتيات الصغيرات وبالنساء المتزوجات، تتصحهن وتوجههن، كما كانت تتصح الرجال في كيفية التعامل مع النساء، وخصوصاً حديثات السن منهن، وتروي في ذلك قصتها مع النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها النسائي (عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسَأَمُ، فَاقْدُرُوا قَدَرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ، الْحَرِيصَةَ عَلَى اللَّهْوِ)،<sup>(٤)</sup> وكانت تحدث باستمرار عن حسن تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع نساؤه، وعن سمره معهن ومزاحه وملاعبته لهن، ومراعاته لأحوالهن في السفر والحج والعمرة.<sup>(٥)</sup>

وكانت عائشة رضي الله عنها تنادي بنات حواء لإيجاد المودة وزرع المحبة في بيوتهن، وتقول في هذا المجال ناصحة النساء: "أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تتصنعين للزيارة، وإذا أمرك فلتطيعيه وإذا أقسم عليك فأبريه ولا

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ١٢/٢٥٦.

(٢) جمعة، نساء أهل البيت، ص ٢٩٦.

(٣) جمعة، نساء أهل البيت، ص ٢٦٥.

(٤) النسائي، السنن، كتاب صلاة العيدين، باب اللعب في المسجد يوم العيد ونظر النساء إلى ذلك، ج ٣/١٩٥؛ الذهبي، سير أعلام النساء، ج ٢/١٥١.

(٥) انظر: ما رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوه الإحرام، ج ٤/٢٧؛ الصالح، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٩٨، ٩٩، ١٠١.

تأذني في بيته لمن يكره".<sup>(١)</sup>

كما كانت تؤكد على حسن التعامل مع الفتيات الصغيرات، وتضرب المثل بفعل رسول الله ﷺ معها، فقد ورد عن "هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ؓ قالت: كنت أَلعب بالبنات ويجئن صويحباتي فيلعبن معي، فإذا رأين رسول الله ﷺ انقمعن منه، فكان رسول الله ﷺ يدخلهن فيلعبن معي".<sup>(٢)</sup> وقد اشتهرت أم المؤمنين حفصة بمعرفتها الكتابة،<sup>(٣)</sup> فلعل لها دوراً في تعليم بعض الفتيات ذلك.

كما كان لبعضهن موالٍ وجوارٍ، وكن يعاملنهم معاملة حسنة، وكانوا يشهدون العلم منهن، ويرون بأنفسهم زهدهن وحسن تصرفهن، وخصوصاً الجواري اللاتي كن في مرحلة التربية، وقد أعتقت أمهات المؤمنين عدداً من الموالي رجالاً ونساء.<sup>(٤)</sup>

كانت العلاقة قائمة بين أمهات المؤمنين وبعضهن مع بعض بعد وفاة الرسول ﷺ، وتميزت علاقة عائشة بحفصة ؓ بالقوة والخصوصية.<sup>(٥)</sup> ولعل من أسباب ذلك كون بيت عائشة ملاصقاً لبيت حفصة ؓ،<sup>(٦)</sup> كانت أمهات المؤمنين يتفقن بعضهن بعضاً ويعطف بعضهن على بعض، حيث ذهبت الغيرة من بينهن بوفاة النبي ﷺ،<sup>(٧)</sup> ووردت روايات مختلفة عن حضور بعضهن

(١) عبدالرزاق: المصنف، ج٣/ ١٤٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٦٦.

(٣) جمعة، نساء أهل البيت، ص ١٩٢.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ٢٣٢: الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٩٦، ١٢٧.

(٥) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٤٣.

(٦) عبدالغني: محمد إلياس، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ص ٢٦.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/ ٩٤.

وفاة البعض، فقد وردت دعوة أم حبيبة لأم سلمة ولعائشة حين حضرتها الوفاة واستغفارهن لبعض وسرورهن بذلك.<sup>(١)</sup>

كما تميزت علاقتهن ببقية آل البيت عليهم السلام بالقوة واشتهرت العلاقة الخاصة بين أم المؤمنين صفية عليها السلام وبين أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.<sup>(٢)</sup>

كما اشتهرت زيارات الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب عليهم السلام لأم المؤمنين عائشة عليها السلام وترددهما عليها،<sup>(٣)</sup> وتفقد أحوالها مع بقية أمهات المؤمنين.

ولا شك أن مجتمع المدينة قد تغيرت تركيبته السكانية تدرجاً مع الفتوح، وانتشار الإسلام وامتداده لمواطن وشعوب جديدة، حيث رحل كثير من سكان المدينة إلى مناطق الفتح، كما قدم الكثير من العجم والموالي إلى المدينة.

وعموماً فقد كانت أمهات المؤمنين على صلة بشرائح المجتمع وطبقاته كافة، يتمتعن بمكانة خاصة بينهم، وتزيد علاقتهن ببيوت المهاجرين والأنصار، وخصوصاً الذين بقوا في المدينة ولم يرحلوا منها.

والمطلع على ما روي عن أمهات المؤمنين من أحاديث يدرك مقدار هذه الصلة، خصوصاً إذا علم مناسبات تلك الروايات وارتباط تلك المناسبات بحياة الناس العامة، فما روي عن أم المؤمنين عائشة عليها السلام قرابة (٢٢٠٠)

(١) الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ١٧٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٧٣.

حديث،<sup>(١)</sup> لكل حديث مناسبة وحادثة، بل ربما تكرر الحديث في أكثر من مناسبة.

وعموماً فإن أمهات المؤمنين كن رمزاً بقي بعد رسول الله ﷺ يحنو عليه الجميع ويحبه كل الناس من المؤمنين والمؤمنات، وتهوي إليهن أفئدة المؤمنين كما تهوي إلى الأمهات، فكن كما وصف الله (أمهات) لكل المؤمنين يُنظر إليهن بهذه النظرة، بل كن أعظم من أمهات النسب في نظر المؤمنين، وعند مرض بعض أمهات المؤمنين يصبحن محل عناية خاصة من المجتمع ككل، ومن أصحاب النبي ﷺ خصوصاً.

#### وفيات أمهات المؤمنين ﷺ:

جاء ابن عباس ﷺ يستأذن على عائشة ﷺ في مرضها الذي ماتت فيه، فلما دخل عليها قال لها: أبشري، فما بينك وبين أن تلحقني بمحمد ﷺ، إلا أن تخرج الروح من الجسد، كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً.<sup>(٢)</sup>

وعند وفاتها نزل في قبرها عدد من أبناء الزبير أمهم أسماء بنت أبي بكر، وخالتهم عائشة ﷺ وعدد من أبناء إختها.<sup>(٣)</sup>

وحينما توفيت أم المؤمنين حفصة ﷺ اجتمع لجنائزها أهل المدينة، وصلى

(١) الخزرجي، تهذيب الكمال، ص ١٢٤٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٧٤/٨: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٨٧٤/٢: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨٣/٢: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩٣/٨: الصالحي الشامي، أزواج النبي، ص ٩١.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨٠/٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩٤/٨.

عليها أمير المدينة في حينه مروان بن الحكم، وحمل جنازتها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وتأثر أهل المدينة بموتها.<sup>(١)</sup>

\* \* \* \* \*

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٨/٨٦: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٩: جمعة، نساء أهل البيت، ص ٢٠٥.



## بنات المصطفى ﷺ

ولدن وعشن وتربين في أفضل بيوت بني آدم عبر الزمان والمكان، بيت المصطفى ﷺ، سيد ولد آدم، أمهن خديجة بنت خويلد، أشرف وخير نساء العالمين، بيتهن بيت النبوة والصدق والعفة والطهارة (بيت الجنة)، أنعم الله عليهن بالهداية، فكن من أوائل المؤمنات برسول الله ﷺ المصدقات به، رغم تفاوتهن في العمر.

شارك رسول الله ﷺ هم الدعوة، دافع عنه في الشدائد، مررن كما يمر غيرهن بظروف مختلفة في الزواج، والولادة، والمعاشرة، عشن مع رسول الله ﷺ في مكة وفي المدينة بعد الهجرة في كنف أزواجهن.

فارقن الحياة في حياته، عدا فاطمة ﷺ، كانت أسرع أهله لحاقاً به بعد وفاته، فكان مواعدهن مع رسول الله ﷺ ونسائه مع الصالحين من أهل الجنة، لا بُدَّ لكل دارس لسيرته ﷺ من التعرف عليهن وأحوالهن كجزء مهم من محيط الرسول ﷺ وحياته يرتبهن أهل العلم بحسب سنهن، وهن:

## زينب بنت الرسول ﷺ:

كبرى بنات رسول الله ﷺ أمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ﷺ ولدت في السنة العاشرة قبل البعثة،<sup>(١)</sup> وقد أحبها الرسول ﷺ وعطف عليها وهو الرحيم بالصغار والكبار ﷺ، كان لولادتها عظيم الأثر على بيت المصطفى ﷺ، حيث سرَّ النبي ﷺ بها، وقد نشأت وترعرعت في كنف النبوة، وتلقت سامي الأخلاق والتربية، من والدها ﷺ ومن أمها خديجة ﷺ.

وفي سن الزواج خطبها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن شمس بن عبد مناف بن قصي، وهو ابن لخالتها هالة بنت خويلد، وقد عُرف أبو

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٣٠؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٢١٢.

العاص بين شباب قريش بالصدق وحسن الخلق، إضافة إلى القرابة من ناحية الأم فهو ابن خالتها هالة، شديدة الصلة ببيت النبوة وتشبه أختها خديجة في حسن التعامل والأخلاق، وقد وافق الرسول ﷺ على زواجه منها، بعد استشارتها. وقد عاش الزوجان حياة سعيدة،<sup>(١)</sup> وكان أبو العاص رجلاً تاجراً يسافر كثيراً في تجارته إلى الشام وغيرها، تاركاً زوجته عند والدته هالة وهي خالتها.<sup>(٢)</sup>

وحينما بُعث الرسول ﷺ كانت زينب من أوائل المؤمنين برسالته والمصدقين به، بكل اقتناع.<sup>(٣)</sup>

وكان أبو العاص في تجارة إلى الشام، فلما عاد عرضت عليه زينب الإسلام كما عرض عليه ذلك الرسول ﷺ، فتردد رغم ثأته على الرسول ﷺ ومعرفته به وبصدقته.<sup>(٤)</sup>

وبعد اشتداد الأذى برسول الله ﷺ في مكة، كانت زينب أقل تعرضاً من غيرها للأذى لوجودها في بيت أبي العاص عند خالتها هالة، وفي هذه الأثناء ولدت زينب طفليها أمامة بنت أبي العاص وعلي بن أبي العاص.<sup>(٥)</sup>

وقد هاجر الرسول ﷺ مع أهل بيته إلى المدينة، وبقيت زينب في مكة.<sup>(٦)</sup> وفي غزوة بدر خرج أبو العاص بن الربيع مع قريش فوقع ضمن أسرى

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٤٦.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٤٦.

(٣) نظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥/٤٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٤٦.

(٤) نظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٣٢.

(٥) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٢٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٤٦.

(٦) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥/٤٦٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣١٢.

المشركين في بدر، وبدأت المفاوضات لفدائهم، فجاء أخوه عمرو بن الربيع لفدائه من مكة، وبعثت معه زينب بقلادة لها أعطتها إياها أمها خديجة عند زواجها، وأرادت من ذلك أن تفدي زوجها بهذه القلادة، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها فقال: ((إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فعلتم؟ قالوا: نعم))،<sup>(١)</sup> أطلق أبو العاص بن الربيع من الأسر مقابل تعهد منه أن يترك زينب لتلحق برسول الله ﷺ في المدينة، فرضي أبو العاص بذلك.<sup>(٢)</sup>

وتم ترتيب هجرة زينب للحاق برسول الله ﷺ في المدينة، وتعاون في ذلك زوجها أبو العاص بن الربيع، مع زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. وقد اعتدى عليها (هبار بن الأسود) من رجال قريش فأسقطوها عن جملها وسقط جنينها،<sup>(٣)</sup> وأصيبت بنزيف اضطرَّها للبقاء بعده في مكة عدة أيام، ثم لحقت برسول الله ﷺ بعد ذلك في المدينة ومعها طفلاها أمامة وعلي.<sup>(٤)</sup>

وقد كانت زينب بعد الهجرة محل عناية خاصة من رسول الله ﷺ، كما كان أولادها يحظون بمداعبة الرسول ﷺ وتعليمه وتربيته،<sup>(٥)</sup> وكان ﷺ يحمل أمامة وهو يصلي، فقد ورد عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ قال: (بيننا نحن في المسجد جلوس إذ خرج علينا رسول الله ﷺ يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي صبية، يحملها على عاتقه فصلى رسول الله ﷺ وهي على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها على

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣١٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٢: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٤٦.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٤٧.

(٤) ورد أن الرسول ﷺ كان يردف علي بن زينب ﷺ يوم الفتح، الذهبي، (سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٤٦).

(٥) انظر: الإمام أحمد، مسنده، ج ٥/٣٠٣.

عاتقه إذا قام، فصلى رسول الله ﷺ وهي على عاتقه حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها).<sup>(١)</sup>

وقد وقع أبو العاص بن الربيع في أسر المسلمين أثناء العودة من تجارة لقريش إلى الشام، قبل صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة،<sup>(٢)</sup> وفي تلك العير أسروا أناساً من رجالها، فأعجزهم أبو العاص هرباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا أقبل أبو العاص من الليل في طلب ماله، حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ﷺ فاستجار بها، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب ﷺ: أيها الناس إنني قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال: فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته أقبل على الناس فقال: ((أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له)).<sup>(٣)</sup>

عن عائشة ﷺ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص وقال لهم: ((إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك فهو فيئ الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به، قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه قال:

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب العمل في الصلاة، ح برقم: ٩١٨، ص ١٦٠؛ والنسائي، السنن، كتاب المساجد، باب إدخال الصبيان المساجد، ج ٢ / ٤٥ - ٤٦؛ وأحمد في مسنده، ج ٥ / ٣٠٣؛ وانظر: فتح الباري، ج ١ / ٤٦٩.

(٢) انظر: الواقدي، المغازي، ج ٢ / ٥٥٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٨ / ٣٤.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨ / ٣٣؛ الواقدي، المغازي، ج ٢ / ٥٥٣.

فردوا عليه ماله، حتى أن الرجل ليأتي بالحبل ويأتي الرجل بالشنة<sup>(١)</sup> والأداة حتى أن أحدهم ليأتي بالشطاط، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً، ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبضع منه، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيّاً كريماً قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وما منعتني من الإسلام عنده إلا تخوفاً أن تظنوا أنني إنما أردت أخذ أموالكم، فلما أداها الله ﷺ إليكم وفرغت منها أسلمت، ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ في محرم من السنة السابعة من الهجرة.<sup>(٢)</sup>

وقد بقيت زينب ﷺ بعد ذلك مع زوجها في المدينة في كنف رسول الله ﷺ. وقد توفيت ابناً علي أثناء ذلك. وبعد سنة من قدوم زوجها إلى المدينة مرضت زينب ﷺ مرضها الذي تسبب فيه هبار بن الأسود ومن معه حين ألقوها من على جملها، وكانت وفاتها في السنة الثامنة من الهجرة. وقالت أم عطية: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال ﷺ: ((غَسَلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُمْ بِمَاءِ سَدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ فَإِذَا فَرَّغْتُمْ فَأَذْنِي))، قالت: فلما فزعنا آذناه فأقى حقوه، فقال: ((أشعرنها إياه))،<sup>(٣)</sup> وكان هذا منه ﷺ تعبيراً عن كبير محبته لها، وشديد حزنه عليها ورحمته بها، وقد دعا لها رسول الله ﷺ.

(١) الشنة: هي القربة المصنوعة من الجلد القديمة الجافة ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم.

(٢) انظر: الواقدى، المغازي، ج ٢/٥٥٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٣٣.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب يجعل الكافور في آخره، ج ٢/٧٤.

وقد توفى زوجها من بعدها بأربع سنوات، وقد أوصى بابنته أمامة للزبير ابن العوام رضي الله عنه،<sup>(١)</sup> وكانت بلغت مبلغ النساء بعد وفاة خالتها فاطمة رضي الله عنها، التي كانت بمثابة الأم لها بعد وفاة زينب رضي الله عنها فتزوجها علي رضي الله عنه،<sup>(٢)</sup> وبقيت في ذمته حتى استشهد، فتزوجها من بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي.<sup>(٣)</sup>

### رقية بنت رسول الله ﷺ:

ولدت بعد أختها زينب فكانت الثانية في الترتيب من بين بنات النبي ﷺ، وكانت ولادتها قبل البعثة بسبع سنوات،<sup>(٤)</sup> وقبل الهجرة بعشرين عاماً وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وقد تربت في بيت رسول الله ﷺ مع بقية أخواتها وخصوصاً زينب التي تكبرها وأم كلثوم التي تصغرها.<sup>(٥)</sup>

وحيثما شبت رقية خطبها أبو لهب عم النبي ﷺ لابنه عتبة، فتزوجها ولم يبق معها طويلاً، حيث بُعث النبي ﷺ فكان من أشد الناس عداءً له ﷺ أبو لهب وامرأته أم جميل، حيث طلبا من ابنهما طلاق رقية بعد أن أغرياه بفراقها، وظنا أن في ذلك إهانة لها وهي المسلمة، وإهانة للنبي ﷺ،<sup>(٦)</sup> بينما كان فراق الزوج الكافر والبيت الكافر المعادي، نعمة من الله وسلامة من الكفر وأهله.

وفي الوقت نفسه كان عثمان بن عفان رضي الله عنه من أوائل المؤمنين برسول الله

(١) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٤٠٠؛ ابن إسحاق، السيرة، ص ٢٢٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣٦.

(٣) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٢٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٤٠٠.

(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٤.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٠٦.

(٦) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨/٢٥١.

المستجيبين لدعوته. وما أن علم بطلاق رقية من عتبة حتى بادر بخطبتها من رسول الله ﷺ، لما أراد الله له من الكرامة وبركة النسب مع رسول الله ﷺ، وقد تزوجها عثمان بن عفان ﷺ، وكانا زوجين شابين وسيمين جميلين مضرب المثل عند أهل مكة جمعهما الإيمان ومحبة الرسول ﷺ. (١)

وحينما اشتد الأذى على الرسول ﷺ والمسلمين معه في مكة، أصاب عثمان وأهل بيته منه نصيبٌ، فخرج مهاجراً برقية إلى الحبشة مع الدفعة الأولى من مهاجري الحبشة، فكانت رقية الوحيدة المهاجرة من بنات رسول الله ﷺ إلى الحبشة. وقال عنها الرسول ﷺ: ((إنهما أول من هاجر إلى الله بعد لوط))، (٢) فكانا محط عناية واهتمام المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة، وكانوا يرون ابنته معهم يصيبها ما أصابهم ويدركون من عناية النجاشي الشيء الكثير بوجود ابنة الرسول ﷺ معهم. (٣)

وقد عادت مع عثمان إلى مكة مع عودة المهاجرين الأولين من الحبشة إلى مكة، بعد أن وصلت أخبار مضللة بإسلام قريش. وحين عادت إلى مكة بعد هجرة سنوات وجدت أمها الحبيبة أم المؤمنين خديجة ﷺ قد توفيت، (٤) فتألمت لذلك وحزنت حزناً شديداً، ثم عادت مرة أخرى مع عثمان للهجرة إلى الحبشة، وكانت مع عثمان تلفت أنظار الصحابة المهاجرين وأهل الحبشة، بطيبتها ونضارتها وحسن خلقها ﷺ، وبذلك كانت ﷺ من أصحاب الهجرتين إلى الحبشة.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٣٦/٨؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣٠٤/٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٣٠٥/٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣٦/٨.

(٣) انظر: الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب.

(٤) انظر: وفاة أم المؤمنين خديجة ﷺ، من هذا الكتاب؛ وانظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية،

وكانت عودة رقية مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة قبيل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بوقت قصير.<sup>(١)</sup> وكانت مع عثمان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، حيث رزقت هناك بابنها عبد الله بن عثمان بن عفان الذي توفيت في سنه الأولى.

وعند خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة بدر كانت رقية رضي الله عنها مريضة، فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من زوجها عثمان أن يبقى إلى جانبها للعناية بها وتمريضها، فبقي عثمان رضي الله عنه معها أثناء مرضها في المدينة.<sup>(٢)</sup>

وتوفيت رضي الله عنها في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبيل عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر، ودفنت في البقيع، وكان عمرها اثنتين وعشرين سنة، وحين عودته صلى الله عليه وسلم من بدر زار قبرها ودعا لها، مما أثار رقة النساء فبكين عليها لما رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهرن عمر رضي الله عنه، فأجاز لهن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وقال: ((إياكنّ ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله الرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان)).<sup>(٣)</sup>

وكانت رقية أولى بنات النبي صلى الله عليه وسلم وفاة بعد خديجة، ولذلك حزنّت عليها بقية أخواتها، وكانت أختها زينب حينها في مكة.

#### أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم:

تأتي في المرتبة الثالثة في السن بين بنات النبي صلى الله عليه وسلم، فهي أصغر من رقية وأكبر من فاطمة رضي الله عنها.<sup>(٤)</sup>

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٠٤.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٦.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٢.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٦١٢.



وأما خديجة بنت خويلد ﷺ، ولدت قبل البعثة بقرابة ثمان سنوات،<sup>(١)</sup> ونشأت في بيت النبوة مع أخواتها، رباها النبي ﷺ وحضنتها ورعتها أمها خديجة ﷺ، أسلمت مع أمها وأخواتها بعد بعثة النبي ﷺ، وكانت صغيرة السن.<sup>(٢)</sup>

وقد خطبها وتزوجها عتيبة بن أبي لهب قبيل بعثة النبي ﷺ ولم يبن بها. فلما بُعث النبي ﷺ، ظهر عداً عتيبة مع أبيه وأمه أم جميل للنبي ﷺ ولدعوته، ولشدة العداً فإن عتيبة طلق أم كلثوم ولم يدخل بها ظناً منه ومن والديه أن ذلك يلحق الأذى بها وبرسول الله ﷺ،<sup>(٣)</sup> ولم يكتف بالطلاق، بل جاء إلى النبي ﷺ وأظهر عناده وعداءه فقال: (كفرنا بك وبدينك، وفارقت ابنتك)، فقال ﷺ: ((أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلباً من كلابه))، فخرج عتيبة في تجارة لقريش إلى الشام، فهجم أحد الأسود على القافلة فأصاب عتيبة فقتله.<sup>(٤)</sup> وقد صبرت أم كلثوم مع أبيها على أذى قريش، وكانت ممن يواسيه ويسانده ويهون عليه، وأصابها ما أصاب أهل بيته ﷺ سنين المقاطعة من الجوع والألم، وحينما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كانت ضمن أهل بيت النبي ﷺ الذين هاجروا كفاطمة وزيد بن حارثة وغيرهم.<sup>(٥)</sup>

وكانت لها مكانة خاصة عند أمهات المؤمنين وبيوت المهاجرين والأنصار، وفي رمضان من السنة الثانية من الهجرة توفيت أختها رقية زوجة

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٥٢.

(٢) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٠٦: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٥٢.

(٣) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥/٦١٢.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٣٧.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٣٨.

عثمان بن عفان رضي الله عنه، فحزن عليها حزناً عظيماً وافتقدها، فزوج رسول الله ﷺ عثمان من أم كلثوم بمثل مهر رقية، وبمثل عشرتها.

روى سعيد بن المسيب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى عثمان بعد وفاة رقية مهموماً لهفان، فقال له: ((ما لي أراك مهموماً؟ قال: يا رسول الله، وهل دخل على أحد ما دخل علي، ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي، وانقطع ظهري وانقطع الصهر بيني وبينك. فبينما هو يحاوره إذ قال النبي ﷺ: يا عثمان، هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله ﷻ أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها)). فزوجه إياها.<sup>(١)</sup>

وقال لها إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد.<sup>(٢)</sup>

وكان زواجهما في ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة، وكانت بكرًا لم يقربها زوجها الأول.<sup>(٣)</sup>

وقد أحب عثمان أم كلثوم وأحبته حباً شديداً، وقامت على رعاية ابنه عبدالله من رقية المتوفاة، حتى توفى عبدالله وعمره ست سنوات بعد ذلك.<sup>(٤)</sup>

ولذلك فإن الأمة ترى علو منزلة عثمان رضي الله عنه؛ لأنه لم يتزوج في الأولين والآخرين ابنتي نبي غيره.<sup>(٥)</sup>

وقد عاشت مع عثمان رضي الله عنه ست سنوات، حتى توفيت في شهر شعبان من

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤/٤٩٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/٣٨٤؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٣/١٠.

(٢) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٦١٣؛ المحب، الطبري، الرياض النضرة، ج٣/١١.

(٣) انظر: المهيني، مجمع الزوائد، ج٩/٢١٧؛ عبد المنعم الهاشمي، أبناء النبي وأحفاده، ص٥٩.

(٤) الصلابي، عثمان بن عفان، ص٤٦.

(٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٠١.

السنة التاسعة من الهجرة.<sup>(١)</sup>

وحينما أرادت النساء تغسيلها وجههن الرسول ﷺ في كيفية غسلها، عن أم عطية قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نغسل ابنته أم كلثوم، فقال: ((اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن فإذا فرغتن فأذنني)) فأذنناه. فنزع من حقوه إزاره. وقال: ((أشعرنها إياه)).<sup>(٢)</sup>

وقد جلس ﷺ عند قبرها أثناء الدفن وعيناه تذرّفان، عن أنس: رأيت النبي ﷺ جالساً على قبرها، يعني أم كلثوم، وعيناه تدمعان فقال: ((فيكم أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا قال: أنزل)).<sup>(٣)</sup> ودفنت في البقيع. وكان ﷺ يقرأ ﴿مِنَّا خَلَقْنَكُمْ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﷻ إله: من الآية ١٥٥. وقد ورد أنه بعد وفاتها قال: ((لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان)).<sup>(٤)</sup> وهكذا نرى تزويج الرسول ﷺ لعثمان من أم كلثوم بعد وفاة أختها رقية بفترة قصيرة، وليس في ذلك عيب، ولا خيانة. ويمكن اعتبار ذلك من السنة والأمور الطبيعية دون حساسية، كما يأخذها أهل هذا الزمان، ولعل في ذلك مصلحة لعبدالله ولد عثمان ابن رقية، حيث قامت عليه خالته أم كلثوم، كما أن هذا وفاءً من رسول الله ﷺ لعثمان وحرصاً من عثمان على استمرار مصاهرة الرسول ﷺ ونيل الشرف بذلك.

### فاطمة بنت النبي ﷺ:

هي أم الحسن بن علي ﷺ، أصغر بنات النبي ﷺ ولدتها خديجة ﷺ قبل

(١) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥/٦١٢: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٥٢: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٧٤.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب هل تكفن المرأة في إزار الرجل، ج ٢/٧٤.

(٣) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة، ج ٢/٩٣.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٥٦.

البعثة بقراءة خمس سنوات.<sup>(١)</sup>

أكثر بنات النبي ﷺ ذكراً؛ لأنها أم الحسن والحسين ﷺ، وهما الوحيدان من أبناء وأسباط النبي ﷺ الذين بقيا من بعده وتنازلوا. كما أنها الوحيدة الباقية من بنات النبي ﷺ بعد وفاته،<sup>(٢)</sup> وقد كانت حياتها من بعده قصيرة، إلا أنه لم يبق غيرها، وإلا فكل بنات النبي ﷺ مؤمنات محبوبات، لهن مكاتهن عند المسلمين في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته.

ولذلك غلبت أخبار فاطمة والحديث عنها على بقية بنات النبي ﷺ، (تكنى بنت أبيها) وعُرفت بالزهراء لصدقها وإيمانها ﷺ.<sup>(٣)</sup>

تربت على يد أمها خديجة في بيت المصطفى ﷺ بمكة، فكانت عفيفة طاهرة طيبة صدوقة بارة، كانت ﷺ من أوائل من شهد بعثة النبي ﷺ، وأسلمت وبايعت النبي ﷺ رغم صغر سنها.

ولصغر سنها كانت تتابع النبي ﷺ في مكة، حال انتقاله من مكان إلى آخر، تخشى عليه وتسارع لمساعدته حين تعرّضه للأذى، ولذلك كانت هي المبادرة لرفع الأذى عن رأسه ﷺ، حينما ألقى عقبة بن أبي معيط سلى جزور على الرسول ﷺ، فأزاحته من على رأسه الطاهر وسبّتهم.<sup>(٤)</sup>

وقد شهدت حصار الشعب للمسلمين فنالها ما نال المسلمين من الجوع

(١) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨/١٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٧٧؛ وانظر: تقديم ابن سعد لها في ترجمته لبنات النبي في الطبقات، ج٨/١٩.

(٤) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١١٠؛

وانظر: أذى المشركين للرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

والأذى، وكانت ﷺ ممن ناداهم الرسول ﷺ بأسمائهم، حينما جهر بالدعوة في قوله: ((يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً))،<sup>(١)</sup> مع أن عمرها كان صغيراً قارب ثماني سنوات في تلك الفترة.

وكانت تزيل الأذى من أمام بيت النبي ﷺ، حيث كانت أم جميل امرأة أبي لهب تلقي بالأذى أمام بيت الرسول ﷺ، فكانت فاطمة تبعده.

استمرت تخدم رسول الله ﷺ، وخصوصاً بعد وفاة خديجة وزواج أخواتها، وقد هاجرت إلى المدينة المنورة برفقة أختها أم كلثوم وأم المؤمنين سودة بنت زمعة وأم أيمن حاضنة الرسول ﷺ، زوجة زيد بن حارثة.<sup>(٢)</sup>

وفي المدينة بلغت ﷺ سن الزواج، وفي الوقت نفسه تزوج ﷺ عائشة ﷺ مع وجود أم المؤمنين سودة، فكانت فاطمة ﷺ محط أنظار الخطّاب وآمالهم، حيث بلغت وخضت مهمتها في خدمة النبي ﷺ، وكانت سنّها تؤهلها للزواج، فتقدم لخطبتها عدد من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، فكان ﷺ يردّهم بلطف وأدب، فبادر بعض الأنصار إلى علي ﷺ وشجعه على خطبتها من النبي ﷺ وكان حياً ﷺ.

فذهب إلى رسول الله ﷺ خاطباً، وقف عليٌّ صامتاً من الحياء عند النبي ﷺ، فعرف النبي حياءه ورغبته، فبادر بسؤال علي ﷺ، ما حاجة ابن أبي طالب؟ فقال: علي ﷺ: ذَكَرْتُ فاطمةَ بنتَ رسولِ الله ﷺ، فقال ﷺ مرحباً وأهلاً.

فعرّف علي ﷺ موافقة النبي ﷺ على زواجه فاطمة وترحيبه ورغبته في

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة، ص ١٢٨.

(٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، ص ٤٩؛ وانظر: رواية الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ج ١/١٣٣.

ذلك،<sup>(١)</sup> وبعد أيام أتمَّ عليُّ الخطبة، وقدم مهراً لفاطمة درعاً أهداها الرسول ﷺ له في غزوة بدر.<sup>(٢)</sup>

وكان زواج عليٍّ من فاطمة ﷺ في السنة الثانية من الهجرة في شهر ذي القعدة، وكان بناؤه بها في السنة الثالثة من الهجرة قبيل غزوة أحد.<sup>(٣)</sup>

وقبل بناء علي بها دعا لهما النبي ﷺ: ((اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما))، وقيل إنه دعا بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما ودعا لهما.<sup>(٤)</sup>

وقد سكن علي وفاطمة في غرفة مجاورة لحجرات النبي ﷺ،<sup>(٥)</sup> فكان يدخل عليهما ويدخلان عليه ويأنس بهما وبأولادهما بعد ذلك، وكانت حياتهما حياة زهد وكد، فما كانت حياة ترف ولا نعومة، يقول علي ﷺ تزوجت فاطمة وما لي ولها غير جلد كبش تنام عليه بالليل ونجلس عليه بالنهار.<sup>(٦)</sup>

وقد أعطاهما الرسول ﷺ خميلة ووسادة آدم (جلد) حشوها ليف وإهاب شاة<sup>(٧)</sup> ورحائين وسقاء وجرتين، فكانت تطحن بالرحى حتى أثر في يدها، وتجلب الماء بالقربية وتنظف البيت وتخدم زوجها علياً ﷺ.

(١) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠؛ وانظر: عنوان زواج عليٍّ فاطمة ﷺ من هذا الكتاب.

(٢) ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠.

(٣) انظر: زواج علي فاطمة ﷺ، من هذا الكتاب.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣٧٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢١.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٠.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٣.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٣، ٢٤.

ولما علم علي - كرم الله وجهه - أن النبي ﷺ قد جاءه سببٌ قال لفاطمة: لو أتيت أباك فسألته خادمًا، فأنته فقال النبي ﷺ: ما جاء بك يا بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيتُ أن تسأله فرجعت، فأتاها رسول الله ﷺ من الغد وسألها، ما كانت حاجتك؟ فسكتت، فقال علي: والله يا رسول الله لقد سنوتُ حتى اشتكيت صدري، وهذه فاطمة قد طحنت حتى مجلت يداها، وقد أتاك الله بسببٍ فأخدمنا؟ فقال الرسول ﷺ: ((لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا إلى منزلهما، فأتاها رسول الله ﷺ ليخفف عنهما عناءهما، وقال لهما برفق وحنان: ألا أخبركما بخير مما سألتما؟ قالوا: بلى، فقال: كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان الله دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران أربعاً وثلاثين)).<sup>(١)</sup>

كما كان ﷺ يوجههما باستمرار إلى الزهد والتصدق وعدم الحرص على الحلي لتتبعوا بذلك السيادة على نساء العالمين ﷺ، وليكون لها أسوة حسنة في رسول الله ﷺ في الزهد بالدنيا ومظاهرها.<sup>(٢)</sup>

وعن ابن عباس ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ على علي وفاطمة وهما يضحكان، فلما رأيا النبي ﷺ سكتا، فقال لهما النبي ﷺ: ((ما لكما كنتما تضحكان، فلما رأيتما سكتما، فبادرت فاطمة فقالت: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ قال هذا: أنا أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فقلت: بل أنا أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: يا بنية لك رقة

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٥.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٦.

الولد وعليُّ أعزُّ عليٍّ منك)).<sup>(١)</sup>

وفي السنة الثالثة من الهجرة رزقت بابنها الأول الحسن بن علي عليه السلام، وكان أشبه الناس خلقاً برسول الله، فحنكه بنفسه وسماه الحسن، وفرح به عليه السلام فرحاً عظيماً، حيث أدخل السرور على قلبه وعلى قلب علي وفاطمة عليهما السلام.<sup>(٢)</sup>

وبعد عام تقريباً أي في السنة الرابعة من الهجرة في شهر شعبان، رزقت فاطمة بالحسين بن علي عليه السلام.<sup>(٣)</sup>

وأحب رسول الله سبطيه، ورقّ لهما وأكثر من الدعاء، وقال فيهما: ((اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)).<sup>(٤)</sup>

وقد شاركت فاطمة عليها السلام مع نساء المؤمنين في غزوة أحد في جلب الماء ومداواة الجرحى، وهي التي داوت جرح رسول الله عليه السلام فأحرقت حصيراً ووضعت من رماده على جرح النبي عليه السلام حتى توقف النزيف، وقد غسلت سيف النبي عليه السلام يوم أحد، كما غسلت سيف علي بن أبي طالب عليه السلام كذلك.<sup>(٥)</sup>

وفي السنة الخامسة من الهجرة رزقت بنت أسمتها زينب كاسم أختها التي توفيت قبل فترة قصيرة، وبعد ما يزيد على عامين رزقت بطفلة أخرى أسمتها أم كلثوم كاسم أختها التي توفيت قبل ذلك، وأم كلثوم هذه هي التي تزوجها عمر بن الخطاب عليه السلام أثناء خلافته ورزق منها بولد.<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٦.

(٢) الزبيرى، نسب قريش، ج ١/٢٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٢٤٦.

(٣) انظر: الزبيرى، نسب قريش، ج ١/٢٣.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٥١.

(٥) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٥؛ وانظر: غزوة أحد، من هذا الكتاب.

(٦) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٢، ٢٣٥.



وفي أواخر السنة التاسعة من الهجرة لم يكن قد بقي من بنات النبي ﷺ سوى فاطمة ؓ، حيث توفيت أختها التي تكبرها "أم كلثوم - ؓ"، وهي زوجة عثمان بن عفان ؓ، ولذلك كانت الوحيدة الباقية من بنات النبي ﷺ في السنتين الأخيرتين من حياته.

لذا كانت فاطمة ؓ، الوحيدة من بناته التي شهدت مرضه ووفاته، وكان يأنس بها أثناء مرضه تحدثه ويحدثها، ومن ذلك ما ورد عند البخاري برواية عائشة ؓ، ((أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فسألته عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، حتى قبضَ النبي ﷺ فسألته. فقالت: أسرَّ إليَّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فبكيت. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك)).<sup>(١)</sup>

ومن المواقف الخاصة بفاطمة أنه لما ثقل النبي ﷺ، جعل يتغشاه، فقالت فاطمة ؓ: (وا كَرَبَ أباه، فقال ﷺ: "ليس على أبيك كَرَبٌ بعد اليوم". فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه إلى جبريل نعاها. فلما دفن قالت فاطمة ؓ: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، علامات النبوة في الإسلام، ج٤/١٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي - عليها الصلاة والسلام، ج٧/١٤٢ - ١٤٣؛ والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، ج٥/٧٠٠، ح برقم: ٣٨٧٢؛ وانظر وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

(١) التراب).

وقد تكلم الكثيرون من أعداء الصديق عن خلاف بين فاطمة وبين أبي بكر رضي الله عنه، وزعموا أن ذلك الخلاف مرده إلى حرص فاطمة على الأموال، وخصوصاً النخيل التي تركها الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته صدقةً.

وحاشا لله أن تكون فاطمة الزكية الطاهرة العفيفة الزاهدة كما زعموا، ما كانت فاطمة من أهل الدنيا ولا تهتم بها أو تجعلها أكبرهما كما صور هؤلاء، وهي التي أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بقرب رحيلها، وأنها أول من يلحق به بعد موته، فحاشا لله أن تكون فاطمة سيدة نساء العالمين مهمومة بالمال أو الإرث والمزارع كما يصورها هؤلاء. فكيف يُنسب لها هذا مع علمها بقرب موتها صلى الله عليه وسلم، وقد ورد عن عروة بن الزبير عن عائشة: أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم تطلب صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بالمدينة وقدك وما بقي من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ("لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال")<sup>(٢)</sup> يعني مال الله ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإنني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي صلى الله عليه وسلم، ولأعملن بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، فإنني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فتشهد عليّ ثم قال: إنا عرفناك يا أبا بكر فقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج ١٤٤/٥؛ وانظر: وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، من هذا الكتاب.

(٢) من رواية البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ج ٢٥/٥؛ وانظر: تفصيلات أكثر عند: الصلابي، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص ١٥٤؛ وقارن بابن شبة، في تاريخ المدينة، ج ١٩٦/١.

أحب إليَّ أن أصِلَّ من قرابتي وأوسع منه).<sup>(١)</sup>

وقد طبابت نفس فاطمة حينما سمعت قول الصديق وما أشار إليه من قوله ﷺ: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)).<sup>(٢)</sup> ومن الثابت وجود ورثة آخرين، منهم العباس عم النبي ﷺ، وهو الذي يعصبه، ومنهم بقية زوجات النبي ﷺ، الذين لم نسمع أن أحداً منهن طالب بميراث مادي، والرسول ﷺ لم يترك مالا بل ترك ديناً، وأما فدك وخيبر فهي صدقة كما أشار أبو بكر ﷺ.

وفاطمة أكبر وأعظم من أن يكون همها ميراث مال دنيوي، وقد علمت أنها لن تبقى بعد الرسول ﷺ سوى بضعة أشهر فتلك تهمة باطلة فاطمة - رضي الله عنها وأرضاها - منها بريئة.

وقد ذكر في روايات أخرى أن أبا بكر ومن بعده عمر طلبا من علي تسلم تلك النخيل في فدك وخيبر، على أن يعمل بها كما يعمل رسول الله ﷺ في الصدقة منها، فرفض علي تسلمها لا احتجاجاً عليهما، ولكن اقتناعاً بما كان الخليفان يقومان فيها وعملهما في تصريفها.<sup>(٣)</sup>

وقد ورد عند البخاري: "فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس، فأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر".<sup>(٤)</sup>

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه (مناقب فاطمة ﷺ) وقال النبي

(١) من رواية البيهقي، في السنن الكبرى، ج ٦/٣٠٠؛ وفي دلائل النبوة، ح برقم: ٣٢٧٦؛ انظر:

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/١٢١؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ج ٥/٢٥.

(٣) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٢٠٤، ٢٠٧.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب فرض الخمس - قصة فدك،

ج ٤/٤٢؛ وانظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٢٠٤ و ٢٠٧، الخمس.

ﷺ: نساء أهل الجنة).<sup>(١)</sup>

وقد أورد البخاري عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: ((فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)).<sup>(٢)</sup>

وقد اهتمت كتب الحديث والتراجم المختلفة بذكر فضائل فاطمة ﷺ،<sup>(٣)</sup> ورواية ما يتعلق بحياتها والترجمة لها، كما اهتمت بغيرها من بنات النبي ﷺ اللاتي جمع بينهن بُنوتهن للرسول ﷺ، وإسلامهن وصدقهن وتصديقهن ودفاعهن عن الرسول ﷺ.<sup>(٤)</sup>

وقد وردت عدة أحاديث في فضل فاطمة ﷺ، كثيرٌ منها برواية أم المؤمنين عائشة ﷺ، مما يدل على تقدير عائشة لفاطمة ﷺ ومعرفتها بفضلها والصدق في رواية ما جاء في فضل فاطمة وحسن العلاقة بين فاطمة ﷺ بنت الرسول ﷺ وبين عائشة زوجة أبيها أم المؤمنين زوجة المصطفى بنت أبي بكر الصديق ﷺ.

من ذلك ما روته عائشة ﷺ قالت: ((أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه.. (الحديث)).<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب (٢٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٦٧.

(٣) انظر: ترجمتها عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/١١٨؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٨/١٩؛ وابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣٨٨.

(٤) ألف في بنات النبي ﷺ عدد من الكتب منها: عائشة عبدالرحمن، بنت الشاطئ، بنات النبي؛ ومحمد راتب النابلسي، سيرة بنات النبي؛ وغيرها كثير.

(٥) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤/١٨٣؛

وانظر: وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

وعن عائشة ؓ قالت: ((ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها قالت: وكان بينهما شيء فقالت: يا رسول الله ﷺ سلها فإنها لا تكذب)).<sup>(١)</sup>

وقد نقلت لنا أم المؤمنين عائشة ؓ، موقفاً يبين مكانة فاطمة ؓ من رسول الله ﷺ وما خصها به من علم لم يُعطه أحد آخر، فقد روى البخاري - كما مر سابقاً - عن عائشة بنت أبي بكر ؓ، قالت: ((دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته يتبعه، فضحكت)).<sup>(٢)</sup>

وقد مرضت ﷺ في الأيام الأخيرة من عمرها، وكان علي ؓ حريصاً على خدمتها، روى ابن سعد في الطبقات: "جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن فقال علي: هذا أبو بكر على الباب، فإن شئت أن تأذني له. قالت وذلك أحب إليك. قال: نعم، فدخل عليها واعتذر إليها، وكلمها فرضيت عنه".<sup>(٣)</sup>

ولما أحست بدنو أجلها أوصت علياً ؓ بعدة وصايا منها أن تحمل في نعشٍ وصفته له يكون عليه شيء من الجريد يطرح عليه الثياب،<sup>(٤)</sup> حتى لا يرى الناس جسدها ووصفها من شدة حياؤها وعفافها ؓ، ومن ذلك أن يغسلها

(١) رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى؛ انظر: الهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٢٠١/٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٣٨/٥؛ وانظر: وفاة الرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٢٧/٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢١/٢.

(٤) انظر: ابن سعد الطبقات، ج ٢٨/٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢٨/٢.

علي، وأسماء بنت عميس،<sup>(١)</sup> وكانت زوجة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولعلها أشارت أن يتزوج علي رضي الله عنه بأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وهي بنت أختها زينب رضي الله عنها،<sup>(٢)</sup> خالتها فاطمة ربتها بعد وفاة أمها، تعرف طباعها وتقواها وصلاحتها، وتريد أن تكون كالأم للحسن والحسين رضي الله عنهما بعد وفاتها، وهما في مرحلة الصبا في السابعة والثامنة من العمر.

كما أوصت أن يكون دفنها بالبقيع بعد وفاتها مباشرة، وماتت ودفنت ليلاً بجوار أخواتها بنات النبي رضي الله عنه ليكون الدفن ليلاً أكثر سترًا لها.

وقد توفيت رضي الله عنها في شهر رمضان من السنة الحادية عشر من الهجرة،<sup>(٣)</sup> بعد النبي رضي الله عنه ببضعة أشهر، ومن الثابت صلاة أبي بكر رضي الله عنه عليها،<sup>(٤)</sup> فلعله صلى على قبرها أو أنه شهد دفنها ليلاً، خصوصاً أنه من الثابت أن أسماء بنت عميس زوجة الصديق هي من جهزها للدفن بعد موتها - رضي الله عنهم أجمعين.

وصلى عليها علي رضي الله عنه ونزل في قبرها،<sup>(٥)</sup> فكانت آخر من مات من بنات الرسول رضي الله عنه وأبنائه، فحزنت الأمة كلها على فراقها وكان عمرها حين وفاتها تسعاً وعشرين سنة. كانت بنات النبي رضي الله عنه جميعاً مؤمنات صادقات، نقيات ورعات. وهذا من رحمة الله بنبيه رضي الله عنه، كما كان أصهاره منهن شرفاء من أطيب رجال زمانهم رضي الله عنهم، وإن تأخر إسلام أبي العاص بن الربيع

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٨.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٣٦.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٢/٢٩.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٢٩.

قليلاً، كما شهد مع رسول الله ﷺ ما أصابه من أذى، ودافع عن عنه،  
وكانت عنايته خاصة بهن، وقد تألم ﷺ لفقد ثلاث منهن في حياته.

\* \* \* \* \*

## (أصهار النبي ﷺ وأقاربه)

علي بن أبي طالب ﷺ: (١)

ولد قبل الهجرة بحوالي ٢٣ سنة، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، عاش في كنف وبيت رسول الله، وأول من آمن به من الصبيان، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، ووالد الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة، أمه فاطمة بنت أسد. (٢)

وصلّى مبكراً مع النبي ﷺ ومع خديجة ﷺ وآل بيت النبي ﷺ، مكث في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة ليحمي الرسول ﷺ بنفسه، ثم أدى الأمانات عن النبي ﷺ ولحق به مهاجراً في المدينة. (٣)

زوَّجه الرسول ﷺ من أصغر بناته فاطمة ﷺ في السنة الثانية من الهجرة، وسكن داراً مجاورة للنبي ﷺ، فكان ﷺ يأنس بزيارة فاطمة وعلي ﷺ والجلوس إليهما وتبادل الحديث معهما. (٤)

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﷺ، ج٩/٣٧؛ وقد أجمعت الأمة وخصوصاً أهل السنة على محبة علي ﷺ وألقت الكتب في مناقبه، ومن ذلك:

- أبو الحسن الندوي، المرتضي سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
- محمد علي الحاجي، علي بن أبي طالب.
- محمد علي الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسأشير إليه بكتاب علي بن أبي طالب.
- كما نال نصيبه من الترجمة والتاريخ في كتب التراجم للصحابة والخلفاء والأعلام، وكذلك عند المحدثين، ومن كتبوا عن آل البيت.

(٢) انظر: الزبيري، نسب قري، ص ٤٠.

(٣) انظر: الهجرة النبوية، من هذا الكتاب.

(٤) انظر: زواج علي فاطمة ﷺ من هذا الكتاب.



"دخل عليّ على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك، قالت: في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلّص التراب إلى ظهره، فجعل ﷺ يمسح التراب عن ظهره فقال له: "اجلس يا أبا تراب".<sup>(١)</sup> ولذلك كان عليٌّ ﷺ يُحبُّ هذه التسمية.

كان شجاعاً مقداماً، قاتل مع الرسول ﷺ في بدر، وكان من المبارزين من آل البيت،<sup>(٢)</sup> وفي أحد صمد مع النبي ﷺ،<sup>(٣)</sup> وفي الخندق تصدى لعمر بن عبد ودّ، وقتله حينما حاول اقتحام الخندق،<sup>(٤)</sup> وفي غزوة بني قريظة حمل راية الرسول ﷺ وبدأ حصارهم. وهو كاتب لرسول ﷺ، كتب صلح الحديبية بين الرسول ﷺ ومشركي مكة، وكان ممن بايع بيعة الرضوان في تلك الغزوة.<sup>(٥)</sup>

وفي غزوة خيبر بعد أن استعصى الفتح على رسول الله ﷺ ومن معه، قال ﷺ: ((لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله))،<sup>(٦)</sup> فتناول لها الناس كل يريدها، فأعطاه ﷺ لعلي ففتح الله على يديه، وقتل مرحباً اليهودي قائد يهود خيبر. ولا تكاد تجد غزوة من غزوات الرسول ﷺ إلا ولعلي فيها بطولة ومواقف وشجاعة لا يدانيها أحد. وحينما استخلفه الرسول ﷺ في أهل بيته عند غزوة تبوك، حزن في نفسه

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، ج ٤/٢٠٨.

(٢) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: غزوة أحد، من هذا الكتاب.

(٤) انظر: غزوة الخندق، من هذا الكتاب.

(٥) انظر: صلح الحديبية، من هذا الكتاب.

(٦) انظر: غزوة الخندق، من هذا الكتاب.

وهو الشجاع المقدام، وحاول المنافقون استغلال الموقف للنيل منه، فحظي بشهادة النبي ﷺ حيث قال له: ((ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيُّ بعدي)).<sup>(١)</sup>

حمل آيات سورة التوبة (براءة) ليقراها على الحجاج في مكة، في السنة التاسعة من الهجرة، فتلاها وفيها منع المشركين من الحج بعد هذا العام: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٨] [التوبة]. وكان أمير الحج أبو بكر الصديق والمبلغ علي ﷺ وتعاوننا في هذا الأمر.<sup>(٢)</sup>

توفي الرسول ﷺ وعمرُ علي ثلاث وثلاثون سنة، وهو الذي غسل رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره عند تغسيله، وشاركه في الغسل عمه العباس وبعض بنيهِ.<sup>(٣)</sup>

وفي خلافة أبي بكر ﷺ بايع عليُّ ﷺ أبا بكر عن طيب نفس، وكان نعم الوزير له والمستشار،<sup>(٤)</sup> وقد شاركه في حروب المرتدين منذ أول معركة في غزوة ذي القصة،<sup>(٥)</sup> شارك في إدارة الدولة الإسلامية طيلة خلافة أبي بكر.

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ج ١٢٩/٥.

(٢) انظر: حج أبي بكر بالناس، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

(٤) أُلّف كتاب في مشاركات علي ﷺ للراشدين ومساعدته لهم بعنوان: "علي بن أبي طالب ﷺ"، مستشار أمين للخلفاء الراشدين"، للدكتور محمد عمر الحاجي.

(٥) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخه، ج ٢٢٣/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣١٤/٦.

وفي خلافة عمر ﷺ كان من أوائل المبايعين عمرَ، وساهم معه في إدارة الدولة، وكان عمر يستخلفه على المدينة حين يسافر.<sup>(١)</sup>

وقد زوج علي ﷺ ابنته أم كلثوم شقيقة الحسن والحسين ﷺ، ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ من عمر بن الخطاب ﷺ.<sup>(٢)</sup>

جعل عمر ضمن الستة المرشحين للخلافة من بعده ﷺ الذين توي في رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ليختار المسلمون أحدهم خليفة لعمر.<sup>(٣)</sup>

وفي خلافة عثمان كان نعم المستشار والقاضي لعثمان ﷺ، وهو صهره السابق (عديله) كما يقال، كانا متزوجين من بنات الرسول ﷺ،<sup>(٤)</sup> وحينما حوصر عثمان في الدار قبل استشهاده أرسل ولديه الحسن والحسين ﷺ ليدافعا عنه، فحملا سيفيهما ودافعا عن عثمان ﷺ، حتى أقسم عثمان ﷺ عليهما وعلى غيرهما بالانصراف.<sup>(٥)</sup>

تولى الخلافة بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ في ٢٥ ذي الحجة سنة ٣٥هـ، حيث بايعه الصحابة في المدينة فانعقدت خلافته،<sup>(٦)</sup> فكان ورعاً تقياً زاهداً عادلاً حكيماً.<sup>(٧)</sup>

(١) انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج٤/١٩٢، ج٤/٣٢٧؛ الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ١٧٣.

(٢) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، ج٤/٢٠٧؛ ابن شيبه، المغازي، ص ٤٣٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣/٣٣٧.

(٤) انظر: ترجمة رقية بنت النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

(٥) انظر: خليفة بن خياط؛ تاريخه، ص ١٢٩.

(٦) انظر: الطبري، تاريخه، حوادث سنة ٣٥هـ، ج٥/١٥٢.

(٧) انظر: زهده وورعه عند: الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٢٤٥.

وكانت الأمة تمر بفترة فتنة بعد استشهاد عثمان. وقد حاول علي عليه السلام جاهداً توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم فلم يستطع، حيث أرهقه أصحاب الفتن. خاض معركة الجمل بغير إرادة منه،<sup>(١)</sup> نازعه معاوية وخاض ضده موقعة صفين، وكان الحق مع علي في رأي أهل السنة.<sup>(٢)</sup> وقد بغى عليه أهل الشام، ولم يُكفروا بذلك وصدق فيه وفيهم قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجرات].

نعم كانوا إخوة بنص القرآن، والحق مع علي عليه السلام، ودليل ذلك كون عمار بن ياسر رضي الله عنه قُتل مع علي عليه السلام.<sup>(٣)</sup> وقد قال عليه السلام: ((تقتلك الفئة الباغية))،<sup>(٤)</sup> والفئة الباغية قتلته، وهي ليست كافرة إنما مؤمنة باغية،<sup>(٥)</sup> ووصفتها الآيات القرآنية التي كأنما أنزلت فيهم، وهي تخصهم ومن شابه حالاتهم.<sup>(٦)</sup> وقد زاد الأمر سوءاً خروج الخوارج الحرورية على علي في موقعة النهروان، وكان عليه السلام حريصاً على حقن الدماء، حيث أرسل ابن عمه

(١) انظر: الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٥٠٢؛ وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٥٠/٧.

(٢) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج ١/٥٣٧ و ٥٣٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/١٤٠، ١٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥/٢٦٧.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٦/٢١.

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بغير الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج ٨/١٨٦؛ والإمام أحمد في مسنده، ج ٦/٢٨٩.

(٥) انظر: الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٤٤٧.

(٦) انظر: ابن كثير، التفسير، ج ٢/١٧٤٦.

عبدالله بن عباس ؓ، وكان من أمرائه لمناظرتهم، وإتاحة باب التوبة والرجوع لمن شاء منهم، ثم قاتل من أصرَّ على الخروج والقتال في معركة النهروان المشهورة.<sup>(١)</sup>

كان مجتهداً في خلافته عفيفاً نزيهاً يوئى الأختيار الأكفاء لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان المجتمع قد تغير، والفتنة دخلته، مما أتعب أمير المؤمنين علياً ؓ وأرهقه وهو المخلص الذي لا يعرف إلا الحق والصدق، حتى ملَّ ؓ من الناس وسوء تصرفاتهم.

كان مجاهداً عاملاً طول حياته، استشهد ؓ في مسجد الكوفة على يد المجرم عبدالرحمن بن ملجم المرادي الذي ضربه بالسيف على رأسه، فحظي أمير المؤمنين بالشهادة في الحادي والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ،<sup>(٢)</sup> وباء المجرم بالخسران، وصدق في القاتل قول المصطفى ﷺ: ((ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين، عاقر الناقة والذي يضربك على هذا، ووضع يده على قرن رأسه، فيخضب هذه ووضع يده على لحيته)). وفي رواية ((أشقى الأولين عاقر ناقة صالح، وأشقى الآخرين قاتلك)). وفي رواية ((قال يوماً لعلي: من أشقى الأولين؟ فقال: الذي عقر الناقة يا رسول الله، قال: فمن أشقى الآخرين؟ فقال علي: لا علم لي يا رسول الله، فقال: هو الذي يضربك على هذه، وأشار إلى يافوخه)).<sup>(٣)</sup>

وقد دُفِنَ عليُّ ؓ في مكان مجهول في نواحي الكوفة،<sup>(٤)</sup> حرصاً منه

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج٦/٤١ - ٤٣؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٩٧.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٠؛ الطبري، تاريخه، ج٦/٨٥.

(٣) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٣٢٤.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥/١٧٨؛ الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٩٠٣.

ﷺ على عدم عبادة قبره وتقديسه واتخاذ مسجداً ، وهو ممن عرف قول رسول الله ﷺ : ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))،<sup>(١)</sup> فكان علي ﷺ يعادي الشرك ويبغضه ، ولا يرضى أن يفعل عند قبره المزعوم الشرك الأكبر باسم محبته ، فمن أحبه فليفعل ما يحب علي ﷺ ، وهو التوحيد والإخلاص لله كما كان علي ﷺ يفعل حيث لم يسجد لصنم ولا قبر ولا غيره ﷺ ، وليكره ما يكرهه علي ﷺ ، وهو الشرك ودعاء غير الله وطلب الغوث منه ، ووصفه والعياذ بالله بما اتصف به الله. فاللهم إنه بريء مما يصنع عند ذلك القبر المزعوم الذي لم يكتشف إلا في عصر بني بويه بعد ثلاثمائة سنة من استشهاده،<sup>(٢)</sup> وحتى لو صح قبره ﷺ لما صح ما يفعل به وبناء المسجد عليه ، فاللهم اجعلنا من أوليائه يا كريم وممّن ينطبق عليه قول الرسول ﷺ : ((اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)).<sup>(٣)</sup> جعلنا الله من أوليائه وأبعدنا عن أعدائه وهم المشركون ، سواء من عبّد علياً أم عبّد حجراً ، فالشرك ملة واحدة ، لا صلة لعلي ﷺ بهم. وقد غضب الله على النصارى حيث عبدوا عيسى ، فالشرك ظلم عظيم.

#### الحسن والحسين ﷺ:<sup>(٤)</sup>

كانت بشرى رسول الله ﷺ بمولد الحسن ثم الحسين عظيمة ، وكان

(١) من رواية البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج ٥ / ١٣٩ .

(٢) انظر: حديث غدير خم ، من هذا الكتاب .

(٣) انظر: ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٧ / ٣٣٥ .

(٤) أحببت الأمة الحسن والحسين وألّف أهل السنة فيهما العديد من الكتب منها:

- محمد الصلابي ، أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب .
- فيحان كردي ، الحسن بن علي ودوره السياسي .
- محمد رضا ، الحسن والحسين سيّد أهل الجنة .
- عثمان الخميس ، أحاديث بشأن السبطين .

يحملهما ويداعبهما، وشبَّههُمَا بالنبي واضح منذ صغرهما، وقد تمتعا ﷺ بمكانة كبيرة عند جدتهما رسول ﷺ، وهناك الكثير من الأحاديث التي تبين مكانتهما عنده ﷺ.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)).<sup>(١)</sup>

فغن يعلى بن مُرة ﷺ قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في عنقه فضمه إلى بطنه وقبل هذا ثم قبل هذا، ثم قال: ((إني أحبهما، فأحبوهما. أيها الناس! الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبُونَةٌ)).<sup>(٢)</sup>

وقال ﷺ: ((الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة)).<sup>(٣)</sup>

روى أبو هريرة ﷺ قال: دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ، فرآه يقبل إما حسناً وإما حسيناً فقال: تقبله؟ ولي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم! فقال رسول الله ﷺ: ((إنه من لا يرحم لا يُرحم)).<sup>(٤)</sup>

عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: كان النبي ﷺ حاملاً الحسن بن علي ﷺ على عاتقه، فقال رجل: نَعَمْ المركب ركبت يا غلام، فقال النبي

(١) انظر: سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب ﷺ، ح برقم: ١٤٣، ج ١/٥١، واللفظ له؛ وراه أحمد في مسنده، ج ٢/٢٨٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٤/١٧٢: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٥٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج ٣/٣؛ والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، ج ٥/٦٥٦، ح برقم: ٣٧٦٨: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٥١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج ٧/٧٧.

ﷺ: ((نعمَ الراكبُ هو)).<sup>(١)</sup>

وعن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ، فإذا هو على أربع والحسن والحسين ﷺ على ظهره يحبو بهما في البيت، وهو يقول: ((نعم الجمَلُ جمَلُكُما، ونعم العُدْلانُ أنتما)).<sup>(٢)</sup>

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين ﷺ على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته.<sup>(٣)</sup>

وقد ورد أنه بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ أقبل الحسن والحسين ﷺ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، إذ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فرفعهما إليه وقال: ((صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن]، نظرت إلى هذين الصبيين يمضيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما)).<sup>(٤)</sup>

وعن أبي هريرة ﷺ قال: خرجت مع النبي ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: ((أَنْتُمْ لُكَعٌ أَنْتُمْ لُكَعٌ))،<sup>(٥)</sup> فحبسته فظننا أنها تلبسه سخاباً أو تغسله، فجاء يشدد حتى عانقه وقبله فقال: ((اللهم أحبيه وأحب من

(١) الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي، ص ٦٣، وضعفه.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٥٦/٣.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٥٦/٣.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٥٦/٣.

(٥) لكع: بمعنى الصغير ومراده الحسن.



يحبه)).<sup>(١)</sup>

وكان ﷺ يعوذ الحسن والحسين بقوله: ((إنَّ أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة)).<sup>(٢)</sup>

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: لقد قُدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ، هذا قُدَّامه، وهذا خلفه.<sup>(٣)</sup> كانت لهما مكانة خاصة عند الراشدين لمكانهما من رسول الله ﷺ.<sup>(٤)</sup>

كانا يتابعان أمهات المؤمنين، ويتفقدان أحوال من بقي منهن، وخصوصاً بعد استشهاد أمير المؤمنين علي ﷺ واستقرار الحسن والحسين في المدينة، كما نقلنا عن أحاديث رسول الله ﷺ.<sup>(٥)</sup>

### الحسن بن علي ﷺ:

ابن سيدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أول أولادها وأولاد علي بن أبي طالب ﷺ، به كانت تُكنى أم الحسن، وبذلك كان يكنى علي ﷺ،

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، ج ٣/٢٠؛ ورواه مسلم في

صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٧/١٣٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (١٠)، ج ٤/١١٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٧/١٣٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/١٥٠.

(٥) انظر: رواية علي بن الحسين عن حفصة أم المؤمنين ﷺ عند البخاري في صحيحه، ج ٤/٦٣.

سبط رسول الله ﷺ، دخل السرور والفرح قلب رسول الله ﷺ وقلب فاطمة وعلي ﷺ بمولده في النصف من رمضان من السنة الثالثة من الهجرة النبوية،<sup>(١)</sup> أرضعته أم الفضل زوجة العباس،<sup>(٢)</sup> وقد سماه النبي ﷺ، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى. وعاش ما يقارب ثماني سنوات من حياة النبي ﷺ.<sup>(٣)</sup>

وكان النبي ﷺ يحبه حباً شديداً ويأنس به قال عنه ﷺ: ((اللهم إني أحبه فأحبه))،<sup>(٤)</sup> وقال عنه وعن الحسين: ((هما رِيحَاتَايَ مِنَ الدُّنْيَا)).<sup>(٥)</sup> كان يصعد على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي فيرفع النبيُّ رفعاً رفيقاً لئلا يقع، وقد قال عنه ﷺ: ((إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)).<sup>(٦)</sup>

وقد عانق رسول الله ﷺ على مرأى من الصحابة.<sup>(٧)</sup>

رآه أبو بكر الصديق ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ وهو يمشي يلعب مع الصبيان

- 
- (١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١/٢٢٦.  
(٢) الحاكم، المستدرک، ج ١/١٦٦؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢٥.  
(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الصبي المولود يؤذن في أذنه، ح برقم: ٥١٠٥، ص ٩٢٤؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢٠.  
(٤) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٤/٢١٧؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢/٢٤٩، ٣٣١.  
(٥) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٤/٢١٧.  
(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٤/٢١٦.  
(٧) انظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢١٦.

فحملة وقال: (بأبي شبيهه النبيّ ليس شبيهاً بعلي، وعلي ﷺ يضحك).<sup>(١)</sup>

كان كثير الزيارة والتفقد لأمهات المؤمنين بعد وفاة الرسول ﷺ، كما اشتهر بعبادته وتقواه وقعوده في مسجد رسول الله ﷺ من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.<sup>(٢)</sup> بلغ حدّاً من الشرف والكرم والسخاء لم يبلغه أحد غيره.<sup>(٣)</sup> أخذ العلم عن أمهات المؤمنين وعدد من الصحابة على رأسهم والده أمير المؤمنين علي ﷺ. وكان الناس يحرصون على تزويجه ونسبه رغم كثرة طلاقه، وكان والده علي ﷺ يحذرهم من ذلك، ويقول: (إنه مطلق) ومع ذلك يفرح الناس بنسبه ولو فترة من الوقت.<sup>(٤)</sup>

كان ملازماً لأبيه ناصحاً له طوال حياته ومسانداً له في كل أعماله، كما كانت له مكانته عند الراشدين لمكانته من رسول الله ﷺ،<sup>(٥)</sup> خرج مع والده علي ﷺ من المدينة بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ إلى الكوفة،<sup>(٦)</sup> وشهد معه صفين والجمل والنهروان.<sup>(٧)</sup> وحضرا استشهاد والده أمير المؤمنين علي ﷺ واقتص من قاتله.<sup>(٨)</sup>

بايعه أهل العراق بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين علي ﷺ، ثم آذوه

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج٤/٢١٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٥/٣٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٣٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج٤/٢١٦.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٣٨؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٣٠.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/١٥٠.

(٦) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٩.

(٧) الطبري، تاريخه، ج٥/٢٣٦، ٢٠٤.

(٨) الطبري، تاريخه، ج٦/٨٦.

وضيقوا عليه، فسلم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤١ هـ وهو ما عرف بعام الجماعة<sup>(١)</sup> وصدق فيه قول الرسول ﷺ، برواية أبي بكر: ((سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)).<sup>(٢)</sup>

عاش بعد ذلك قرابة عشر سنوات قضاها في المدينة المنورة، كان فيها محل عناية المسلمين معلماً، وشريفاً وسيداً مباركاً، متابعاً لأحوال أمهات المؤمنين ومتفقداً لهن، حتى وافاه الأجل سنة ٤٩ هـ.<sup>(٣)</sup> وكان عمره سنّاً وأربعين سنة. وقد بكاه الناس وحزنوا على فراقه حزناً شديداً.

**الحسين بن علي رضي الله عنه (الشهيد):**<sup>(٤)</sup>

يكني بأبي عبدالله<sup>(٥)</sup> ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ من ابنته فاطمة رضي الله عنها. ولد ﷺ في شعبان من السنة الرابعة من الهجرة في المدينة المنورة، ففرح به الرسول ﷺ أيما فرح، وقبله ودعا له ﷺ.<sup>(٦)</sup> أجمعت الأمة على محبته ﷺ، قال فيه المصطفى ﷺ وفي أخيه: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))،<sup>(٧)</sup> ولذلك فإن الأمة بأجمعها تحب

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهم، ج ٤/٢١٦.

(٣) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٢٠٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/١٨٦.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهم، ج ٤/٢١٦.

(٥) انظر: عنوان الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٨٠.

(٦) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٨٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢/١٨.

(٧) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/١٥٠، ٢٠٥.

(٨) انظر: الألباني، الأحاديث الصحيحة، ج ٢/٤٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/٢٠٦.

الحسين ﷺ وتود لو فذته بكل ما تستطيع،<sup>(١)</sup> كان الصحابة ﷺ بلا استثناء يحبون الحسين ويقدرونه، قال عنه جابر بن عبد الله ﷺ وهو ينظر إليه: (من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر هذا).<sup>(٢)</sup>

تربي ﷺ في كنف جده المصطفى ﷺ، ووالده علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ترعرع برفقة الحسن بن علي ﷺ، عاش قرابة سبع سنوات من حياة النبي ﷺ، كان أشبه الناس برسول الله ﷺ، خلقاً وخلُقاً،<sup>(٣)</sup> فاضلاً كثير الصوم والعبادة والصلاة والحج وأفعال البر.<sup>(٤)</sup>

بعد أن شبَّ ﷺ، كان مثال الكرم والجود وسمو الأخلاق، حريصاً على العلم فتعلم من كبار الصحابة، ومن أمهات المؤمنين، كان أحد أشرف المدينة وساداتها ومعلميها في عصر الراشدين،<sup>(٥)</sup> وخصوصاً في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ﷺ حيث ربطته علاقة خاصة بهما فهو محل تقدير الأمة عمومًا والخلفاء خصوصاً، وهم أصهار النبي ﷺ وأصهار الحسين ﷺ، فعمر تزوج من أخته أم كلثوم بنت علي.<sup>(٦)</sup> ولا شك أن الحسين ﷺ كان بالغاً وموافقاً على هذه المصاهرة.

كان من معلمي الناس الكتاب والسنة في عهد عمر ﷺ وعهود من بعده.<sup>(٧)</sup>

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/١٥١؛ الطبري، تاريخه، ج ٦/٢٦٨.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٨٢.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/٢٠٥.

(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/٢٠٧.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/٢٠٧.

(٦) انظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٢٣٢.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٨٥.

في خلافة عثمان رضي الله عنه وفي أيام والده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.<sup>(١)</sup>  
 وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، كانت له مكانته الخاصة بين المسلمين، وقد شارك مجاهداً في الفتوح الإسلامية جندياً من جنود المسلمين في فتوح شمال إفريقيا في المغرب وفي طبرستان في أقصى المشرق.<sup>(٢)</sup> وعلينا أن ندرك بُعد ما بينهما لندرك ما بذل من جهد رضي الله عنه.

وقد شارك مع أخيه الحسن رضي الله عنه في الدفاع عن عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حوصر في داره، ولم ينصرف إلا بعد أن أقسم عثمان بن عفان رضي الله عنه على المدافعين أن يتركوا الدفاع عنه، خشية من عثمان على الحسن والحسين وبقيّة المدافعين عنه.<sup>(٣)</sup>

في خلافة علي رضي الله عنه خرج معه من المدينة إلى العراق، وشاركه في كل من موقعة الجمل وصفين والنهروان.<sup>(٤)</sup>

ولما استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان مُقدِّراً ومحترماً أخاه الحسن، وتبعاً له لم ينازعه أو ينشق عليه، بل كان عوناً له، رغم أن له رأياً آخر.<sup>(٥)</sup> ولما رأى الحسن رضي الله عنه التنازل لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لم يذكر رأياً آخر للحسين أو مخالفة لأخيه الأكبر الحسن رضي الله عنه فيما رآه من التنازل وحقن الدماء، وإعادة الوحدة للأمة من جديد.<sup>(٦)</sup> ولعل الحسين شريك

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٨٥/٣.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٨٥/٣ - ٢٨٦.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥٤؛ مسند الإمام أحمد، ج ٣٩٦/١.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١٨٧/٥، ٢٢٦، ٢٣٦، ج ٤٢/٦.

(٥) الطبري، تاريخه، ج ٩٢/٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٦٥/٣.

(٦) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٥٠/٢؛ الحاكم، المستدرک، ج ١٧٥/٢؛

الأصبهاني، دلائل النبوة، ج ٤٤٥/٦؛ أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٦٦/٢.

في إصلاح الأمة مع الحسن ﷺ بدرء الفتنة والتنازل لمعاوية عن حق الحسن في الخلافة، مع أن الحسن ﷺ أهل للخلافة وأحق بها، لكنه آثر درء الفتنة وخشي من إراقة الدماء.

فعاد الحسين ﷺ إلى المدينة المنورة، حيث حرص مع أخيه الحسن ﷺ على تفقد أحوال أمهات المؤمنين، وتعليم الناس الخير، ومساعدة المحتاجين، وشفاعة الخير في المستضعفين والمحتاجين،<sup>(١)</sup> فكان أشرف من في المدينة من آل البيت بعد وفاة الحسن ﷺ.

وحيثما أخذ معاوية البيعة بالخلافة لابنه يزيد وترك مبدأ الشورى، وحول الخلافة إلى ملك، لم يسكت الحسين ﷺ على ذلك، وكاتبه أهل العراق وغيرهم، وأظهروا له النصرة والبيعة وطلب منه أهل الكوفة أن يقدم إليهم، ووعدوه بالنصر والمؤازرة، فأراد الخروج إليهم، فنصحه وحذره عدد من أهل البيت، منهم عبدالله بن عباس وغيره، وعدد من الصحابة على رأسهم أبو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر ﷺ، وكانوا مشفقين عليه غير واثقين من نصرة أهل الكوفة له، وذكروه بخذلانهم لأبيه علي ﷺ أكثر من مرة.<sup>(٢)</sup>

خرج الحسين ﷺ ومعه أهله وبعض مناصريه المخلصين له، وتوجه إلى الكوفة. وفي الطريق لقيه الشاعر المشهور (الفرزدق) فسأله كيف تركت الناس في الكوفة؟ فأجابته: تركتهم قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/١٦٣.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٦/٢١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/١٦٦.

(٣) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٩٣.

وقد واصل الحسين عليه السلام مسيره، وفي الطريق بلغه مقتل بعض أعوانه الذين سبقوه إلى الكوفة، ثم لقيه جيش عبيد الله بن زياد أمير بني أمية وقوامه أهل العراق عند كربلاء، وكاد أن يقع صلح بينهم، إلا أن بعض الأشرار منعوا الصلح، وفرضوا شروطاً رفضها الحسين عليه السلام، وهو الشجاع ابن الشجاع عليه السلام، فدارت معركة قتل فيها الحسين بن علي عليهما السلام شهيداً مأجوراً مثاباً - بإذن الله - في يوم عاشوراء ١٠ محرم سنة ٦١ هـ وعمره ٥٦ سنة، ومعه عدد من أهل بيته وأعوانه قاربوا الثمانين، منهم سبعة من ذرية فاطمة، فكانت قضية عظيمة أبُتلي المسلمون فيها بابت بنت نبيهم عليه السلام، خير الناس أمماً وأباً. رحل عليه السلام إلى الجنة التي بُشِّر بها، وباء قاتلوه بالإثم والعار إلى يوم القيامة، وهو تبع لوالده الشهيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولصهره الشهيد عمر بن الخطاب، والشهيد عثمان بن عفان عليهم السلام جميعاً وأرضاهم، وحشرنا معهم في الفردوس الأعلى.

لقد تألمت الأمة لمقتله وكان الصحابة والتابعون يذكرون فضله ومحبة النبي عليه السلام له، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه لما رأى رأسه بين يدي عبيد الله بن زياد قال: (كان أشبههم برسول الله عليه السلام).<sup>(١)</sup> وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله عليه السلام، وقد قال عليه السلام هما ريحانتي من الدنيا).<sup>(٢)</sup>

ومع الأسف إن بعض المنتسبين إلى الإسلام استغلوا الحادثة في تفريق الأمة

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي عليه السلام، باب مناقب الحسن والحسين، ج٤/٢١٦.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي عليه السلام، باب مناقب الحسن والحسين، ج٤/٢١٧.



وتشتيت شملها، وكأنما الأمة موافقة لقتل الحسين ﷺ ومشاركون في ذلك، يختلقون القصص ويصوغون الحكايات والألحان، وهم يعلمون أن الأمة كلها بلا استثناء لم توافق على قتله، وأن زرع الكراهية في الأمة أو جلد النفوس وإخراج الدماء في يوم عاشوراء ليس من دين محمد ولا يرضاه الحسين ﷺ، ولا يقره، وهو تبع لمحمد ﷺ في سننه، وليس في ذلك تقرب إليه ولا علامة محبة، فحسب الحسين الدعاء له والتأسي به وكره من كرهه، وحب من أحبه بلا بدعة، وهو ﷺ واحد من شهداء الأمة لحق بحبيبه محمد ﷺ مع ركب الشهداء الذين سبقهم سيدهم حمزة ﷺ.

وقد اتخذ بعض المبتدعة مشاهد وأضرحة في أكثر من موضع في العالم الإسلامي، يزعمون فيها وجود جسد الحسين أو رأس الحسين، تفعل عندها شركيات كبرى، بزعم محبة الحسين ودعائه وطلب العون منه، ومن ذلك الروضة الحسينية كما تسمى في كربلاء، وكذلك مسجد الحسين في القاهرة وفي غيرها، إضافة إلى مشاهد أخرى ربطت بالحسين، كما ربط اسمه بما يسمى الحسينيات، وهي أماكن للتجمع والعبادة سموها باسمه، وانتشرت في كل أنحاء العالم، مخالفة في تسميتها للمساجد المنصوص عليها في القرآن الكريم.

وعلى كل فالحسين ﷺ من أئمة التوحيد وإخلاص العبادة لله، وهو تبع للإمام علي ﷺ، الذي لم يعرف أنه سجد لصنم. ويفتخر به المسلمون أنه لم يسجد لصنم وتبع للرسول ﷺ الذي لعن اليهود والنصارى لاتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، روى عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ.<sup>(١)</sup>

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٨٠.

### أبو بكر الصديق رضي الله عنه (ثاني اثنين)<sup>(١)</sup>:

هو عبد الله بن عثمان بن عامر من تيم مرة التميمي القرشي يلتقي مع الرسول ﷺ في الجد السادس، لُقّب بأبي بكر واشتهر بالصديق، كما عُرف بعتيق، لقول الرسول الله ﷺ له: ((أنت عتيق الله من النار)).<sup>(٢)</sup>

كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة وهو قريب منه في السن حيث إنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين. اشترك مع رسول الله ﷺ في خصال كثيرة، منها الصدق والأمانة، والمعرفة، والمكانة العالية في قريش،<sup>(٣)</sup>

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باباً بعنوان: فضل أبي بكر الصديق، ج٤/١٩١.

وقد أُلّف العديد من الكتب عن أبي بكر الصديق، منها:

- علي محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق.
- محمد رشيد رضا، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين.
- محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة.
- نزار الحديثي، أبو بكر الصديق.
- علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق.
- محمد مال الله، أبو بكر الصديق.
- مجدي حمدي، أبو بكر رجل الدولة.
- محمود شلبي، حياة أبي بكر.
- محمد أحمد عاشور، فطن أبي بكر الصديق.
- عبدالرحمن الشرفاوي، الصديق أول الخلفاء.
- محمد حسين هيكل، الصديق أبو بكر.
- عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق.
- عاطف لماضة، مواقف الصديق مع النبي في مكة، ومواقف الصديق مع النبي في المدينة.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب (١٧)، ح برقم: ٣٦٧٩، ج٥/٦١٦؛ وصححه الألباني: ١٥٧٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/١٠.

فكان بينهما التقاء خاص في العادات والنفسية، وكان بينهما رفقة خاصة ومحبة متبادلة في وقت مبكر قبل البعثة، اشتركا في كُره الخمر والزنا والظلم، وكُره الشرك.

كان من أكثر قریش معرفة بالأنساب.<sup>(١)</sup> كما كان صاحب تجارة، قاربت تجارته أربعين ألف درهم حين إسلامه.<sup>(٢)</sup>

أسلم على يد رسول الله ﷺ في الأيام الأولى للبعثة، وقد وضع البخاري في صحيحه باب (إسلام أبي بكر الصديق)،<sup>(٣)</sup> روى فيه عن عمار بن ياسر قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ أعبدٍ وامرأتان وأبو بكر.<sup>(٤)</sup>

وقد أشار حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ فيما نقل ابن عباس رضي الله عنهما من شعره إلى مبادرة الصديق إلى الإسلام في قوله:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة

فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاهما وأعد لها

إلا النبي وأوفاهما بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده

وأول الناس منهم صدق الرسلا<sup>(٥)</sup>

(١) ابن حجر الإصاية، ج ٢/٣٤٢.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج ٤/٢٤٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج ٤/٢٤٠؛ وانظر: شرح ابن حجر، في فتح الباري، ج ١٥/١٢.

(٥) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٥.

وقد نال أبا بكر الأذى من قريش بسبب إسلامه، كما نال رسول الله ﷺ، وقد شارك قومه في الدفاع عنه.<sup>(١)</sup>

كان إسلام الصديق ﷺ دون تردد مما جعل الرسول ﷺ يشير إلى ذلك في قوله: ((إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي)).<sup>(٢)</sup>

كان إسلام أبي بكر بركة على الناس، فبعد إسلامه كان الداعية الأول لرسول الله ﷺ، فأسلم على يديه الرعيل الأول من الصحابة، وفيهم معظم العشرة المبشرين بالجنة، ومنهم الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة ابن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبدالأسد، والأرقم بن أبي الأرقم ﷺ.<sup>(٣)</sup>

لقد أحسن الصديق اختيار الرجال الذين كانوا نواة أمة الإسلام، وحملة الرسالة إلى العالم، ولذلك كان ﷺ يقول عن الصديق: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)).<sup>(٤)</sup>

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد أسلم أهل بيت أبي بكر الصديق، زوجته وبناته وأبناؤه وخادمه.<sup>(٥)</sup> وقد وضع البخاري في صحيحه باباً بعنوان: (قول النبي ﷺ

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق، ج ٤/١٩٢.

(٣) علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٣٩.

(٤) صححه الألباني في صحيح الجامع الصحيح، ج ٢/٨؛

(نقلاً عن الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٣٧).

(٥) الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٣٩.

لو كنت متخذاً خليلاً) روى فيه عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: ((لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي)).<sup>(١)</sup>

وقد نفع الله المسلمين بماله منذ أول الإسلام، حيث قام بشراء المعذبين المسلمين من الجوارى والموالي من حر ماله وأعتقهم لوجه الله، وعلى رأس هؤلاء بلال بن رباح.<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾ [الليل].

ولذلك وغيره قال فيه رسول الله ﷺ: ((ما نفعني مالٌ ما نفعني مالُ أبي بكر)).

وقد نال الصديق الأذى مع رسول الله ﷺ فكان يفديه بنفسه، روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: ((سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ﷺ فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات)).<sup>(٣)</sup>

كما وردت رواية أخرى عن ابن عباس ؓ قال: (إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وُضِعَ على سريره، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، ج ٤/١٩١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٣١٨: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٣٥٣.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب من لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ج ٤/٢٤٠.

مع صاحبك لأنني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتقت فإذا هو علي بن أبي طالب.<sup>(١)</sup>

وقد حاول الصديق الهجرة إلى الحبشة، فرده ابن الدغنة وهو من زعماء بني الهون بن خزيمة وأجاره بمكة أمام قريش، وقال: مثلك لا يخرج يا أبا بكر.

وكان أبو بكر يصلي بفناء داره فيعلن قراءته فيتأثر به شباب ونساء قريش، فطلب القوم من ابن الدغنة أن يمنعه من الجهر بقراءته أو يرد جواره، فقال أبو بكر: إني أرد جوارك، ورضي بجوار الله ﷻ وتحمل ما أصابه من أذى.<sup>(٢)</sup>

واستمر الصديق ملازماً رسول الله ﷺ بمكة، وكان الرسول ﷺ يخرج إلى أسواق العرب المجاورة لمكة يعرض الإسلام على الناس وبصحبته الصديق مشاركاً له في الدعوة.<sup>(٣)</sup>

وحينما كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج كان رفيقه الملازم والمشارك له هو الصديق ﷺ، وكانت معرفته بالقبائل عوناً لهما في الحديث لرجال القبائل، ولفّت انتباههم وعرض الدعوة عليهم.<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق، ج٤/١٩٧.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢/٦٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٢٤.

(٤) انظر: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، من هذا الكتاب.

ولعل أشهر حدث شارك فيه الصديق وحده مع رسول الله ﷺ الهجرة النبوية، ذلك الحدث الذي غير مجرى التاريخ الإنساني حتى اتخذه المسلمون للتأريخ للأحداث.<sup>(١)</sup>

قال - تعالى -: ﴿إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].

وقبل السفر وفي الطريق كان الصديق وأهل بيته نعم العون لرسول الله ﷺ في هجرته وحين استقر رسول الله ﷺ في المدينة، كان أبو بكر ملازماً له، بل جعل داره جوار رسول الله ﷺ، وله خوذة إلى المسجد، أمر ﷺ أن تبقى عند وفاته، وأن تسد بقية الأبواب الشارعة في المسجد.<sup>(٢)</sup>

وقد تشرف الصديق ﷺ بعد الهجرة بزواج الرسول ﷺ من ابنته أم المؤمنين عائشة ؓ،<sup>(٤)</sup> فزاد دخوله على النبي ﷺ في حجرة عائشة وكانت لهما مواقف مشتركة معها، وهي أحب نسائه إليه ﷺ وهو أحب الرجال إلى الرسول ﷺ. وقد ورد في الحديث الشريف ((عن عمرو بن العاص ؓ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك

(١) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٥٨.

(٢) انظر تفصيلات ذلك في موضوع الهجرة، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، ج٤/١٩٠.

(٤) انظر: زواج النبي ﷺ من عائشة، من هذا الكتاب.

قال: عائشة، فقلت: من الرجال، فقال: أبوها، فقلت ثم من قال: ثم عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً)).<sup>(١)</sup>

وحيثما مرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه بحمى المدينة نقلت عائشة رضي الله عنها الخبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا دعاء المشهور: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها، وبارك لنا في مدها، وصاعها، وانقل حماتها واجعلها في الجحفة)).<sup>(٢)</sup>

وحيثما أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال كان أبو بكر معه في كل الميادين دون استثناء، لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أي موضع.

وله مواقف خاصة في غزوة بدر،<sup>(٣)</sup> حيث كان مع المصطفى صلى الله عليه وسلم. ويصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه شجاعة الصديق في هذا الموقف بقوله: (إنه خَطَبَهُمْ فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما أني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً، فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لنألا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. قال ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يحادّه، وهذا يتلته ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلته هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع عليُّ برده كانت عليه فبكى حتى أخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله

(١) روه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب أبي بكر الصديق، ج ٤/١٩٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء يرفع الوباء والوجع، ج ٧/١٦٠.

(٣) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.



أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتنم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، فهذه خصوصية للصديق، حيث هو مع الرسول في العريش، كما كان معه في الغار - رضي الله عنه وأرضاه - ورسول الله ﷺ يكثر الابتهاال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به: "اللهم إنك إن تهلك هذا العصاة لا تعبد بعدها في الأرض". وجعل يهتف بربه ﷻ ويقول: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك"، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر ﷺ عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهاال: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك.<sup>(١)</sup>

كان الصديق أكثر الصحابة اقتراباً من رسول الله ﷺ في بدر يحمل سيفه دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وكان مؤمناً بنصر الله لرسوله، يقول: (يا رسول الله كفاك بعض مناشدتك ربك فوالله لينجزن الله لك ما وعد).<sup>(٢)</sup>

ولذلك كان الصديق أول من تلقى البشارة من رسول الله بالانصر، حيث قال له: ((أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ براية بعنان فرسه يقوده على ثايا النقع)).<sup>(٣)</sup>

كما شارك برأيه في أسرى بدر وكان رحيماً بقومه، حيث كان ممن رأى فداء الأسرى لعل الله أن يهديهم.<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٧٢/٣، الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٨٠.

(٢) انظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٦٢٤/٢. والنقع هو الغبار.

(٤) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٥.

وقد أشار الرسول ﷺ إلى لين قلب أبي بكر فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (( لما كان يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! قومك وأصلك، استبقتهم واستتبتهم، لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله: كذبوك وأخرجوك، قدمهم نضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم ناراً، ثم ألقهم فيه، فقال العباس: قطع الله رحمك، قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم، ثم قام فدخل، فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال أناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: إن الله ليُليِّنُ قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> وإن مثلك يا عمر مثل موسى، قال: ﴿رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(٣)</sup> وإن مثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(٤)</sup> أنتم عالة فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق)).<sup>(٥)</sup>

وكان له ﷺ مواقف في أحد وبني قريظة والخندق والحديبية، وفتح

(١) من الآية رقم (٣٦)، من سورة إبراهيم.

(٢) من الآية (١١٨)، من سورة المائدة.

(٣) من الآية (٨٨)، من سورة يونس.

(٤) من الآية (٢٦)، من سورة نوح.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المغازي، ص ١٩٥، ١٩٦: انظر: الترمذي في سننه، كتاب تفسير

القرآن، باب ومن سورة الأنفال، ح برقم: ٣٠٨٤، ج ٥/٢٧١.

مكة بان فيها رأي أبي بكر المباشر في هذه الغزوات وغيرها.<sup>(١)</sup>

وحيثما مرض رسول الله ﷺ لازمه الصديق، خصوصاً أن تمرىض المصطفى قبيل وفاته كان في منزل عائشة بنت الصديق وليس لها حجاب عنه، ولم يتركه ﷺ إلا في اليوم الذي توفي فيه، حينما رآه قد نشط فاستأذن من الرسول ﷺ في أن يزور بيته الآخر في السُّنح أطراف المدينة، فأذن له المصطفى ﷺ وقبض رسول الله ﷺ فجر ذلك اليوم.

فأسرع الناس إلى استدعاء أبي بكر الصديق ﷺ فهو رجل الموقف ثباتاً ورأياً وإيماناً واستحضاراً لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكأنه أُعدَّ لهذا الموقف وتلك المقولة، وذلك الفقه العظيم، حيث قال للناس: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).<sup>(٢)</sup>

عند بيعة الصديق كانت الدولة الإسلامية قد امتدت أيام الرسول ﷺ إلى كافة أنحاء الجزيرة العربية، ووصلت أطراف الشام، واحتكت جيوشها بالروم في مؤتة، وأعدَّ ﷺ جيشاً بقيادة أسامة بن زيد لغزو بلاد الروم.<sup>(٣)</sup> ومع هذا فقد حدثت الردة في أنحاء كثيرة من الدولة والقبائل قبيل وفاته، حيث ظهر مدعي النبوة مسيلمة الكذاب في اليمامة والأسود العنسي في اليمن، وزاد الأمر سوءاً بارتداد مانعي الزكاة وهم فئة كبيرة من قبائل العرب، وتصف عائشة بنت الصديق الحال حينما تُوفِّي رسول الله ﷺ بقولها: (تُوفِّي رسول الله ﷺ، فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، إشرأبَّ النفاق

(١) تابع كل غزوة في موضعها، من هذا الكتاب.

(٢) راجع تفاصيل في موضوع وفاة الرسول ﷺ، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، ج ١٤٥/٥.

بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وعنائها في الإسلام.<sup>(١)</sup>

وقد استدعى الأمر من الصديق مشاورات مع بقية الصحابة حول الموقف وما ينبغي اتخاذه، وكان رأي الصديق هو الصائب ومعه الدليل الشرعي من سنة رسول الله ﷺ في كل ما اتخذ من مواقف،<sup>(٢)</sup> حيث أصر على تسيير جيش أسامة بن زيد الذي أمر به رسول الله ﷺ برغم معارضة بعض الصحابة وقال قولته المشهورة؛ (والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ). وفي رواية (والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحب إلي من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ).<sup>(٣)</sup> وقد خرج بنفسه ﷺ لوداع الجيش وأوصاه بوصايا حضارية إنسانية في حفظ الأرواح والأموال وعدم الإفساد في الأرض وعدم الاعتداء على النساء والأطفال والمسلمين. وجاء في نص الوصية (أيها الناس، لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...)<sup>(٤)</sup>.

وعاد الجيش بعد شهرين بعد تحقيق أهدافه وإظهار هيبة المسلمين وقوة دولته وقدرة قائدهم خليفة رسول الله ﷺ الأول الصديق ﷺ.<sup>(٥)</sup>

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٣١، و٤٣٢.

(٢) انظر: أكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٨٩.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٢١٢/٣؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٢؛ وانظر: علي الصلابي، أبو بكر الصديق، ص ٢١٨.

(٤) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٠٢.

(٥) انظر: عبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٠٢.

وفي الوقت نفسه شاور ﷺ بقية الصحابة في المرتدين، فكان رأي بعضهم ألا يقاتل مانعي الزكاة.

وقاد الصديق بنفسه أول جيش خرج لقتال المرتدين إلى ذي القصة، رغم خوف الصحابة عليه ومحاولة ثنيه عن الخروج بنفسه، ولكنه أصر على أن يواسي الناس بنفسه، ونصره الله على القبائل المرتدة التي كانت تستهدف المدينة، وغلبهم فاضطروا للإذعان والانقياد لأمر الإسلام وأبي بكر الصديق.<sup>(١)</sup>

وبعد عودة جيش أسامة كَوْن الصديق أحد عشر جيشاً لحرب المرتدين في مختلف أنحاء بلاد العرب كانت بقيادة خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة وخالد بن سعيد بن العاص، والمهاجر بن أمية، وعمرو بن العاص، والعلاء بن الحضرمي ﷺ وغيرهم.<sup>(٢)</sup> وقامت تلك الجيوش المختلفة بحركات عسكرية قوية ضد المرتدين في كل بلاد العرب من اليمن وعمان وحضرموت ونجد واليمامة. وكانت أشهر معاركها موقعة اليمامة في بني حنيفة، حيث قُتل مسيلمة الكذاب واستشهد من المسلمين قرابة تسعمائة منهم ثلاثمائة وستون من أصحاب رسول الله ﷺ.<sup>(٣)</sup>

وما أن انتهت السنة الحادية عشرَ من الهجرة حتى كان الصديق قد فرغ من القضاء على المرتدين بشقيهم، أتباع مدَّعي النبوة ومانعي الزكاة.

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٢٢٥/٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ٢٢٥/٣.

(٣) راجع: خليفة بن خياط، ص ١١٠، ١١١؛ والطبري، تاريخه، ج ٢٥٢/٣؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ص ٥٣ - ٧٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٣٦٤/٢؛ وانظر: عبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور (موقعة اليمامة)، ص ١٠٣.

وكان الصديقُ صاحبَ رسولِ الله ﷺ وتلميذَه، يدرك البعد العالمي للإسلام ودعوته، ومع شدة الظروف التي يشهدها المسلمون وكثرة الشهداء والجرحى في معارك الردة، فإن الصديق أطلق موجة الفتوح الإسلامية، بشكل لم تعرف له البشرية مثيلاً لتحقيق ما وعد الله ورسوله من نصرٍ وتمكين لدين الله بين عباد الله.

فبدأت الفتوح أولاً في أطراف العراق على يد المثني بن حارثة الشيباني ﷺ بتوجيه مباشر من أبي بكر الصديق ﷺ، ثم أتبعه الصديق بجيوش أخرى بقيادة خالد بن الوليد، وعياض بن غنم ﷺ وكانت جيوش الصديق تحقق الانتصار تلو الآخر على الفرس وجيوشها، وتمهد للمعركة الكبرى التي حدثت بعد ذلك، وهي القادسية وفتح المدائن التي يعد الصديق ﷺ هو المخطط لها بما بعث من جيوش، وإن كانت النتائج قد ظهرت في خلافة عمر ﷺ. (١)

وقد فتح الصديق ﷺ جبهة أخرى للفتوح في الشام، حيث بعث أربعة جيوش في وقت واحد للفتوح في بلاد الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ لفتح حمص، ويزيد بن أبي سفيان ﷺ لفتح دمشق، وعمرو بن العاص ﷺ لفتح فلسطين وشرحبيل بن حسنة ﷺ لفتح الأردن. (٢)

وتحركت هذه الجيوش بتوجيهات خاصة وتعليمات مباشرة من أبي بكر ﷺ الذي رسم لكل جيش أهدافه، والطريق التي يسلكها.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٢؛ الطبري، تاريخه، ج ٢/٤؛ وانظر: عبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٠٩ - ١١٥.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص ١١ - ١٥؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١١٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥، ١١٦؛ الطبري، تاريخه، ج ٢/٣، ٢٩.

وكانت مغامرة كبرى لم تعرف البشرية لها مثيلاً لاقتحام أراضى أكبر إمبراطورية معروفة في ذلك الزمن وهي إمبراطورية الروم التي دهش قاداتها وأعدوا جيشاً لملاقاة المسلمين في اليرموك. وحينها وجه الصديق أمراً لخالد ابن الوليد، وهو أحد قواد جيوش العراق، بأخذ نصف جيش المسلمين في العراق والتوجه به في نجدة لإخوانه في الشام،<sup>(١)</sup> فوصل في الموعد المناسب، واستعد المسلمون لمعركة اليرموك التي رتبها أبو بكر الصديق ﷺ كاملة، وإن كانت وقعت وحسنت زمن عمر ﷺ، حيث وصل المسلمين في اليرموك خبر وفاة الصديق ﷺ.<sup>(٢)</sup>

لا شك أن هذا الامتداد وهذه الفورة العظيمة في المد الإسلامي كان الفضل فيها بعد الله ﷻ لأبي بكر الصديق تلميذ رسول الله ﷺ، الذي يرجع له الفضل بإيصال الإسلام إلى تلك الأصقاع بالتخطيط والعمل الدؤوب، والتضحية والفداء.

إن الإنسان ليعجب لعظيم إنجاز الصديق في فترة قصيرة جداً حيث عدَّ المؤرخون فترة خلافته بسنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام،<sup>(٣)</sup> وما أعظمها وأكثرها بركة في تاريخ البشرية جمعاء.

وإن الإنسان ليعجب ممن نصب نفسه عدواً لهذا الخليفة المبارك الذي كان ساعده الأول علي بن أبي طالب ﷺ وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١١٩. الأزدي، فتوح الشام، ص ٧٣ - ٨١، الطبري، تاريخه، ج ٣/٣٢.

(٢) انظر مزيداً من التفصيلات عند: عبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، من ص ١١٤ - ١٢١.

(٣) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ١/٤١٩.

الذين كانوا عوناً له في حياته شهوداً له بالخير بعد مماته. حيث عُرفَ عن علي رضي الله عنه تَنَاضُؤُهُ على الصديق قبل وفاته وبعد وفاته.

### عمر بن الخطاب رضي الله عنه:<sup>(١)</sup>

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى من بني عدي من قريش قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا حفص، وعُرفَ بالفاروق.

ولد قبل البعثة بقرابة سبع وعشرين سنة، كان مميزاً في جسده بالطول والقوة والجسامة، سريع المشي.

نشأ في قريش قبل الإسلام، وتميز بتعلم القراءة والكتابة، عمل في

(١) أُلّفَ العديد من الكتب عن عمر بن الخطاب وسيرته، منها:

- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.
- محمد أبو النصر، عمر بن الخطاب.
- علي أحمد الخطيب، عمر بن الخطاب (حياته - علمه - أدبه).
- د. محمد قلعجي، موسوعة فقه عمر بن الخطاب.
- صالح بن عبدالرحمن بن عبدالله، عمر بن الخطاب.
- علي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر بن الخطاب وأخبار عبدالله بن عمر.
- محمد علي الصلابي، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب.
- غالب عبدالكايفي القرشي، أوليات الفاروق.
- فاروق مجدلاوي، الإدارة العسكرية في عهد عمر بن الخطاب.
- عبدالرحمن عبدالكريم العامي، الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب.
- محمد رشيد رضا، الفاروق عمر بن الخطاب.
- عمر التلمساني، شهيد المحراب.
- عبدالرحمن الشرقاوي، الفاروق عمر.
- عباس محمود العقاد، عبقرية عمر.
- عاطف لماضة، الفاروق مع النبي.
- ناصر الطريفي، القضاء في عهد عمر.



الرعي لوالده في صغره، وبعد أن بلغ مبلغ الرجال عمل في التجارة كحال رجال قريش.

كان في بداية الإسلام شديد التمسك بعادات قريش وجاهليتها، كثير الأذى للمسلمين وخصوصاً المستضعفين منهم حتى هداه الله للإسلام.<sup>(١)</sup>

حرص بعد إسلامه على الصدع بالدعوة، والدفاع عن الإسلام والمسلمين وتحمل الأذى في سبيل ذلك، سماه رسول الله ﷺ بالفاروق، أعز الله به الإسلام. حتى قال ابن مسعود ﷺ: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر).<sup>(٢)</sup>

هاجر إلى المدينة قبل الرسول ﷺ، ومعه عشرون من أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا ممن مهد لوصول رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وبعد الهجرة كثرت مشاركاته لرسول الله ﷺ في الأحداث المختلفة وشهد المشاهد معه ﷺ.<sup>(٤)</sup>

حتى أن علياً ﷺ قال: (كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)،<sup>(٥)</sup> كما كان ﷺ يأخذ بيده أحياناً.

(١) انظر: إسلام عمر بن الخطاب، من هذا الكتاب.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٢٦٩؛ وانظر: حديث ابن مسعود عند البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج ٤/١٩٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/٤٧٢.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، أبي حفص القرشي العدوي، ج ٤/١٩٨.

(٥) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج ٤/١٩٩.

شهد له الرسول ﷺ بالجنة في أكثر من موضع،<sup>(١)</sup> وقال عنه ﷺ: ((يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك)).<sup>(٢)</sup>

وقد رآه النبي ﷺ في أكثر من رؤيا منها: ((أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم شربت، يعني اللبن، حتى أنظر إلى السري يجري في ظفري أو أظفاري، ثم ناولت عمر، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم)).<sup>(٣)</sup>

كما ورد أن النبي ﷺ قال: ((أريت في المنام أني أنزع بدلوا بكرة على قلب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً واللّه يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستحالت غرباً فلم أرَ عبقرياً يفري فريّة حتى روى الناسُ وضربوا بعطن)).<sup>(٤)</sup>

وقال عنه ﷺ فيما روى أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: ((لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدّثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر)). وروى عنه قال النبي ﷺ: ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر))، قال ابن عباس ﷺ (ما من نبي ولا محدث).<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: صحيح البخاري، ج ٤/١٩٨ - ٢٠٢.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج ٤/١٩٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج ٤/١٩٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج ٤/١٩٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج ٤/٢٠٠.

وقال عنه ﷺ فيما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((بينما أنا نائم، رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجتره، قالوا: فما أولته يا رسول الله، قال: الدين)).<sup>(١)</sup>

وقد وافق القرآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أكثر من موضوع، من ذلك موافقة رأيه في أسرى بدر.<sup>(٢)</sup>

في قوله - تعالى -: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّرَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال].

وموافقته في ترك الصلاة على المنافقين في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [التوبة]. حيث أشار عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بعدم الصلاة على عبد الله بن أبي زعيم المنافقين.<sup>(٣)</sup>

وحيثما سأل الله اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً نزل على الرسول ﷺ قوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٩٠] إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة].<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج ٢٠١/٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٨٥٣/١.

(٣) انظر: رواية مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ج ١٢٠/٨؛ وتفسير ابن كثير، ج ٨٩٩/١.

(٤) ابن كثير، تفسيره، ج ٦٥٠/١.

وفي الحجاب حين أشار على النبي ﷺ أن يأمر نساءه بالحجاب فنزل على رسول الله ﷺ قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب].<sup>(١)</sup>

وفي مقام إبراهيم حيث قال للنبي ﷺ : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ [البقرة].<sup>(٢)</sup>

صاهر عمر بن الخطاب ﷺ رسول الله ﷺ في ابنته حفصة بنت عمر ﷺ ، ولعل زواج رسول الله ﷺ منها أكبر دليل على المحبة المتبادلة بين الرسول ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ. وفي قصة زواجها ورد عند البخاري في كتاب النكاح قصة خطبة رسول الله ﷺ حفصة من قول ابن عمر ﷺ : (إنه ﷺ يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، فَتُوفِيَ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي ، فَلَبِثَ لِيَالِي ثُمَّ لَقِينِي فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَلَا أَتَزُوجُ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ، وَكُنْتُ أَوْجَدُ عَلَيْهِ مَنِيَّ عَلَى عَثْمَانَ ، فَلَبِثَ

(١) ابن كثير، تفسيره، ج ٢ / ١٠٥١٣ : ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٩ / ٥.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ١ / ٢٠٠.

ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً قال عمر: قلت نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها.<sup>(١)</sup>

كان هذا الزواج مدعاة لمزيد من الاحتكاك بين رسول الله ﷺ وبين آل عمر ﷺ بنفسه وأبنائه، ولذلك كان كثيراً ما يلتقيان عند حفصة في حجرتها. وقد كان عمر ﷺ يلاحظ على حفصة مراجعتها رسول الله ﷺ أحياناً ويحذرها من غضب الله ورسوله، يقول عمر ﷺ في ذلك: ((لما قدمنا المدينة كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنا نتأوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبُت على امرأتي فراجعته، فأنكرت أن تراجعني، قالت: ولم تتكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفرعني ذلك، وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن، ثم جمعت عليّ ثيابي فنزلت، فدخلت على حفصة، فقلت لها: أي حفصة أتغاضبُ إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ج ٦/١٣٠.

في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت جارتك أوضاً منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تتعل الخيل لغزونا فنزل صاحب الأنصاري يوم نوبته فرجع إلينا عشاءً، فضرب بابي ضرباً شديداً وقال أثم هو؟ ففرغت فخرجت إليه فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت ما هو، أ جاء غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأهول، طلق النبي ﷺ نساءه. وقال عبيد بن حنين سمع ابن عباس عن عمر فقال: اعتزل النبي ﷺ أزواجه. فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون فجمعت عليّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل النبي ﷺ مشربةً له فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري ها هو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجدُ فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذنْ لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت فقلت للغلام: استأذنْ لعمر فدخل، ثم رجع، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت استأذنْ لعمر: فدخل، ثم رجع إليّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفاً قال: إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أتر الرمال بجانبه متكئاً على وسادة من آدمٍ حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟

فرفع إليَّ بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساءؤهم، فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمةً أخرى، فجلست حين رأيت تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال: أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله استغفر لي فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة. وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت ألا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدّها عدداً، فقال الشهر تسع وعشرون ليلة فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة. قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة)).<sup>(١)</sup>

وآية التخيير التي أشارت إليها عائشة ﷺ هي قوله - تعالى - : ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيُوكَ إِن كُنْتَن تَرُدُّنَّ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ

(١) من رواية البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، ج٦/١٤٨ - ١٥٠.

سَرَّحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الأحزاب].

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه محباً رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً عظيماً، متعلقاً به أشد التعلق غير مصدق فراقه، ولذلك صدم صدمة عظيمة حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوفِّيَ، فلم يصدّق ذلك وهدد وتوعد وأرعد وأزبد لهول الصدمة، فقال: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ضربت عنقه.<sup>(١)</sup>

وأخذ يصول ويجول في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر! فأبى أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر أما بعد: من كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله - تعالى -: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران] وقال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيّب أن عمر قال: (والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففعلت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات).<sup>(٢)</sup>

كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دور في مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر الدليل الشرعي في تكليف الصديق بالخلافة، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمره أن يصلي بالناس في مرضه الذي مات

(١) انظر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، من هذا الكتاب.

(٢) من رواية البخاري، في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ج ٥/١٤٣.



فيه، وأنه ارتضاه لدينه: أفلا نرضاه لدنيانا، فكان دليل عمر الشرعي والعقلي أكبر مقنع للحضور في السقيفة، وبيعة أبي بكر من قبل الأنصار وعدد قليل من المهاجرين.<sup>(١)</sup>

عاش فترة خلافة أبي بكر الصديق وزيراً ومستشاراً ومُعِيناً له كبقية الصحابة من أمثال عثمان وعلي ﷺ.

واجه معه منذ البداية المرتدين من أتباع المتبئيين ومانعي الزكاة، وكان الرأي في قتال مانعي الزكاة هو الحق الذي أصاب فيه أبو بكر، وكاد أن يخطئ فيه عمر.<sup>(٢)</sup> كما أن عمر طلب تغيير أسامة بن زيد من قيادة الجيش الذي وجهه رسول الله ﷺ إلى الشام، لكن أبا بكر قال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أعزله.<sup>(٣)</sup>

شارك الصديق في قرارات مهمة في إنفاذ جيوش الفتح إلى العراق وفارس وتعيين الأمراء.<sup>(٤)</sup>

وكان رأي عمر في جمع المصحف بعد استشهاد القراء في موقعة اليمامة، مما شجع الصديق على جمعه.<sup>(٥)</sup>

وقد اختاره الصديق للخلافة من بعده، بعد أن استشار الناس، ففي رواية ابن أبي شيبة تحت عنوان: "ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب"، (أن أبا بكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: تستخلف

(١) انظر: بيعة الصديق، من هذا الكتاب.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ٣/٢١٢، ٢٤٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٣/٢١٢.

(٤) الصلابي، فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، ص ٩١ - ٩٨.

(٥) انظر: رواية البخاري، باب جمع القرآن (ابن حجر، فتح الباري، ج ٨/٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الراشدين، ص ٧٩.

علينا فظاً غليظاً، ولو قد ولينا كان أفض وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ قال أبو بكر: أبري تخوفوني، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك، ثم أرسل إلى عمر، فقال: إني موصيك بوصية إن أنت حفظتها: إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدّي الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً، وإن الله ذكر أهل الجنة وصالح ما عملوا، وأنه تجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: ألا أبلغ هؤلاء، وذكر أهل النار بأسوأ ما عملوا، وأنه رد عليهم صالح ما عملوا، فيقول قائل: أنا خير من هؤلاء، وذكر آية الرحمة وآية العذاب، ليكون المؤمن راغباً وراهباً، لا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فإن أنت حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت، وإن ضيعت وصيتي، لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تُعجزه.<sup>(١)</sup>

ويورد ابن أبي شيبة رواية عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيت عمر بن الخطاب وبيده عسيب نخل وهو يجلس الناس، ويقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ قال: فجاء مولى لأبي بكر - يقال له: شديد - بصحيفة، فقرأها على الناس، فقال: يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة، فوالله ما آلتكم، قال قيس: فرأيت عمر بن الخطاب بعد ذلك على المنبر.<sup>(٢)</sup>

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٣٣.

حينما مارس عمر صلاحياته خليفة للمسلمين، كان نعم التلميذ لمحمد ﷺ، طبق ما تعلمه من الرسول ﷺ، من العدل بين الناس وتفقد أحوال الرعية واستحداث لأنظمة وحسن الإدارة، فضرب الإسلام أطنابه في كل مكان.

فهو أول من سنّ الخراج على الأراضي المفتوحة، ووضع بذلك دخلاً ثابتاً لبيت مال المسلمين.

وهو أول من وضع الدواوين وفرض العطاء.<sup>(١)</sup>

كما كان يحسن اختيار العمال والأمرء، الذين شاركوه في إدارة الدولة الإسلامية،<sup>(٢)</sup> التي امتدت من أذربيجان في الشمال الشرقي إلى شمال إفريقيا في حدود ليبيا.

ومن بلاد فارس وخراسان إلى اليمن، حيث دخلت شعوب وأمم كثيرة تحت راية لا إله إلا الله، وانضوت تحت قيادة المدينة، مهاجر رسول الله ﷺ، وتحققت معجزات الرسول ﷺ في الأخبار عن امتداد الإسلام، وفي الأخبار عن عمر وما لديه من حكمة وعلم، ودخلت في زمانه تحت لواء الإسلام عواصم مشهورة منها المدائن ودمشق، وبيت المقدس، ومصر بما فيها الإسكندرية، وأذربيجان، وكامل فلسطين والشام، وبلاد فارس، وجاءت الغنائم للمدينة من كل مكان.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣١٣.

(٢) انظر تفاصيل ذلك عند عبدالعزيز العمري، الولاية على البلدان في عصر الراشدين، ص ١٨٧ - ١٩٨.

(٣) انظر تفاصيل ذلك عند: عبدالعزيز العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٢٢ - ١٤٠.

وقد حكم عمر المسلمين مدة اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وعدة أيام.<sup>(١)</sup>

وكانت وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاجأة. ولعل من أصدق ما ورد فيها وما صاحبها من أحداث رواية عمرو بن ميمون في البخاري، وهو شاهد عيان، حضر إصابة عمر، وما تلا ذلك من أحداث يقول: (رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان ابن حنيف، قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالوا: حملناها أمراً هي له مطيقة ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قال: قالوا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه رابعة حتى أصيب قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفيين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خلا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول: قتلني أو أكلني الكلب، حين طعنه فطار العالج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنساً، فلما ظن العالج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر، فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة، ثم

(١) انظر: عبدالسلام الترماني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ص ٣٥، ٤٩.

جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنَّعُ؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام. قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي ببيد فشربه فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقد تم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال: ردوا علي الغلام قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر فأدّه من أموالهم وإلا فسئل في بني عدي بن كعب فإن لم تفر أموالهم فسئل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدّ عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل: أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدتها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرته به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين؛ أدنّت، قال: الحمد لله ما كان من

شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف. قال: ما أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم، ما أمر فيني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٧]، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم رء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط).<sup>(١)</sup>

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ابن عفان، ج ٤/٢٠٤ - ٢٠٦؛ وانظر: الرواية نفسها عند ابن أبي شيبه في المغازي، ص ٤٣٤.

عثمان بن عفان ﷺ (ذو النورين):<sup>(١)</sup>

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، قرشي أموي، أمه أروى بنت كريز، وأمها أم حكيم بنت عبدالمطلب عمه النبي ﷺ،<sup>(٢)</sup> ولد بعد النبي ﷺ بقرابة ست سنين.<sup>(٣)</sup>

عاش في بداية حياته في مكة ميسور الحال تاجراً منذ شبابه، منعماً موسعاً على نفسه.

تزوج من رقية بنت رسول الله ﷺ، أسلم على يد أبي بكر الصديق ﷺ، قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

(١) وضع البخاري في صحيحه في كتاب المناقب لأصحاب النبي ﷺ، مناقب عثمان بن عفان، ج ٢٠٣/٤.

ألف العديد من الكتب عن عثمان بن عفان ﷺ، منها:

- علي محمد الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، شخصيته وعصره.
- خالد بن محمد الغيث، استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، في تاريخ الطبري، دراسة نقدية.
- محمد بن يحيى الماقي، التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان.
- محمد صامل السلمي، خلافة عثمان بن عفان.
- محمد رشيد رضا، ذو النورين عثمان بن عفان.
- محمد مال الله، ذو النورين عثمان بن عفان.
- أحمد الخاروف، شهيد الدار عثمان بن عفان.
- محمد حسين هيكل، عثمان بن عفان.
- محمد عبدالله غبان، فتنة مقتل عثمان.
- (٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥٢/٣.
- (٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧٧/٣.

كان شديد الالتصاق ببيت النبوة، كثير الاحتكاك برسول الله ﷺ وبأُم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ.

كان مع زوجته رقية ﷺ من أوائل المهاجرين إلى الحبشة في الهجرتين، وكانت لهما قيمة خاصة عند المهاجرين وعند النجاشي ملك الحبشة في زمانه.<sup>(١)</sup>

حينما عادا من الحبشة إلى مكة كانت أم المؤمنين خديجة قد توفيت، فحزنت عليها رقية حزناً عظيماً.

هاجر عثمان ﷺ ورقية بنت رسول الله ﷺ إلى المدينة مبكرين.

وقد خط له رسول الله ﷺ دار عثمان المجاورة لحجرات النبي ﷺ، فكانت له خوخة تجاه باب النبي ﷺ فيدخل ﷺ بيت عثمان منها.<sup>(٢)</sup>

استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض أسفاره.<sup>(٣)</sup>

مرضت ثم توفيت زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ أثناء غزوة بدر، وقد تخلف لتريضها بأمر رسول الله ﷺ.

فلما عاد رسول الله ﷺ زار قبرها،<sup>(٤)</sup> وقد ضرب له رسول الله ﷺ بسهم وأجره في غزوة بدر.<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: الهجرة إلى الحبشة.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣/٥٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٥٦ - ٥٧.

(٤) انظر ترجمة رقية بنت الرسول ﷺ، من هذا الكتاب؛

وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان ابن عفان، ج ٤/٢٠٣.

(٥) انظر: رواية البخاري عند ابن عمر، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج ٤/٢٠٣.



وَزَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ رَقِيَّةَ بِأُمِّ كَلْثُومٍ ﷺ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُ سَنَةَ ٨ هـ،  
فَقَالَ ﷺ: لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَالِثَةٌ زَوْجَتَهَا عَثْمَانُ. <sup>(١)</sup>

اشتهر عثمان بحيائه، حتى قال عنه رسول الله ﷺ: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)). <sup>(٢)</sup>

بعثه النبي ﷺ يوم الحديبية مندوباً عنه لمفاوضة زعماء قريش، فاحتبس عثمان وشاع الخبر أنه قد قُتل، فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وبايعوا النبي فيما عرف ببيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة وهي الواردة في قوله - تعالى -:  
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].

فقال ﷺ: ((إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله))، فضرب بإحدى يديه على الأخرى عن عثمان فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم عن أنفسهم. <sup>(٣)</sup>

شارك بماله في حاجة الإسلام، ولبى نداء رسول الله ﷺ في أكثر من موضع، فمن ذلك تجهيزه لجيش العُسرة المتوجه إلى تبوك، حيث قام بتجهيز ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، حتى قال عنه الرسول ﷺ:  
(ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه). <sup>(٤)</sup>

(١) انظر: ترجمة أم كلثوم ﷺ، من هذا الكتاب.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ، ج ١١٧/٧.

(٣) انظر: رواية البخاري في حديثه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج ٤/٢٠٤؛ انظر: غزوة الحديبية، من هذا الكتاب.

(٤) انظر غزوة تبوك، من هذا الكتاب.

شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في أكثر من موضع.<sup>(١)</sup>

وقد ساهم في توفير الماء للمسلمين في المدينة بشرائه بئر رومة، بناءً على طلب رسول الله ﷺ، حين قال: من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة،<sup>(٢)</sup> فلما بلغ عثمان ذلك اشتراها وجعلها للمسلمين.<sup>(٣)</sup>

لقد علم رسول الله ﷺ بما أطلعه الله عليه من الغيب بما سيصيب عثمان من بلوى وقتل،<sup>(٤)</sup> فأوصاه قائلاً: ((يا عثمان إن الله ﷻ عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أراذك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثاً)).<sup>(٥)</sup>

حزن كغيره من الصحابة لموت رسول الله ﷺ.<sup>(٦)</sup>

بعد مبايعة أبي بكر بالخلافة كان من مستشاريه الملازمين له في المدينة، يساعده في اختيار ذوي الكفاءة من الولاة والعمال،<sup>(٧)</sup> كان له رأي في اختيار عمر للخلافة من بعد أبي بكر،<sup>(٨)</sup> وكان صاحب تجارة في زمن أبي بكر، يجلب الطعام إلى المدينة، ويكثر من الصدقة، ويلخص عثمان ﷺ أدواره منذ زمن النبي ﷺ حتى آخر خلافة عثمان كما في رواية البخاري

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج٤/٢٠٢.

(٢) صححه الألباني في السلسلة ج٢/٧٦٦؛ وانظر تخريجه عند: الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨.

(٣) انظر: فتح الباري، ج٥/٤٠١، (الحكمة في الدعوة إلى الله).

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥١.

(٥) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، ج١/٦٣١؛ وانظر: الطبقات الكبرى، ج٣/٦٦.

(٦) انظر: وفاة رسول الله ﷺ، من هذا الكتاب.

(٧) الطبري، تاريخه، ج٤/١٢٢.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢/٧٩.

عن عثمان، قال: (أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين، كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ ويايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته، حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟) (١).

وفي خلافة عمر ﷺ كان نعم المستشار والمعين على أموره المختلفة، فكان الناس إذا أرادوا من عمر ﷺ شيئاً رموه بعثمان بن عفان ﷺ، وكان يسمى الرديف.

فكان بمثابة الوزير لعمر ﷺ. (٢)

وكان لعثمان ﷺ رأي في اتخاذ عمر ﷺ للديوان. (٣)

كما أن له دوراً في تدبير حج أمهات المؤمنين زمن عمر بن الخطاب ﷺ. (٤)  
وفي خلافة عمر ﷺ لم يكونوا يشكّون أن الخلافة من بعده لعثمان ﷺ. (٥)

وقد بويع عثمان ﷺ خليفةً للمسلمين عند استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ في قصة الشورى المشهورة في البخاري، (٦) حيث إن عمر بعد أن طعنه أبو

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، ج ٢٠٣/٤.

(٢) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٦٠، ٦١.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٢٠٣/٥: الصلابي، مصدر سابق، ص ٦١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١٣٤/٣.

(٥) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤٥٠.

(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج ٢٠٤/٤.

لؤلؤة المجوسي وأخبره الطبيب أنه ميت طلب منه الناس أن يستخلف قائلين: (أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، - كما ذكرنا سابقاً - فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبدالرحمن ﷺ، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر ﷺ وليس له من الأمر شيء، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبدالرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن بن عوف فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، ولله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان فقال عبدالرحمن: أتجعلونه إلي ولله عليّ ألا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت فله عليك لئن أمرتُك لتعدلن ولئن أمرتُ عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، وبايع له عليّ وولج أهل الدار فبايعوه).<sup>(١)</sup>

إن بيعة عثمان ﷺ لا تعني نقصاً أو قدحاً في علي ﷺ، فكلهم خيار أبرار مشهود لهم بالجنة والعمل الصالح، لكن نتيجة الترجيح كانت لواحد، وهذا أمر طبيعي، ولا قداسة لشخص بعينه، فكلهم من فضلاء الصحابة، ولعل فارق السن وكون عثمان أسنّ من عليّ هو من أسباب

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/٢٠٦، ٢٠٧.

تقديمه بالخلافة، ومن المعروف مبايعة علي لعثمان في نفس اللحظة<sup>(١)</sup> وكان علي ﷺ طيلة أيام عثمان مستشاراً ووزيراً ومعيناً له في سائر أعماله ﷺ<sup>(٢)</sup> وحينما بويع عثمان ﷺ بالخلافة في آخر ذي الحجة سنة ٢٣هـ، كانت الدولة الإسلامية في أوج قوتها وانتصارها وامتدادها وتنظيمها وإدارتها، فاستمرت على ذلك، وعمل عثمان ﷺ على استمرار الجهاد والفتوح في أيامه،<sup>(٣)</sup> حيث واصل فتوح شمال إفريقيا وأعاد فتح الإسكندرية. كما فتح بلاد النوبة وأرمينية.<sup>(٤)</sup>

وهو أول من مدّ الفتوح الإسلامية عبر البحر، حيث أعد أسطولاً إسلامياً ضخماً،<sup>(٥)</sup> قام بعدة فتوح منها فتح قبرص سنة ٢٧هـ.<sup>(٦)</sup> كما خاض معركة ذات الصواري،<sup>(٧)</sup> وهي من أشهر المعارك البحرية في التاريخ، فرض المسلمون بعدها سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط.

- 
- (١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ج٤/٢٠٦، ٢٠٧.
- (٢) انظر: الصلابي، علي بن أبي طالب، المبحث الثالث (علي ﷺ في عهد عثمان)، ص ١٩٣.
- (٣) انظر تفصيلات ذلك عند: عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٤٨؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ١٩٣ - ٢٠٣.
- (٤) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٥؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ص ٢٩٩؛ عبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٤٨.
- (٥) انظر: السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، الجزء الأول وفيه تفاصيل متعددة؛ وعبدالعزيز العُمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، ص ١٥٢.
- (٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧، ١٥٩.
- (٧) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٦١.

كما أتم في أيامه فتح أذربيجان وأرمينية والديلم، حتى وصل إلى بحر قزوين.<sup>(١)</sup> وامتدت الفتوحات إلى كابل وما جاورها. وفي أيامه تم التخلص نهائياً من مملكة الفرس بقتل آخر ملوكها يزدجرد.<sup>(٢)</sup>

وقد امتد الإسلام في زمانه في سائر المناطق المفتوحة، وحاول المسلمون الامتداد إلى إيطاليا والاندلس من خلال البحر الأبيض المتوسط بواسطة الأساطيل البحرية.<sup>(٣)</sup> كما هدد القسطنطينية وممراتها المائية.

وشهدت الدولة الإسلامية في أيامه تطوراً إدارياً وتنظيماً، ففي أيامه قام بتوسعة المسجد النبوي سنة ٢٩هـ.<sup>(٤)</sup>

كما سار على سياسة مالية شبيهة بسياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العطاء والخراج والدواوين المختلفة، وإعطاء الحقوق لأهلها وحفظ المال العام.<sup>(٥)</sup>

ولعل أهم عمل وأرجاه لعثمان جمعه الناس على مصحف واحد، وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري في صحيحه لعله يوضح صورة ذلك بالتفصيل، فقد حدث (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٨، ١٦٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١١؛ الطبري، تاريخه، ج ٧١/٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥٨/٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٩٣/٣ بعنوان (ذكر غزو الأندلس).

(٤) الطبري، تاريخه، ج ٣٦/٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥٤/٧؛

السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٥٠٥/٢؛ وانظر: تفصيلات ذلك عند: صالح لمعي مصطفى،

المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص ٦٤؛

وعبدالعزيز كعكي، المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ج ١٢٤/١.

(٥) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ١٢٩.

اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصُّحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة. وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق، قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدتُ آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف).<sup>(١)</sup>

لقد كان واضحاً أن النسخ كان بشورى من الصحابة وبدقة متناهية، واعتمد فيها على المصحف الأصلي الذي جمع في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.<sup>(٢)</sup>

وقد قام رضي الله عنه بإرسال نسخ إلى الأمصار الإسلامية وأمر بتوحيد مصاحف الناس ومراجعتها عليها. وعُد كل نسخة في مصر من الأمصار أصلاً للمراجعة والتطبيق. وهذه الأصول كما هو معروف رويت عن شيوخ القراء من الصحابة،

(١) البخاري، صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦/٩٩.

(٢) انظر: الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٢٦٩ - ٢٧١.

وخبراء لغة قريش ومن تابع نزول القرآن وترتيبه وحفظه على رسول الله ﷺ،  
متصلة السند إلى رسول الله عن جبريل عن الرب ﷺ.

وما تزال بعض هذه النسخ محفوظة إلى اليوم، منها نسخة في طاشكند  
في أوزبكستان، ونسخة في اليمن وقد شاهدها بنفسه في جامع صنعاء سنة  
١٣٩٧هـ، ونسخة في إسطنبول في متحف توب قابي، ووقفت عليها سنة  
١٤٠٧هـ.<sup>(١)</sup>

ولعل بقاء هذه النسخ الأصلية إلى الآن، مما يؤكد مصداقية روايات  
المسلمين حول إرسال النسخ إلى الأمصار زمن عثمان بن عفان ﷺ.

وفي آخر خلافة عثمان ﷺ تأمرت مجموعة من السبئيين وخططوا لقتله  
وإحداث الفتنة والانقسام في الأمة،<sup>(٢)</sup> وتعاون معهم في ذلك بعض من ارتد  
سابقاً أيام أبي بكر، وكان لعبدالله بن سبأ - الذي كان يهودياً فأظهر  
إسلامه - دور في بث الدعاية ضد عثمان، وخصوصاً في مصر والعراق. وقد  
أدى ذلك إلى قدوم المئات من الناقمين، الذين قدموا إلى المدينة، وتظاهروا  
بالأمر بالمعروف، وناقشوا عثمان في بعض الأمور، وتظاهروا بالاعتناق برأيه،  
وأخذوا طريقهم إلى العراق ومصر. وبعد أن خرج أهل المدينة إلى الحج سنة  
٣٥هـ عادوا إلى المدينة وحاصروا عثمان في داره، زاعمين أنه كتب إلى ولاته  
بقتلهم، فأنكر عثمان ذلك، واشتد الحصار عليه، ودافع عنه علي بن أبي  
طالب ﷺ وبنوه،<sup>(٣)</sup> والزيير بن العوام وابنه عبدالله، وأبو هريرة وعبدالله بن

(١) انظر المبحث الذي كتبه: صبحي الصالح، في: مباحث في علوم القرآن، موضوع: (أين  
أصبحت المصاحف العثمانية الآن)، ص ٨٧.

(٢) راجع تفصيلات ذلك عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧٦/٧ - ١٩٢؛ أكرم العمري،  
عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٧٨ - ٣٩٢؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٠٣ - ٤٩٧.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٢٢٤/١٥؛ سليمان بن حمد العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في  
أحداث الفتنة، ص ١٥٥.



عمر، وجماعة من الأنصار وغيرهم، ممن وُجدوا في المدينة أثناء الحصار، وطلبوا من عثمان أن يأذن لهم بالقتال دفاعاً عنه، لكن عثمان أمرهم بالكف، وقال: (أعزم على كل من لي طاعة عليه ألا يقاتل)،<sup>(١)</sup> وطلب المحاصرون من عثمان أن يعزل نفسه عن الخلافة، لكنه أصر على الثبات لا حرصاً على المنصب، لكنه تأوّل ما أمره به رسول الله ﷺ من التمسك بالقميص أو السربال الذي أمره الرسول ﷺ بالإمساك به إن أراد المنافقون على خلعه،<sup>(٢)</sup> حيث أمره بالصبر حتى يلقي رسول الله ﷺ، ولذلك أثار أن يكون المصاب هو وحده، وأقسم على المدافعين عنه بالانصراف،<sup>(٣)</sup> ولم يستجب لطلب أهل الفتنة بخلع نفسه،<sup>(٤)</sup> انتظاراً للقاء رسول الله ﷺ والثبات على وصيته، وهو المبشر بالجنة ﷺ. وقد منع أهل الفتنة الماء عن دار عثمان ﷺ، فناله العطش، وحاولت بعض أمهات المؤمنين إيصال الماء إليه فنالهن أذى أهل الفتنة،<sup>(٥)</sup> وبقي دون مدافعين، حيث انصرفوا بعد أن أقسم عليهم عثمان بذلك.<sup>(٦)</sup> وكانوا مستعدين للدفاع عنه، واقتحم أهل الفتنة الدار وقتلوا عثمان ﷺ شهيداً صابراً محتسباً، وهو المبشر بالجنة، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ وعمره ٨٢ سنة، حيث كان معظم أهل المدينة في موسم الحج في مكة، وكان قد رأى النبي ﷺ في المنام يدعو للإفطار عنده وهو صائم.<sup>(٧)</sup>

(١) ابن عساکر، تاريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٢٧٤ نقلاً عن: د. أكرم العُمري، عصر

الخلافة الراشدة، ص ٣٨٧؛ وأبو بكر ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٤١.

(٢) سبق تخريج الرواية.

(٣) انظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٣٨ - ١٤١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧١/٣.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧٢/٣.

(٥) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٤٠١/٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣٧/٢.

(٦) انظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٤٥.

(٧) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧٦/٣، ٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧/١٩٢.

وقد حزن الصحابة لاستشهاد عثمان، كان على رأسهم عليٌّ عليه السلام الذي كان كارهاً لمقتل عثمان حزيناً عليه وهو صهره وقريبه.<sup>(١)</sup> ومع ذلك حاول أهل الفتنة أن يشيعوا في الناس رضا عليٍّ بقتل عثمان إمعاناً في المكر بالأمة، وسعيًا وراء الانقسام والفساد،<sup>(٢)</sup> وبعد قتله نهب أهل الفتنة بيت مال المسلمين المجاور لدار عثمان.<sup>(٣)</sup>

### حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام (سيد الشهداء):<sup>(٤)</sup>

عم رسول الله عليه السلام، وُلِدَ قبله بأكثر من سنتين، نشأ وترعرعا وشباً سوياً وأحب كل منهما الآخر.<sup>(٥)</sup>

كان فارساً قوياً مغواراً ذا غيرة وحمية، مولعاً بالصيد يجيد الرمي. وفي قصة إسلامه؛ أن أبا جهل آذى رسول الله عليه السلام في يوم من الأيام، واشتد في ذلك، وشتم الرسول عليه السلام ونال منه، ثم انصرف إلى نادٍ من أندية قريش. وكانت مولاة لعبدالله بن جدعان ترى ذلك، فلما أقبل حمزة عليه السلام راجعاً من رحلة صيد، قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم، وقصت عليه ما جرى من أذى للنبي عليه السلام، فتوجه مغضباً، ودخل المسجد وتوجه إلى أبي جهل وكان جالساً في القوم، فقام على رأسه

(١) انظر: الحاكم، المستدرک، ج٣/٩٥؛ الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٩.

(٢) الصلابي، عثمان بن عفان، ص ٤٨٥.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج٥/٤٠٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٦٨.

(٤) الحاكم، المستدرک، ج٣/١٩٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤/٤٨؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٧٣.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٧١؛ وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١/٧١؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/٣٠٤.

وضربه بالقوس ضربة شديدة، شجّت رأسه شجّةً منكراً، وقال له: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردّ عليّ ذلك إن استطعت؟ فقام بعض الرجال لينصروا أبا جهل فقال: دعوا أبا عمارة فوالله إنني قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.<sup>(١)</sup>

كان إسلام حمزة ﷺ عن اقتناع تامّ، قد يكون اقتناعه بالإسلام سابقاً هذا الموقف، إلا أن الموقف أسهم في إظهاره. وكان إسلامه في السنة السادسة من البعثة، كان حمزة حسن الإيمان، حريصاً على تعلم القرآن عاملاً به، مدافعاً عن النبي ﷺ قبل الهجرة وبعدها واعتبر إسلامه نصراً وقوة للمسلمين.

كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، المقاتلين الأشداء مع رسول الله ﷺ، بدأ بنفسه معركة بدر بمبارزة عتبة بن ربيعة فقتله، ثم شارك في قتل ابنه الوليد بن عتبة، ولذلك أصبح هدفاً محدداً لمشركي مكة في المعارك اللاحقة، لما يرون من مكانته وقوته في صفوف المسلمين، فاستأجرت هند بنت عتبة رامياً ماهراً هو (وحشي) الحبشي ليتفرغ لمهمة اغتيال حمزة ﷺ من على بُعد مقابل حُرَيْتِه وَعَتَقِه.

وترصد وحشي لحمزة وهو يصول ويجول في أحد، حتى إذا شاهد حمزة ترصد له، ثم هزّ حربيته وبعد أن وثق بها رماها على حمزة من بُعد، ف وقعت في ثنته - ما بين أسفل البطن والعانة - حتى خرجت من رجليه، فوقع شهيداً ﷺ، وقد مثلت نساء قريش بجسد حمزة ﷺ، وبُقر بطنه وجُدع أنفه

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٢٩١: انظر: إسلام حمزة، من هذا الكتاب.

وأذناه،<sup>(١)</sup> ولما رآه الرسول ﷺ على تلك الحال حزن حزناً شديداً على ذلك وتوعد بالانتقام له فنزل عليه قوله - تعالى -: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (١٢٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨) [النحل]، فعفا رسول الله ﷺ ونهى عن المثلة، ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ثم جيء بالقتلى بجواره يصلو عليهم حتى صلى رسول الله ﷺ على حمزة صلوات متكررة، ودفن مع شهداء أحد في المكان المعروف بجوار جبل أحد بمقابر الشهداء، وكان استشهاده يوم السبت النصف من شوال السنة الثالثة من الهجرة.<sup>(٢)</sup> وحينما شاهد النبي بكاء نساء الأنصار على شهدائهن قال: ((لكن حمزة لا بواكي له))، فبكته نساء الأنصار حتى قال لهن النبي ﷺ: ((ارجعن يرحمكم الله فقد آسيين بأنفسكن)).<sup>(٣)</sup>

وكان له ﷺ بنت أراد بعض أهل البيت أن يتزوجها النبي ﷺ فقال ﷺ: ((علمت، أنها ابنة أخي من الرضاعة)).<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: غزوة أحد، من هذا الكتاب؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/١٧٩؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٩٦؛ خليفة بن خياط، ص ٦٨؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٤١.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٧٠، ٩٢، ٩٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/١٨٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، ج ٦/١٢٥.

وقد قال عنه ﷺ: ((سيد الشهداء حمزة)).<sup>(١)</sup>

وبعد استشهاد رثاه عدد من شعراء الرسول ﷺ منهم عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهم.<sup>(٢)</sup>

**جعفر بن أبي طالب ﷺ (ذو الجناحين الطيار):**<sup>(٣)</sup>

ابن عم الرسول ﷺ، أخ لعلي بن أبي طالب، عُرف بذوي الجناحين، ولد قبل البعثة بتسع عشرة سنة تقريباً، وهو أسن من أخيه علي ﷺ بعشر سنوات، من أشبه الناس برسول الله ﷺ وقد قال عنه ﷺ: ((أشبهت خلقي وخلقي)).<sup>(٤)</sup> أسلم جعفر وزوجته أسماء بنت عميس على يد أبي بكر الصديق ﷺ في مرحلة مبكرة، فكان من أوائل من آمن برسول الله ﷺ، فناله الأذى من المشركين في مكة. خرج مهاجراً إلى الحبشة مع زوجته أسماء بنت عميس، فبقي فيها ما يقارب ثلاثة عشر عاماً، رُزقا خلالها بأولادهما الثلاثة، كان خلالها يتابع أحوال المهاجرين إلى الحبشة ويتفقدهم ويعلمهم ويحفظ ويتابع ما نزل من القرآن مما يصله مع المهاجرين الجدد.

وقد حاولت قريش استعادة جعفر ومن معه من المهاجرين، وبعثت لذلك وفداً استعدى النجاشي الملك العادل في الحبشة، فقام جعفر ﷺ أمام النجاشي، وكان خطيباً حكيماً، فقال: (أيها الملك، كنا قومًا أهل

(١) انظر: تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ١/١٧٣.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/١٥٨، ١٦٢.

(٣) وضع البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب ﷺ وقال له النبي ﷺ: أشبهت خلقي وخلقي، ج ٤/٢٠٩.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب (وجعل العبارة في عنوان الباب)، ج ٤/٢٠٩.

جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، فخرجنا إلى بلادك، واخترتناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك).

فقال عمرو بن العاص - قبل إسلامه - وهو أحد موفدي قريش للنجاشي: (أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً)، فأجاب جعفر رضي الله عنه نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: فهو عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فقال النجاشي: هل معك مما جاء به الله من شيء، فقال جعفر: نعم، فقرأ عليه صدر سورة مريم، فبكى النجاشي وبكت أساقفته، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون، ومنح المسلمين الأمان الكامل في بلده ورد على كفار قريش هداياهم، التي أرادوا رشوته بها والتأثير على قراره.

وقد ثبت إسلام النجاشي ويذكر البعض أنه أسلم على يد جعفر بن أبي طالب وكان يعلمه أمور الدين.<sup>(١)</sup>

وعندما أراد جعفر العودة من الحبشة بعد الهجرة، حمله النجاشي ومن

(١) انظر: تفصيلات القصة ومصادرها في موضوع الهجرة إلى الحبشة، من هذا الكتاب.

معه من المسلمين على سفينتين، فقدم جعفر بن أبي طالب وأصحابه على رسول الله فقبل الرسول ﷺ بين عينيه والتزمه، وقال: ((ما أدري بأيهما أنا أسرّ بفتح خيبر، أم بقدم جعفر!)).<sup>(١)</sup> وكان ﷺ متحمساً للدفاع عن الإسلام بعدما سمع بطولات الصحابة في بدر وأحد وما بعدها.

وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين. ورد عن أبي هريرة: (إن كنت لألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقري الرجل الآية، وهي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخيرَ الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليُخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلَعُ ما فيها).<sup>(٢)</sup>

كان ﷺ أحد قواد مؤتة، وبها استشهد، حين بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: ((عليكم زيد فإن أصيب فجعفر فإن أصيب فابن رواحة)).

فوثب جعفر وقال: بأبي أنت وأمي، ما كنت أرهب أن تستعمل زيدا عليّ، قال: ((أمض فإنك لا تدري أي ذلك خير))، فانطلق الجيش، فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن يُنادى: الصلاة جامعة، قال ﷺ: ((ألا أخبركم عن جيشكم، إنهم لقوا العدو فأصيب زيد شهيداً فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر فشدد على الناس حتى قتل، ثم أخذه ابن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيداً، ثم أخذ اللواء خالد))، ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه، فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه وقال: ((اللهم هو

(١) انظر: فتح خيبر، من هذا الكتاب.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب،

سيف من سيوفك فأنصره)) فيومئذ سمي سيف الله. وفي قصة استشهاده ورد أنه اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل حتى قتل. وهو أول من عقر في الإسلام. وكان يردد أبيات نقلتها الأمة عنه إلى هذا الزمان منها:

يا حبذا الجنة واقتربها طيبةً وباردٌ شرابها  
والروم رومٌ قد دنا عذابها كافرٌ بعيدٌ أنسابها  
عليّ إذ لاقيتها ضرابها

ولما لقي المشركين، أصابوه واللواء بيده اليمنى فقطعت، ثم باليسرى فقطعت، وقد ضربه رومي فقطعه نصفين فوجد في نصفه بضعة وثلاثون جرحاً.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (فقدنا جعفرًا يوم مؤتة، فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعة وتسعين، وجدنا ذلك فيما أقبل من جسده). وقد ورد عن أسماء بنت عميس زوجة جعفر قالت: (دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا ببني جعفر) فرأيته شمهم وذرفت عيناه فقلت: (يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغك عن جعفر شيء؟) قال: ((نعم قتل اليوم))، فقمنا نبكي ورجع فقال: ((اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم)). وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (لما جاءت وفاة جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن)، <sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً في الجنة مضرجة قوادمه بالدماء يطير في الجنة)). <sup>(٢)</sup>

كان ابن عمر رضي الله عنه إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال: (السلام عليك يا

(١) انظر مزيداً من التفاصيل معركة مؤتة، من هذا الكتاب.

(٢) انظر مزيداً من التفاصيل معركة مؤتة، من هذا الكتاب.



ابن ذي الجناحين<sup>(١)</sup>. وقد تزوجت أم أولاده أسماء بنت عميس من أبي بكر الصديق ﷺ، فأنجبت منه محمد بن أبي بكر. وبعد أن توفيت أبو بكر ﷺ تزوجت من علي ﷺ، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما: (أبي خير من أبيك)، فقال علي: (يا أسماء أفضي بينهما)، فقالت: (ما رأيت شاباً كان خيراً من جعفر ولا كهلاً خيراً من أبي بكر)، فقال علي: (ما تركت لنا شيئاً ولو قلت غير هذا لمقتك<sup>(٢)</sup>).

### صفية بنت عبدالمطلب ﷺ:

عمة رسول الله ﷺ، شقيقة حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء، وزوجة العوام بن خويلد أخو أم المؤمنين خديجة ﷺ، وأم الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وزوج السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق<sup>(٣)</sup>.

أسلمت في مكة وهاجرت مع ولدها الزبير بن العوام ﷺ، كانت من عشيرة الرسول ﷺ وأهله الذين أنذرهم حين نزل عليه قوله - تعالى - : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء]، فنادها باسمها: ((يا فاطمة بنت محمد يا صفية ...)).<sup>(٤)</sup>

كانت تساعد جرحى المسلمين في غزوة أحد، وحين استشهد حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وشقيقها ومثلت به قريش أقبلت صفية لتتظر إلى

(١) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب جعفر بن أبي طالب، ج ٤/٢٠٩.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٨٢، ٢٨٦؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٨/٢٨٧.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٣٤٨؛ ابن حبيب، المحبر، ص ١٧٢، ٤٠٦.

(٤) انظر: الزبير، نسب قريش، ص ٢٣.

أخيها الشهيد، فأدركها ابنها الزبير وخشي عليها إن نظرت إليه وقد مُثِّل به فقالت: إليك عني، وكانت امرأة جلدة شجاعة صابرة، وقالت: بلغني أنه مُثِّل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله فجاء الزبير فأخبره فقال: (خل سبيلها) فأنت إليه واستغفرت له.<sup>(١)</sup>

ثم قالت بعد ذلك أبياتاً تراثية وكانت شاعرة. وكان مما قالت:

دعاه إله الحق ذو العرش دعوةً

إلى جنة يحيى بها وسرورٍ

فذاك ما كنا نرجي ونرتجي

لحمزة يوم الحشر خير مصيرٍ

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا

بُكاءً وحزنًا محضري وميسري

على أسد الله الذي كان مدرها

يذود عن الإسلام كل كفورٍ

أقول وقد أعلى النعي عشيرتي

جزى الله خيرًا من أخٍ ونصيرٍ<sup>(٢)</sup>

وفي غزوة الأحزاب جعل رسول الله ﷺ النساء والصبيان في حصن فارع لحمياتهم من اليهود والمنافقين، فمر رجل من يهود بالحصن فجعل يطيف بالحصن فنزلت إليه صفة فضريته بعمود فقتلته.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٩٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٨٠.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/١٦٧.

(٣) انظر: غزوة الأحزاب، من هذا الكتاب.

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة خيبر، وشهدت مبارزة ابنها الزبير لفارس اليهود ياسر أخو مرحب وخافت عليه وقالت: يا رسول الله: أيقتل ابني؟ قال بل ابنك يقتله إن شاء الله، فتبارزا فقتله الزبير.<sup>(١)</sup>

وحينما توفى رسول الله ﷺ رثته صفيية رضي الله عنها بأبيات من الشعر، وكان مما قالت:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا  
وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا  
وَكُنْتَ رَحِيمًا هَادِيًا وَمَعْلَمًا  
لِيَبْكُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيَا  
فَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أُمَّي وَخَالْتِي  
وَعَمِّي وَخَالِي ثُمَّ نَفْسِي وَمَالِيَا  
فَلَوْ أَنَّ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَى نَبِيَّنَا  
سُئِدْنَا وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَاضِيَا  
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ تَحِيَّةً  
وَأُدْخِلْتَ جَنَّاتٍ مِنَ الْعَدْنِ رَاضِيَا<sup>(٢)</sup>

كما رثته بأبيات أخرى قالت فيها:<sup>(٣)</sup>

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعَةٍ وَسُهُودِ  
وَأَنْدَبِي خَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِ

(١) انظر: غزوة خيبر، من هذا الكتاب.

(٢) الصلابي، السيرة النبوية، ج ٢/٦٩٨ - ٦٩٩، نقلًا عن القرطبي في تفسيره.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٧١.

وَأُنْدُبِي الْمُصْطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيدٍ  
 خَالَطَ الْقَلْبَ فَهَوَّكَ الْمَعْمُودِ  
 كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ لِمَا أَتَاهُ  
 قَدَرٌ خُطٌّ فِي كِتَابِ مَجِيدِ  
 فَاقْدُ كَأَنَّ بِالْعِبَادِ رَوْفًا  
 وَلَهُمْ رَحْمَةٌ، وَخَيْرٌ رَشِيدِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيًّا، وَمَيِّتًا  
 وَجَزَاهُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ

وقد عاشت مُكرمة معززة فترة خلافة أبي بكر، وجزءاً من خلافة عمر، وكان من أبنائها وأبناء أبنائها عدد من المجاهدين الفاتحين لمصر والشام وغيرها، وعلى رأسهم الزبير بن العوام وحفيدها عبد الله بن الزبير وغيرهم.<sup>(١)</sup>

وقد توفيت سنة عشرين من الهجرة بالمدينة المنورة، ودفنت في البقيع، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة، رضي الله عنها وأرضاها.<sup>(٢)</sup>

#### العباس بن عبد المطلب ﷺ:

عم النبي ﷺ، أَسَنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بسنتين أو ثلاث،<sup>(٣)</sup> جمعت بينهما القرابة والصداقة في الصغر والشباب، كانت فيه صفات حميدة زادت من حميته للنبي ﷺ، منها صلة الرحم والكرم والخلق الحسن، يكنى بأبي

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/٢٢٧؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٥؛

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٧١؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤/٣٤٨.

(٢) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٠٥.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٧٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/٥.

الفضل لم يُعرف إسلامه إلا يوم فتح مكة.<sup>(١)</sup>

رأى الكثير من العلماء أنه قديم الإسلام، إلا أنه لم يُظهر ذلك، وكان يكتبه في وقت كان يخدم فيه النبي ﷺ، وكانت مواقفه شاهداً على ذلك ومنها أنه استوثق للنبي ﷺ من الأنصار في بيعة العقبة الثانية، حيث قال: (يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل ما رأينا فيه، فهو في عز في قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده).<sup>(٢)</sup>

وقد بقي في مكة بعد الهجرة، وخرج في غزوة بدر مع قريش وهو مستكره. وقد قال الرسول ﷺ حينها: ((إني أعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مستكراً)).<sup>(٣)</sup> وهذا نص واضح في كرهه قتال المسلمين، بل من الواضح دفاعه عن الرسول ﷺ ودفاع الرسول عنه.

وقد أُسر العباس في بدر ودفع الفدية للمسلمين ليُفك من الأسر، ومع ذلك لم يظهر منه عداً وعدم محبة، وقيل إنه نزل فيه قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ

(١) انظر: فتح مكة، من هذا الكتاب؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٧٨.

(٢) انظر: بيعة العقبة الثانية، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/٦٢٩؛ وانظر: غزوة بدر، من هذا الكتاب.

قُلْ لِمَنْ فِيهِ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَٰعْلَمَ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ [الأنفال].

ويرى الكثيرون أن العباس عليه السلام كان عيناً للنبي ﷺ في مكة حتى فتحها. <sup>(١)</sup> وبعد فتح مكة ظهر إسلام العباس عليه السلام، وكان سبباً في إجارة أبي سفيان حتى إذا عُرض عليه الإسلام أسلم، مما يدل على معرفة المسلمين له وأنه محسوب عليهم فلم يتعرض لأي أذى.

وقد خرج مع الرسول ﷺ إلى حنين، وكان من القلائل الذين ثبتوا حول النبي ﷺ ومعه ابنه الفضل بن العباس، <sup>(٢)</sup> وكان يصيح بأعلى صوته يا معشر الأنصار، يا أصحاب رسول البيعة، مُذكراً إياهم ببيعة العقبة التي شهدها بنفسه، ورد أن النبي ﷺ قال عنه: ((إنما العباس صنو أبي فمَنْ آذَى العباس فقد آذاني)). <sup>(٣)</sup> كان يخدم الحجاج بالسقاية والرفادة، وقد سقى النبي ﷺ في حجة الوداع. <sup>(٤)</sup>

شارك في تجهيز النبي ﷺ وتغسله بعد وفاته. <sup>(٥)</sup>

عاش في المدينة بعد فتح مكة، وعاصر أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكانت له مكانة خاصة في قلوب الأمة. <sup>(٦)</sup>

وقد خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة يستغيث بالمسلمين، وخرج بالعباس عم النبي ﷺ، وقد أمسك بيد العباس وهو يدعو: (اللهم إنا كنا

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١/٨٥٥.

(٢) انظر: غزوة حنين، من هذا الكتاب؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٤/١٩.

(٣) انظر: تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ٢/٩٠.

(٤) انظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب.

(٥) انظر: وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٤/٥.

نستسقي بنبيك وهو بيننا ، اللهم وإنا اليوم نستسقي بعم نبيك فاسقنا) ،  
فنزل الغيث بأمر الله.<sup>(١)</sup>

توفي ﷺ في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رجب سنة ٣٢ من  
الهجرة.<sup>(٢)</sup>

كان له عدد من الأولاد ، فيهم متقدمون عاصروا النبي ﷺ وفيهم  
متأخرون ويمكن معرفة من عاصر النبي منهم وهم:

#### الفضل بن عباس ﷺ (الردف):<sup>(٣)</sup>

ابن عم النبي ﷺ وبه كان يُكنى فهو أكبر أولاد العباس ،<sup>(٤)</sup> أمه لبابة  
بنت الحارث التميمية وبه يكنى فيقال له أبا الفضل ، وخالته ميمونة بنت  
الحارث.<sup>(٥)</sup>

شهد فتح مكة وصحب الرسول ﷺ في غزوة حنين ، وثبت مع والده  
العباس مع النبي ﷺ في حنين حين فرّ الناس ،<sup>(٦)</sup> كان رجلاً وسيماً أبيض  
حسن الشعر.

كان رديف النبي ﷺ في حجة الوداع ، شاباً جميلاً بدأ ينظر إلى امرأة  
وتنظر إليه فصرف النبي ﷺ وجهه والناس ينظرون إليه.<sup>(٧)</sup> هو الذي غسل

(١) انظر: عمر بن شبة ، تاريخ المدينة ، ج٢/٧٣٨: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢/٩٧.

(٢) انظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢/٩٧.

(٣) انظر: وصف العلماء له بالردف حيث ثبت أنه رديف رسول الله ﷺ في حجة الوداع (انظر:

ابن حبيب ، المحبر ، ص ٤٥٥)؛ والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣/٤٤٤.

(٤) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، ج٤/٥٤: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣/٤٤٤.

(٥) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، ج٤/٥٤.

(٦) انظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤/٥٤: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣/٤٤٤.

(٧) انظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤/٥٥: ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٠٧.

إبراهيم بن النبي ﷺ عند موته،<sup>(١)</sup> شارك في تجهيز النبي ﷺ مع والده العباس، وكان يصب الماء على عليٍّ ﷺ،<sup>(٢)</sup> كانت له بنت وحيدة هي أم كلثوم بنت الفضل، تزوجها الحسن بن علي ﷺ ثم فارقها فتزوجها أبو موسى الأشعري ﷺ.<sup>(٣)</sup>

كان من المجاهدين في الفتوح في خلافة أبي بكر وعمر، وقد شارك في فتوح الشام واستشهد في طاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.<sup>(٤)</sup>

**عبد الله بن عباس ﷺ (الحَبْر):**<sup>(٥)</sup>

حبر الأمة وأعلمها بالتفسير، صحابي جليل، ابن عم النبي ﷺ. ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات،<sup>(٦)</sup> هاجر إلى المدينة مع أبويه بعد فتح مكة. كان محباً للعلم منذ صغره مقبلاً على حفظ القرآن وتعلمه، دعا له النبي ﷺ: ((اللهم فقهه في الدين)) وفي رواية ((وعلمه التأويل)).<sup>(٧)</sup> لازم النبي ﷺ بعد انتقاله مع والده العباس إلى المدينة، كان يدخل كثيراً على خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وقد صلى مع الرسول ﷺ قيام الليل في منزلها،<sup>(٨)</sup> اشتهر في الأمة بعلم التفسير ومعرفة أسباب النزول حتى أصبح رأيه

(١) انظر: الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣/٣٩٥.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤/٥٥؛ وانظر: وفاة النبي ﷺ، من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٤٣٩.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤/٥٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٤٤٤.

(٥) هكذا وصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٣١.

(٦) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/١٣٢.

(٧) رواه أحمد في المسند، ج ١/٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٥؛ انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم،

باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب، ج ١/٢٧؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢/٣٦٥.

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ١/٣٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢/٣٦٥.



مقدماً على غيره في التأويل وأسباب النزول.<sup>(١)</sup> استمر في التعلم من شيوخ الصحابة وملازمتهم بعد وفاة النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهم.<sup>(٢)</sup> كان له مجلس يُعلم الناس فيه في المدينة، ثم في الطائف يقصده الناس لذلك من مختلف الأمصار،<sup>(٣)</sup> اشتهر بقضاء حوائج الناس والشفاعة لهم بالخير، كثير الطاعات والخشوع.

أثنى على علمه كثير من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما،<sup>(٤)</sup> وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص على مشاورته،<sup>(٥)</sup> ويدنيه من مجلسه ويستأنس برأيه وعلمه. روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى، معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: ما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، قال: ما تقولون في قوله - تعالى -: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ [النصر] حتى ختم السورة فقال: بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله - والفتح فتح مكة - فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم).<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢/٣٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٤٤٤.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤/٣٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٤٣.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٥٤.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢/٣٦٩.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢/٣٦٩.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ج ٥/٩٣.

كان من المقربين من عثمان رضي الله عنه يفتي الناس في عهده. <sup>(١)</sup> وكان علي رضي الله عنه يدينه منه ويعمل برأيه. <sup>(٢)</sup> وقد ولاه على البصرة ثم اعتذر عنها بعد فترة من الوقت، <sup>(٣)</sup> وكان من أهم أمراء علي رضي الله عنه، شارك معه في معركة صفين، وكان من المناصرين له باستمرار. <sup>(٤)</sup> بعثه علي رضي الله عنه على الحج بالناس نيابة عنه سنة ٣٨ هـ. <sup>(٥)</sup>

اشتهر بمناظرتة الخوارج الحرورية في النهروان، وبقوة حجته ومستنده. <sup>(٦)</sup>

على الرغم من أنه شهد مع علي رضي الله عنه (الجمل) و(صفين) فقد كان حريصاً على حقن دماء المسلمين، وعندما همّ الحسين رضي الله عنه بالخروج إلى العراق بعدبيعة يزيد بن معاوية، تعلق به ابن عباس وجهد في منعه من التوجه للعراق لخشيته عليه من خذلان أهل العراق له، فلما بلغه نبأ استشهاد رضي الله عنه حزن عليه ولزم داره. <sup>(٧)</sup>

كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن النبي، بلغ مسنده ١٦٦٠ حديثاً، كما كان من أكثر الصحابة فقهاً، وله اجتهادات تميزه عن غيره من الصحابة. <sup>(٨)</sup>

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢/٣٦٦.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٥٣.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٢٠١؛ الطبري، تاريخه، ج ٥/٢٣٦؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١/٧٩.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٥٣؛ خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٩٤.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٩٢.

(٦) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٦/٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧/٢٧٩.

(٧) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٦/٨١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٣/٣٩٨.

(٨) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢/٣٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٥٠.

وكانت وفاته سنة ٦٨ هـ بالطائف بعد أن كف بصره وعُمره إحدى وسبعون سنة<sup>(١)</sup>.

وما يزال مسجده مشهوراً وسط الطائف باسمه (مسجد ابن عباس) ﷺ.

### عبيد الله بن عباس ﷺ (الجواد):<sup>(٢)</sup>

ولد في حياة النبي ﷺ، وهو أصغر من أخيه عبدالله،<sup>(٣)</sup> وشقيقه، رأى النبي ﷺ، كان من تجار المدينة في عصر الراشدين، واشتهر بكرمه وجوده، ولذلك قال الناس: إن عبدالله بن عباس يوسع الناس علماً وعبيد الله ابن عباس طعاماً ومالاً. وكان من أجود الناس في زمانه يسد الحاجة ويقضي الدين.<sup>(٤)</sup>

أمّره علي بن أبي طالب ﷺ على اليمن، وكان أميراً للحج سنة ٣٦ و٣٧ هـ.<sup>(٥)</sup>

أمه (أم الفضل) لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، وخالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية.<sup>(٦)</sup>

كان له احتكاك كبير بها كأخيه عبدالله بن عباس، مات عبيد الله في المدينة سنة ٥٨ هـ.<sup>(٧)</sup>

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٥٩.

(٢) هكذا سماه ابن حبيب في المحبر، ص ١٤٧.

(٣) انظر: الزبير، نسب قريش، ص ٤٧.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ١٤٧؛ الزبير، نسب قريش، ص ٢٧.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٢٠٠؛ الطبري، تاريخه، ج ٥/١٦١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠/٢١.

(٦) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ١٠٧.

(٧) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٥١٤.

### قثم بن العباس رضي الله عنه:

هو ابن عم النبي ﷺ العباس بن عبدالمطلب، شقيق لعبدالله بن عباس، ولد في أواخر حياة النبي ﷺ، أمه لبابة بنت الحارث التميمية،<sup>(١)</sup> أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، أخٌ للحسين بن علي رضي الله عنه من الرضاعة، ولذلك فإن سنهما متقاربة،<sup>(٢)</sup> حيث أرضعت أمه الحسين بن علي لبنه.

كان يشبه النبي ﷺ في خلقه وصورته.<sup>(٣)</sup> ورد أن النبي ﷺ حمله بين يديه وهو صغير.<sup>(٤)</sup> كان صغير السن حين وفاة النبي ﷺ، ولذلك ورد أنه أصغر من شهد النبي ﷺ.<sup>(٥)</sup>

عاش زمن الراشدين وكانوا يقدرونه لقربته من رسول الله ﷺ.

ولما ولي علي بن أبي طالب استعمل قثمًا أميراً على مكة.<sup>(٦)</sup> وقد شهد معه الجمل وصفين.<sup>(٧)</sup>

وفي عصر معاوية خرج مجاهداً في المشرق، واستشهد رضي الله عنه في نواحي سمرقند سنة ٥٧ من الهجرة، ولم يكن له عقب من بعده.<sup>(٨)</sup>

وهكذا نرى أن أبناء العباس كانوا من العلماء والأمرء المجاهدين،

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٥٤٠.

(٢) انظر: الإمام أحمد، المسند، ج٦/٣٣٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٠.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/٣٦٧.

(٤) الزبير، نسب قريش، ص ٢٧.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤١.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/٣٦٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٠.

(٧) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٦٠ - ٢٧٣.

(٨) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤١؛ ابن حبيب، المحبر، ص ١٠٧.

استشهد بعضهم في أقصى المشرق وآخرون في أقصى المغرب، وغيرهم في اليمن، وهكذا كانت مساهمتهم عظيمة في أحداث الأمة بعد وفاة النبي ﷺ.

### أم أيمن (حاضنة الرسول ﷺ):

هي بركة بنت ثعلبة بن عمر الحبشية، كانت مولاة لعبدالله والد النبي ﷺ، وقد ورثها بعد وفاة والده، عرفت النبي ﷺ منذ ولادته، ورقت له وعظفت عليه، وكانت مع أمه آمنة حينما سافرت بالنبي ﷺ إلى المدينة، وهو طفل صغير. وحينما توفيت آمنة أم النبي ﷺ بالأبواء في طريق العودة من المدينة، حملته أم أيمن واهتمت به وقدمت به إلى مكة،<sup>(١)</sup> وفرغت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها وحنانها، في وقت غمره جده عبدالمطلب بالحب والرعاية، وكان عبدالمطلب يتابع أم أيمن ويوصيها بالنبي ﷺ خيراً ويوجهها دائماً: يا بركة لا تغفلي عن ابني هذا. كان ﷺ يقول عنها: ((هي أمي بعد أمي)).<sup>(٢)</sup>

شب الرسول ﷺ بعد وفاة جده عند عمه أبوطالب، واستمرت أم أيمن ترعاه وتعطف عليه وتقوم على شؤونه حتى بلغ النبي ﷺ سن الرجال، وتزوج من خديجة ﷺ، فأعتق أم أيمن وزوجها من عبيد بن زيد الخزرجي، فولدت ابنها الأول أيمن الذي استشهد في غزوة حنين.

وحينما توفي زوجها، تزوجها زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، فولدت له أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: موضوع يتيماً آواه الله، من هذا الكتاب.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٤٣٢.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٤٩٩.

كانت من أوائل المؤمنين برسول الله ﷺ ، وقد هاجرت مبكرة إلى المدينة مع زوجها زيد بن حارثة وابنها الصغير أسامة بن زيد ، فكان بيتهم من أقرب البيوت منزلة لرسول الله ﷺ ، وكان يزورهم ويتعهدهم ويدعو لهم ، وقد عرفوا الرسول ﷺ قبل البعثة وخبروا صدقه وبره.<sup>(١)</sup>

كانت حريصة مع زوجها زيد بن حارثة على المشاركة مع رسول الله ﷺ في جهاده ، فشاركت مع نساء المسلمين في أخذ تسقي العطشى وتداوي الجرحى ، وقد أصيبت يوم أُحد بجرح من سهم رماها به أحد المشركين فوقعت ، فسخر منها ذلك المشرك ، فضربه سعد بن أبي وقاص فوقع فسخر منه المسلمون.<sup>(٢)</sup>

أصبحت قلقة يوم أُحد بما أشاعه المشركون من إصابة رسول الله ﷺ وأخذت تستطلع الأخبار بنفسها حتى اطمأنت عليه وعلى سلامته.

كانت ضمن النساء اللاتي صحبن الرسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، وقد استشهد زوجها زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ، فصبرت واحتسبت ، ثم استشهد ابنها أيمن في غزوة حنين ، فصبرت. وكان رسول الله ﷺ يواسيها ويزورها بنفسه في بيتها ويدعوها بأُم ويقول هذه بقية أهل بيتي.<sup>(٣)</sup>

كان يأنس بها وتتبسط معه بطريقة تثير استغراب الآخرين ، فقد طلبت أن يسقيها في أحد المرات ففعل ﷺ بكل أدب وتواضع ، واستغربت أمهات المؤمنين ذلك. وكثيراً ما تمازح الرسول ﷺ ، وكانت ﷺ قوية الصلة ببنات النبي ﷺ وبنسائه في حياته وبعد مماته ﷺ ، وهي ممن جهز فاطمة بنت

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٢٤.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٤٣٣.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٤٣٢.

النبي عند زواجها بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.<sup>(١)</sup>  
كانت قوية الصلة بأمهات المؤمنين، حيث تُعدُّ بمثابة الأم الحاضنة للنبي ﷺ.

وقد شهدت اختيار رسول الله ﷺ لابنها أسامة بن زيد لقيادة آخر جيش أعداه الرسول ﷺ. ولا شك أنها فرحت بذلك ووجهته ونصحته وهي أم شهيد، وزوجة شهيد.

حينما توفى الرسول ﷺ حرص أبو بكر وعمر وعلي على زيارتها، تقليدًا للرسول ﷺ، حيث كان يزورها. ومواساة لها فقد قال أبو لعمر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ انطلق بنا إلى أم أيمن ﷺ نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما رأتهما بكت رسول الله ﷺ، فقالا لها: ما يبكيك؟ فقالت: (ما أبكي إني لأعلم أن الرسول ﷺ إلى خير مما كان فيه، ولكن أبكي أن وحي السماء انقطع عنا، فجعلنا يبكيان معها).<sup>(٢)</sup>

توفيت ﷺ في المدينة المنورة سنة ٢٤ من الهجرة في خلافة عثمان، بعد وفاة عمر بعشرين يوماً.<sup>(٣)</sup>

زيد بن حارثة ("الحب" مولى رسول الله ﷺ):<sup>(٤)(٥)</sup>

هو الوحيد الذي ورد اسمه صريحاً في القرآن الكريم دون سائر الصحابة.

(١) انظر: زواج فاطمة ﷺ، من هذا الكتاب.

(٢) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٤١٣.

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٤٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٢٧.

(٤) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب زيد مولى النبي ﷺ، ج ٤/٢١٣.

(٥) سماه ابن سعد في الطبقات بـ(الحب)، ج ٣/٤٠.

وهو زيد بن حارثة بن شراحيل، سُبِيَ من أهله صغيراً واستُرِقَّ، اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد فوهبته للنبي ﷺ، <sup>(١)</sup> فأحسن إليه ورفق به وعامله أسمى وأرقى معاملة، فجاء أهله إلى مكة وطلبوا من النبي ﷺ أن يفدوه بالمال من الرق فأجابهم ﷺ: ((ادعوا زيدا وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني))، فجاء زيد فخيره النبي ﷺ أمام أهله وقومه، فقال زيد ﷺ: (ما أنا بالذي أختار عليك أحداً).<sup>(٢)</sup>

وهكذا اختار زيد رسول الله ﷺ على أهله، لما أراد الله به خيراً، وكان قد خبر النبي ﷺ وعاشته، عَرَفَ منه رحمة وحسن معاملة لا يجدها الإنسان عند أهله، ولا عند أحد آخر من الناس. ولذلك فإن الرسول ﷺ أعتقه ونادى في قريش والناس يسمعون: ((اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه))، فسُرَّ أهله بذلك، وأدركوا أن اختياره للرسول ﷺ كان عن دراية وإرادة منه، وأنه عند من هو أفضل له من والديه، وقالوا للرسول ﷺ خيراً وأثنوا عليه، وفرحوا بحرية ابنهم وتبني الرسول ﷺ له.<sup>(٣)</sup>

وقد عاش زيد في كنف الرسول ﷺ وأم المؤمنين خديجة ﷺ، وقد زوجه الرسول ﷺ من حاضنته ومولاته أم أيمن، فكانا زوجين متصلين مقربين من بيت النبوة.<sup>(٤)</sup> وحينما بُعث النبي كان زيد من أول المصدقين برسول الله ﷺ، حتى قيل إنه ثاني المسلمين، وأن إسلامه جاء بعد إسلام خديجة ﷺ.<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٤١.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٤٢.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٤٢.

(٤) انظر: ترجمة أم أيمن ﷺ، من هذا الكتاب.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٤٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٢٢٤.



وقد صبر على إسلامه في مكة رغم ما لقي من أذى قريش كغيره من المسلمين. ولما أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة. وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين أسيد بن الحضير الأنصاري ﷺ. (١) شهد غزوة بدر مع رسول الله ﷺ وبعثه ﷺ يبشرى الانتصار إلى المدينة. (٢) وقد زوجه الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، وهي قرشية شريفة بنت عمه رسول الله ﷺ، ولم يستمر الزواج طويلاً، حيث رأى زيد من زينب حدةً لم يصبر عليها، فأراد طلاقها، فحاول الرسول ﷺ من زيد أن يمسكها وذلك ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ [الأحزاب]، ثم بعد طلاقها تزوجها الرسول ﷺ بأمر من الله ﷻ في الآية التي ورد فيها ذكر زيد ﷺ، وقد نزلت فيه خاصة وفي سائر الناس ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائِكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٤٤.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٩٢.

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَّائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي  
الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ [الأحزاب] <sup>(١)</sup> وقد أصبحت مطلقة زيد رضي الله عنه زوجة  
الرسول صلى الله عليه وسلم وأماً للمؤمنين، ونالت هذا الشرف العظيم. <sup>(٢)</sup>

كانت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد عظيمة، وتزداد يوماً بعد يوم، وكان  
من أعلم الصحابة وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يعتمد عليه كثيراً،  
حتى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة  
في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي حياً بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لاستخلفه). <sup>(٣)</sup>  
وحين انتقد الناس الرسول صلى الله عليه وسلم في توليته أسامة بن زيد أشار رضي الله عنه لفضل زيد  
في قوله: ((إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل،  
وأيُّ الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن  
أحب الناس إليّ بعد أبيه)). <sup>(٤)</sup> وشارك مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر وأُحد والخندق  
وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وقاد سبعاً من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد  
بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة على رأس  
جيش مؤتة المتجه إلى البلقاء في نواحي الأردن. واستشهد هناك فحزن عليه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بقية شهداء مؤتة، وقد بشر صلى الله عليه وسلم بدخول زيد وبقية القواد  
الشهداء الجنة. <sup>(٥)</sup>

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ج ٢٢/٦.

(٢) انظر: ترجمتها، من هذا الكتاب.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢٢٦/٦؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٢٢٨.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب زيد بن  
حارثة، ج ٢١٣/٤.

(٥) انظر: غزوة مؤتة هذا الكتاب؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٤٦/٣.

أسامة بن زيد بن حارثة ﷺ (الحب)؛<sup>(١)</sup>

والده زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحبّه، وأمه أم أيمن بركة الحبشية حاضنة رسول ﷺ ومولاته، ولد ﷺ قبل الهجرة بقراية سبع سنوات.<sup>(٢)</sup>

وقد رباه الرسول ﷺ، حيث كان والده زيد أقرب الناس لرسول الله ﷺ. كان أسامة شديد السواد شبيهاً بأمه.<sup>(٣)</sup> وكان ﷺ يحبه حباً شديداً ويعلن ذلك للناس ويقدمه في كثير من الأمور رغم صغر سنه، وكان يسمى (الحبّ بن الحبّ)،<sup>(٤)</sup> وكثيراً ما كان يردفه النبي ﷺ، دخل ﷺ الكعبة عام الفتح بعد تطهيرها من الصور والأصنام ومعه أسامة بن زيد وبلال بن رباح ومعه عثمان بن طلحة ﷺ،<sup>(٥)</sup> ولشدة حب الرسول ﷺ لأسامة ظننت قريش بعد الفتح أن الرسول ﷺ يشفعه في كل شيء، حتى إنه لما سرقت المرأة المخزومية وأراد الرسول ﷺ أن يقطع يدها التمسست قريش من يشفع لها عند رسول الله ﷺ فتوجهوا إلى أسامة بن زيد فشفع لها فقال له ﷺ في الحديث المشهور: ((يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعتم يدها)).<sup>(٦)</sup>

(١) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/٢١٣.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٦١ - ٧٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج١/٣١.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٧٩١.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/٢١٣؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٩٧.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار، ج٤/١٥.

(٦) انظر: حجة الوداع، من هذا الكتاب؛ وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة ابن زيد، ج٤/٢١٣؛ انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج٥/١١٤.

أدبه الرسول ﷺ في مواقف مختلفة ومن ذلك ما ورد عن أسامة قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمح حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: "أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟" قلت كان متعوذاً، فما زال يكررها الرسول ﷺ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، ثم قال أسامة للرسول ﷺ: إني أعطي الله عهداً ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبداً، فقال النبي ﷺ: "بعدي يا أسامة" قال: بعدك).<sup>(١)</sup>

وحينما جهز الرسول ﷺ جيشاً قبيل وفاته لغزو أطراف الشام وتأديب القبائل التي أعانت الروم في مؤتة وغيرها، وهو آخر جيش جهزه النبي ﷺ، جعل قيادة ذلك الجيش لأسامة بن زيد ﷺ، فطعن بعض الناس في إمارته وتكلموا في ذلك. ولما علم النبي ﷺ صعد المنبر وحمد الله ثم أتى عليه وقال: ((إن تطعنوا في إمارته - أي إمارة أسامة -، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ - يقصد زيد بن حارثة - وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)).<sup>(٢)</sup>

ويموت النبي ﷺ قبل أن يتحرك جيش أسامة إلى غايته التي حددها الرسول - وهي قتال الروم -، وقبل أن يموت النبي ﷺ أوصى أصحابه أن يسارعوا بتحريك جيش أسامة فقال لهم: ((أنفذوا بعث أسامة - أنفذوا بعث أسامة)).<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: تخريجه عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٤٩٩.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ﷺ في مرضه الذي توفي فيه. رواه البخاري، ج ٥/١٤٥.

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، ج ٥/١٤٥.

ولما استقرت الخلافة لأبي بكر ﷺ أصر على تسيير ذلك الجيش، رغم أن بعض الصحابة طلبوا إبقاء الجيش في المدينة لمواجهة المرتدين الذين كانوا يهددونهم، فقال أبو بكر ﷺ: (والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني أو لو ظننت أن السباع تأخذ بأرجل أمهات المؤمنين لأنفذت جيش أسامة، كيف أحل عقد لواء عقده رسول الله ﷺ قبل أن يكمل مهمته)<sup>(١)</sup> واقترح بعض الصحابة تغيير أسامة عن القيادة لصغر سنه، ومنهم عمر بن الخطاب ﷺ، فرد عليه الصديق: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمروني أن أنزعه.<sup>(٢)</sup>

وحين خرج أسامة بالجيش خرج الصديق على قدميه يودعه مع الجيش، فيصر أسامة على الصديق أن يركب أو أن ينزل أسامة عن فرسه، فيصر الصديق: (والله لا نزلت ووالله لا ركبت، وما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله). ثم يستأذن الصديق من أسامة في إبقاء عمر في المدينة ليعينه على شؤون الدولة، وكان عمر أحد جنود أسامة في ذلك الجيش.<sup>(٣)</sup> وقد قام أسامة وجيشه بتنفيذ المهمة خير قيام، وأرعب أعداء الإسلام والمرتدين وعاد ظافراً غانماً بعد أن أوجد هيبة في قلوب الأعداء للإسلام ودولته وقوته.<sup>(٤)</sup> وقد كانت له إسهامات في الفتوح الإسلامية طيلة عصر الراشدين، كما كان محل احترام الخلفاء وتقديرهم، يقدمونه على غيره، حتى أن عمر بن الخطاب ﷺ يقدمه ويفضله على ابنه عبد الله بن عمر ﷺ، ويقول: كان أحب إلى رسول الله ﷺ من ابن عمر. وحين نظر ابن عمر إلى محمد بن

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣/٣١: الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٢٠.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٣/٢١٢: الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد الراشدين)، ص ٢٠.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٤٩٧.

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣/٢١٣.

أسامة، قال: لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه،<sup>(١)</sup> متذكراً حب رسول الله ﷺ لأسامة.

وحينما نشب القتال بين علي ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ كان قلب أسامة مع علي ﷺ، لكنه تذكر حوارهم مع الرسول ﷺ والرجل الذي قتله بعد أن قال: لا إله إلا الله؛ فاعتزل ولم يقاتل التزاماً بعهدته مع النبي ﷺ، وقال: لا أقاتل أحداً يقول لا إله إلا الله، مع أنه بيّن موقفه الداعم لعلي في رسالة بعثها إليه قال فيها: (إنك لو كنت في شدة السد لأحببت أن أدخله معك، ولكن هذا أمر لم أره)، وحينما نوقش ﷺ قال: (لا أقاتل أحداً يقول لا إله إلا الله أبداً)، فرد عليه أحدهم: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ لَنتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال]، فأجاب ﷺ أولئك المشركون، ولقد قاتلناهم حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله.<sup>(٢)</sup>

وأسامة ﷺ كثير العبادة والصيام، متأسيًا برسول الله، لزم داره بعد استشهاد علي ﷺ حتى توفي في المدينة سنة ٥٤هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وكان عمره ﷺ خمسا وسبعين سنة.<sup>(٣)</sup>

**أنس بن مالك (خادم رسول الله ﷺ):**<sup>(٤)</sup>

هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري من بني النجار، اشتهر بلقب خادم رسول الله ﷺ، أمه أم سليم الأنصارية، وخالته

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٤/٢١٤.

(٢) ابن كثير: تفسيره، ج١/٨٤٠.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٩٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/٦١.

(٤) وضع مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، ج٧/١٥٩.

أم حرام الأنصارية.<sup>(١)</sup>

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (قدم رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين، فأخذت أُمي بيدي، فانطلقت بي إليه فقالت: يا رسول الله! لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا أتحنفك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحنفك به إلا ابني هذا فخذهُ فليخدمك ما بدا لك، قال: فخدمته عشر سنين، فما ضربني ولا سبني).<sup>(٢)</sup>

وكان يخدم الرسول ﷺ ويخصه بالتعليم والتربية والرعاية، وكان يداعبه فيقول: ((يا ذا الأذنين)).<sup>(٣)</sup>

وقد ورد عن أنس ﷺ قال: (جاءت بي أُمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزرنتني بنصف خمارها وَرَدَّتْني ببعضه، فقالت: يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له فقال ﷺ: "اللهم أكثر ماله وولده" وأطل حياته).<sup>(٤)</sup>

وفي رواية فما ترك خير دنيا ولا آخره إلا دعا لي به، ثم قال: ((اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له فيه)).<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٩٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٣/١١٠؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٧/٢٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٩٧ - ٣٩٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب أنس بن مالك ﷺ، ح برقم: ٣٨٢٨، ج ٥/٦٨١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أنس بن مالك، ج ٧/١٥٩؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٩٩؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٧/١٩.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٩٩.

كان يصحب رسول الله ﷺ في مسجده، فيتعلم منه العبادة والأخلاق والعلم، ويخدمه في بيته، ويطلع على علم لا يعرفه إلا هو، فيرى عبادته وقيامه للصلاة ودعاءه، وأمر بيته وأهله، كما صحبه في معظم غزواته، ومنها غزوة بدر والحديبية، وبائع تحت الشجرة، وقيل إنه غزا ثماني غزوات مع رسول الله ﷺ يخدمه فيها.<sup>(١)</sup>

صار ﷺ قدوة للناس في صلاته وإتقانه لما رأى من رسول الله ﷺ، ولما تعلمه في صلاته. روى أبو هريرة ﷺ قال: (ما رأيت أحداً أشبهه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم يعني أنساً، وقال محمد بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر. وروى الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال: كان أنس يصلي حتى تفطر قدماه دمًا مما يطيل القيام ﷺ).<sup>(٢)</sup>

وفي خلافة أبي بكر وعمر كان أنس قد بلغ مبلغ الرجال، فصار مرجعاً في الحديث عن رسول الله ﷺ، ثقة عند الجميع ومكان تقديرهم لخدمته رسول الله ﷺ.

وقد ورد أن: (أبا بكر الصديق بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين ساعياً، فدخل عليه عمر فقال: إني أردت أن أبعث هذا على البحرين وهو فتى شاب، قال: ابعثه فإنه لبيب كاتب، فبعثه، فلما قبض أبو بكر، قدم أنس على عمر فقال: هات ما جئت به، قال: يا أمير المؤمنين البيعة أولاً، فبسط يده).<sup>(٣)</sup>

وقد ورد أنه قدم من البحرين بعد بيعة عمر ﷺ ومعه مال الصدقة

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٩٧.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/٢١؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٠٠.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٠١.



والأموال، فوهبه عمر ﷺ كثيراً منه.<sup>(١)</sup>

وقد شارك ﷺ في فتوح فارس، وشهد فتح تستر، فقدم لصاحبها الهرمزان فأسلم وحسن إسلامه.<sup>(٢)</sup>

انتقل إلى البصرة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ معلماً للقرآن والسنة، وكان يكره الإكثار على الناس.<sup>(٣)</sup>

نجد معظم مروياته في الحديث عن طريق رواية البصرة. وقد ورد أن له ألفين ومئتين وستة وثمانين حديثاً اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثاً منها، وانفرد البخاري في صحيحه بثمانين حديثاً ومسلم بتسعين حديثاً.<sup>(٤)</sup> وبذلك كان من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ.<sup>(٥)</sup>

وهذا لا شك ببركة دعاء الرسول ﷺ له وخدمته لرسول الله ﷺ.

عُدَّ في البصرة من أكثر الناس مالاً وولداً ببركة دعاء النبي ﷺ له حتى ضرب به المثل وبقي في خلافة عثمان وعلي ﷺ. وقد ورد عنه قوله: (إن الله قد جمع حب علي وعثمان في قلوبنا)،<sup>(٦)</sup> ولعل هذا القول كان بعد الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان ﷺ.

ولكثرة ولده ﷺ فقد مات منهم ما يقارب السبعين في حياته بأمراض مختلفة منها طاعون الجارف.<sup>(٧)</sup>

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠١/٣.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٢/٣.

(٣) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١١٨.

(٤) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٦/٣.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٦/٣؛ وانظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٧١/١.

(٦) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٥/٣.

(٧) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٥/٣. (وهو وباء أصاب العراق في أيام بني أمية).

كان كثير الصلاة والصيام، ولما كبر سنه وعجز عن الصيام كان يحرص على إطعام المساكين محل صومه.<sup>(١)</sup>

وقد عُرف في البصرة مدة بقاءه فيها بأنه الصحابي الإمام المقرئ المحدث راوية الإسلام.<sup>(٢)</sup>

وقد عاصر فتناً مختلفة، وكان محل رضا الناس، ولم يسهم بشيء منها، وحين قيام الفتنة بعد استشهاد الحسين عليه السلام ووفاة يزيد بن معاوية وحركة ابن الزبير، كتب إليه ابن الزبير فصرى بالناس في البصرة أربعين يوماً.<sup>(٣)</sup>

وكان له موقف حازم وصريح من الحجاج بن يوسف، مما جعل الحجاج يتعرض له ويؤذيه ببعض أعوانه في البصرة، فكتب أنس إلى عبد الملك: (قد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، وإن الحجاج يعرض بي حوكة البصرة، فقال: يا غلام اكتب إلى الحجاج ويلك، قد خشيت أن لا يصلح على يدي أحد، فإذا جاءك كتابي فقم إلى أنس حتى تعتذر إليه، فلما أتاه الكتاب قال للرسول أمير المؤمنين كتب بما هنا؟ قال: إي والله، وما كان في وجهه أشد من هذا، قال: سمعاً وطاعة، وأراد أن ينهض إليه فقلت إن شئت أعلمته فأتيت أنس بن مالك فقلت: ألا ترى قد خافك وأراد أن يجيء إليك فقم إليه، فأقبل أنس يمشي حتى دنا منه فقال: يا أبا حمزة، غضبت؟ قال: نعم تعرضني بحوكة البصرة؟ قال: إنما مثلي ومثلك كقول الذي قال: إياك

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٠٥؛ وقد روى البخاري شيئاً من ذلك في صحيحه، ج٨/١٣٥؛ ابن سعد، الطبقات، ج٧/٢٥.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧/٢١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٩٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٩٩.

أعني واسمعي يا جارة، أردت أن لا يكون لأحد علي منطلق<sup>(١)</sup>.  
وقد تكررت رؤياه للنبي ﷺ في آخر حياته،<sup>(٢)</sup> وقد طال عمره حتى قال:  
«ما بقي أحد صلى القبلتين غيري»،<sup>(٣)</sup> وكان آخر الصحابة وفاة، وقد ورد  
أنه توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وله من العمر مائة وثلاث  
سنوات.<sup>(٤)</sup>

### سلمان الفارسي ﷺ:<sup>(٥)</sup>

أصله من (جي) من أهل أصفهان في بلاد فارس، وفي نظري أن من يكتب  
عن أهل البيت لا بد أن يدرج سلمان، وإن كان فارسياً، لقول النبي ﷺ عنه:  
«(سلمان منّا أهل البيت)»، فألفاظ النبي ﷺ واضحة في نسبته لأهل البيت في  
الإيمان والصدق والمحبة والطهر ﷺ، وقد قالها ﷺ حينما تنازع الأنصار،  
فقالوا: سلمان منا، لأنه كان مقيماً في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليها،  
فعده الأنصار منهم. وقال المهاجرون إنه منا لأنه هاجر إلى المدينة وقصدها  
قبل هجرة بقية الصحابة وقبل الهجرة النبوية، وفي كلا المجموعتين خير،  
وكل منهما أرادت أن تفتخر بسلمان ﷺ، فأعطاه الرسول ﷺ مفخرة لم  
تعط لأحد آخر فقال: «(سلمان منا أهل البيت)». <sup>(٦)</sup> وبذلك انتهى الخلاف بين

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٤/٣؛ والحاكم، المستدرک، ج ٥٧٤/٣.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٣/٣؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٢٠/٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٣/٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢٠/٧؛ ابن إسحاق،  
السيرة، ص ٦٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢٦/٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤٠٦/٣.

(٥) وضع كثير من العلماء السابقين أبواباً خاصة في كتبهم لقصة سلمان وإسلامه، من  
هؤلاء ابن أبي شيبة في المغازي (إسلام سلمان ﷺ)، ص ١٣٩؛ وكذلك البخاري في  
صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي ﷺ، ج ٢٧٠/٤؛ وانظر:  
شرح ابن حجر في فتح الباري، ج ١٣٨/١٥.

(٦) انظر: تخريجه عند الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ٥٤/٣؛ ابن سعد، الطبقات،  
ج ٨٣/٤.

المهاجرين والأنصار ونال سلمان رضي الله عنه شرفاً أعظم بالانتساب لبيت النبوة، وهذا ما دفعني لإدراجه ضمن مؤمني أهل البيت رضي الله عنهم.

وفي إسلامه قصة مشهورة تواردها أهل الحديث والسير عن سلمان رضي الله عنه.

أورد ابن أبي شيبة في كتاب المغازي قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، من حديثه قال: (كنت في كُتَّاب ومعي غلامان، وكانا إذا رجعا من معلمهما أتيا قساً فدخلوا ودخلت معهما، فقال: ألم أنهكما أن تأتياي بأحد، قال: فجعلت أختلف إليه حتى إذا كنت أحب إليه منهما، قال: فقال لي: إذا سألك أهلك من حبسك؟ فقل: معلمي، وإذا سألك معلمك: من حبسك؟ فقل: أهلي، ثم إنه أراد أن يتحول، فقلت له: أنا أتحول معك، فتحولت معه فنزلنا قرية، فكانت امرأة تأتيه، فلما حضر قال لي: يا سلمان: احفر عند رأسي، فحفرت عند رأسه، فاستخرجت صرة من دراهم، فقال لي: صبها على صدري، فصببتها على صدره، فكان يقول: ويل لاقتنائي، ثم إنه مات، فهملت بالدراهم أن آخذها، ثم إنني ذكرت فتركتها، ثم إنني آذنت القسيسين والرهبان فحضروه، فقلت لهم: إنه قد ترك مالاً، قال، فقام شباب في القرية، فقالوا: هذا مال أبينا فأخذوه، قال: فقلت للرهبان: أخبروني برجل عالم أتبعه، قالوا: ما نعلم في الأرض رجلاً أعلم من رجل بحمص، فانطلقت إليه، فلقيته فقصصت عليه القصة، قال: فقال: أو ما جاء بك إلا طلب العلم؟ قلت: ما جاء بي إلا طلب العلم، قال: فإني لا أعلم اليوم في الأرض أعلم من رجل يأتي بيت المقدس كل سنة، إن انطلقت الآن وجدت حماره، قال: وانطلقت فإذا بحماره على باب بيت المقدس، فجلست عنده وانطلق، فلم أره حتى الحول، فجاء فقلت له: يا

عبدالله! ما صنعت بي؟ قال: وإنك لها هنا؟ قلت: نعم، قال: فإنني والله ما أعلم اليوم رجلاً أعلم من رجل خرج بأرض تيماء، وإن تنطلق الآن تواقفه، وفيه ثلاث آيات: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وعند غضروف كتفه اليمنى خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، لونها لون جلده، قال: فانطلقت ترفعني أرض وتخفضني أخرى حتى مررت بقوم من الأعراب فاستعبدوني فباعوني، حتى اشترتني امرأة بالمدينة، فسمعتهم يذكرون النبي ﷺ وكان عزيزاً، فقلت لها: هبي لي يوماً، قالت: نعم فانطلقت فاحتطبت حطباً فبعته، وصنعت طعاماً، فأتيت به النبي ﷺ وكان يسيراً فوضعت بين يديه، فقال: ما هذا؟ قلت: صدقة، قال: فقال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل، قال: قلت هذا من علامته، ثم مكثت ما شاء الله أن أمكث ثم قلت لمولاتي: هبي لي يوماً، قالت نعم، فانطلقت فاحتطبت حطباً، فبعته بأكثر من ذلك، وصنعت به طعاماً فأتيت به النبي ﷺ وهو جالس بين أصحابه فوضعت بين يديه، قال: ما هذا؟ قلت هدية فوضع يده وقال لأصحابه: خذوا باسم الله، وقمت خلفه، فوضع رداءه، فإذا خاتم النبوة، فقلت: أشهد أنك رسول الله، قال: وما ذلك؟ فحدثته عن الرجل، ثم قلت أيدخل الجنة يا رسول الله، فإنه حدثني أنك نبي؟ قال: لن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.<sup>(١)</sup>

وقد بقي سلمان رقيقاً ما يزيد على ثلاث سنوات بعد الهجرة النبوية، وكان يلتقي بالنبي ﷺ ويتعلم منه، ثم قال له رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، أي: اشتر نفسك من مالكك، وكان في نيته ﷺ إعانته على عتق

(١) ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٣٩ - ١٤١، واللفظ له؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥٠٦/٣ - ٥١٠.

نفسه يقول سلمان رضي الله عنه: (فكاتبتي صاحبني على ثلاثمائة نخلة أحياها له بالفقير، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشرة والرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقر لها - أي احضر لها -، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي، قال ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة، فأديت النخل فبقي عليّ المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدُعيتُ له، قال: فخذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان، قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليّ؟ قال خذها فإن الله ﷻ سيؤدي بها عنك، قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد).<sup>(١)</sup>

وكان وجود سلمان بين صفوف المسلمين قبل غزوة الأحزاب إضافة خبرة جديدة للمسلمين، فقد كان حاضراً أثناء التخطيط لمقاومة الأحزاب قبل هجومهم على المدينة، فاقترح على رسول الله ﷺ عمل الخندق حول المدينة، وشارك في الحفر مع المسلمين بعد أن خطه الرسول ﷺ.

فلما رأت الأحزاب الخندق، قالوا: هذا عمل ما كانت العرب تعمله،<sup>(٢)</sup>

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٤٤١/٥؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٤/٨٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٥٤٦.

(٢) انظر: الواقدي، المغازي، ج ٢/٤٤٥؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٤/١٢٠٦؛ والصالحي الشامي، سبل الرشاد، ج ٤/٥١٤.

وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي الدرداء،<sup>(١)</sup> وكان سلمان ينصحه كثيراً ويفقهه في أمور مختلفة، فقد ورد (أن سلمان زار أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة في هيئة رثة) فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب طعاماً، فقال: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم فنام، فلما كان من آخر الليل قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقاً ولربك عليك حقاً وإن لضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فصدق سلمان.<sup>(٢)</sup>

وكانت حكم سلمان وفقهه كثيرة تناقلها التابعون ﷺ وقد عاش بقية حياة الرسول ﷺ في المدينة وصحبه في كثير من غزواته ﷺ وكان كبير السن.

بعد وفاة الرسول ﷺ كان عوناً لأبي بكر وعمر على الحق فقد ورد أنه: (بعث إلى عمر بحل فقسمها فأصاب كل رجل ثوباً ثم صعد المنبر وعليه حُلة، والحُلة ثوبان، فقال أيها الناس ألا تسمعون؟! فقال: سلمان لا نسمع، فقال عمر: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة،

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤/٨٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٦؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥١٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ج٢/٢٤٣؛ والترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب (٦٣)، ح برقم: ٢٤١٣، ج٤/٦٠٩؛ ابن سعد، الطبقات، ج٤/٨٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٤٢.

فقال: لا تعجل يا أبا عبد الله، ثم نادى يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: نشدتك الله الثوب الذي أتتزت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم، قال سلمان: فقل الآن نسمع.<sup>(١)</sup>

كما شارك جيوش الفتوح في المشرق واشتهرت مشاركته في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان داعية الجيش في القادسية، وكان أحد المفاوضين للفرس أثناء حصار عاصمتهم المدائن، ومن المترجمين بين الفرس والمسلمين.

وبعد إتمام فتح المدائن، عينه عمر بن الخطاب أميراً عليها، حيث كان له دور كبير في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال.<sup>(٢)</sup> وقد ولاه عمر بن الخطاب على المدائن،<sup>(٣)</sup> فسار في أهلها سيرة حسنة. وكان مثال المسلم الصالح في سماحته وتواضعه وزهده.

وقد وردت العديد من الروايات التي تدل على تواضعه وزهده أثناء ولايته على المدائن، من ذلك أن رجلاً غريباً جاء إلى السوق فاشتري شيئاً، ورأى سلمان وهو لا يعرفه فسخره الرجل ليحمل له، فحمل سلمان للرجل فمر بقوم، فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبد الله؟ فقال الرجل: من هذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الرجل: لم أعرفك، وطلب من سلمان أن يضع العلف؟ فأبى سلمان حتى أوصل علف الرجل إلى منزله.<sup>(٤)</sup>

وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه أنه كان يأكل من عمل يده، فقد كان

(١) انظر: ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، ص ١٤٠.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٤/١٧٣: ابن سلام، الأموال، ص ٣٣: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦٥/٧.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٤/٨٨: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٥٤٦.

(٤) انظر: عبدالعزيز العمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص ١٧٦.



يشتري الخوص ثم يقوم بنسجه، وبيعه، ويأكل من ثمنه، ويتصدق بما كان يأتيه من بيت المال.<sup>(١)</sup>

ولعل تولية سلمان رضي الله عنه على المدائن كانت رمزاً لمعانٍ عديدة، أدركها عمر رضي الله عنه قبل أن يوليه، فكان سلمان خير قدوة لقومه أهل فارس دفعهم إلى الإسلام والرضا بهذا الدين. وقد ذكر أنه رضي الله عنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء فيرفض عمر ذلك.<sup>(٢)</sup> وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه زهده (فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار بيرذعته بغير إكاف، ويأكل خبز الشعير وكان ناسكاً زاهداً).<sup>(٣)</sup>

وقبيل وفاة سلمان رضي الله عنه دخل عليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعوده، فبكى سلمان فقال له سعد: ما يبكيك يا سلمان؟ توفى رسول الله وهو عنك راض وتردُّ عليه الحوض قال: فقال سلمان: أما إنني ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال لتكن بُلغةً أحدكم مثل زاد الراكب وحولي هذه الأسود، وإنما حوله إجانة أو جفنة أو مطهرة، قال فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد فنأخذ به بعدك،

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٤/٨٨؛ ابن الجوزي، تليح فهم أهل الأثر، ص ١٣٨؛ أسد الغابة، ج ٢/٣٢١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٥٢٦، ٥٤٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٢/٦٣.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٥٤٧.

(٣) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٢/٣٠٦. (البُرذعة: ما يوضع على الحمار أسفل الرجل، والإكاف: المركب والأقتاب التي توضع على الحمار للركوب، ابن منظور: لسان، ج ٨/٨، ٨/٩).

فقال: يا سعد، اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند بَدَلِك إذا قسمت.<sup>(١)</sup>

وقد توفى سلمان رضي الله عنه بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان سنة اثنين وثلاثين من الهجرة.<sup>(٢)</sup>

\* \* \* \* \*

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٥٥٢؛ انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٤/٩١.  
(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١/٥٥٥؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٢/٦٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٤/٩٣.

## الخاتمة

### محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين

منَّ الله على المؤمنين ببعثته، وجعله رحمة للعالمين، تعبد الله الناسُ باتباعه، عاش ﷺ أحداث عصره بمشاركة من المؤمنين من أهل البيت والأصحاب الذين شاركوه الأحداث وتأثروا به وأثروا في الأمة، عاش ﷺ حياته، ورفع الله ذكره كما لم يذكر أي أحد من البشر إلى يوم القيامة، يمر الملوك وينسون عبر السنين، وتقوم الدول وتنتهي، وتمر الدهور والعصور ويُنسى من مر بها، لكنه ﷺ باقٍ في القلوب، قدوة في السلوك، عُرف من حياته ودقائقها بكل وضوح وأمانة ما لم يعرف عن غيره، قدّمه المسلمون ﷺ على أنفسهم، محبته واجبة على كل مسلم، سيرته واضحة ومدونة، فيها الصدق والشمول، احترامه معادوه من غير المسلمين، ورأى الجميع أنه ﷺ النموذج البشري الأرحم والأمثل، والأتقى والأعدل والأحكم، فاستمروا في الكتابة عنه وعن حياته وسيرته ﷺ وسيستمرون إلى يوم القيامة، ولن يجدوا له مثيلاً من البشر.

ومن ثمّ فلدراسة سيرته أهداف واضحة، فهو خير إنسان، سيد ولد آدم، جمع في سلوكه بين الدنيا والآخرة، في تطبيق عملي لشريعة الله الرحيم بخلقه، امتداداً لمن سبقه من أنبياء الله، قدوة للساسة وللأزواج والآباء وللمصلحين والعامّة، الفقراء منهم والأغنياء.

عرفت صفاته الأمم السابقة قبل زمانه.

من خلال سيرته نعرف زمانه ومن عاصره من الأمم، ومن صحبه من الرجال، ومن تزوج من النساء، ومن حارب من الأعداء، نعرف تعامله وخصائصه وشمائله ﷺ.

اصطفاه ربه وأدبه وصلى عليه وآتاه القرآن ومثله معه، وختم به الأنبياء. هو الأول في مصاف العظماء عبر التاريخ، لم يخرج عن بشريته وعبوديته لله، عبداً لله شاكراً، جعل مَحْيَاه ومماته لله رب العالمين.

عاش في زمن صعب في منطقة قاسية، وبين أناس أميين وثيين جهال، فتنزل عليه النور والعلم والتوحيد، وانطلق به إلى أصقاع الأرض.

سيرته أصح السير، لا لبس فيها ولا كذب ولا غرر، هي علم قائم بذاته، عرف بعلم السيرة والمغازي، رواياتها واضحة معروفة المصادر.

نالت جهداً عظيماً من علماء الإسلام وغيرهم، في الرصد والتأليف منذ القرن الأول الهجري حتى يومنا الحاضر، اشتهر بها علماء ومختصون، ورد الكثير منها في القرآن الكريم، وشرحتها كتب التفسير وأسباب النزول، وأبانتها كتب الأحاديث والسنن والتاريخ والمصادر الأخرى، ناهيك عن الكتب المتخصصة فيها.

ارتبطت بمعالم جغرافية تؤيدها، وحوادث عالمية تدعمها، ومصادر لغوية وأدبية أثرت بها.

من حياته يتعرف الإنسان على عصره وما صاحب زمانه من أمم وحضارات وأحداث وعادات.

عُرف نسبه وقبيلته وقومه، آباؤه وأمهاته وأعمامه وعماته، وما يتصل بهم من أخبار، فكان من أشرفهم وأوسطهم.

ساعات أحوال الإنسانية قبل مبعثه، طغى الظلم وعم الفساد، وانتشرت الوثنية، وحُرقت اليهودية والنصرانية، ودخلها سوء الأدب مع الله والشرك

والعبث، وقتل المصلحين، واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، وحُرُفت التوراة والإنجيل، واستغنوا بما كتبوه بأيديهم عمّا أوحى الله به إلى أنبيائهم.

وفي الجانب السياسي طغى الظلم، وسيطرت دولتا فارس والروم على مناطق الحضارات المجاورة في فارس والشام ومصر وغيرها، ووصل تأثيرهم للعرب الذين كانوا ضعفاء وأحوالهم سيئة في الأصل، سواء في مراكزهم الحضرية كمكة والمدينة واليمن والبحرين وغيرها أم في البادية والأعراب، إضافة إلى الممالك العميلة للفرس من مناذرة الحيرة والعميلة للروم غساسنة الشام.

كان العالم ينتظر هادياً يقوده لخالقه، ويرفع ظلم العباد بعضهم عن بعض، اليهود في بلاد الحجاز وخصوصاً في المدينة وما حولها ينتظرون نبي آخر الزمان وخاتمهم، نصوص ذلك واضحة في كتبهم، وخصوصاً التوراة والإنجيل وشروحهما، وما يزال فيها بقية إلى هذا الزمان مدعومة بآراء باحثين معاصرين من مستشركي الغرب من اليهود والنصارى، الذين تبارى بعضهم في الكتابة حول هذا الموضوع.

فجاء مولد المصطفى ﷺ في مكة. وسُمي محمداً أفضل الأسماء وأزكاها، بدأ حياته يتيماً فأواه الله وحماه وأدبه، عاش جزءاً من صغره وصباه بين أمه وجدته في مكة، وبين بني سعد عند حليلة مرضعته، حيث استقى اللغة الصحيحة بفصاحة العرب وبلاغة الأعراب مع لبن الرضاعة، طهره الله بشق صدره في بني سعد حيث صباه وشبابه ترعرع في مكة، عُرف مجتمعا بكثير من الخطايا كشرب الخمر وشيء من الظلم

للآخرين، والظلم الأكبر وهو الشُّرْك، مع اتباع الشهوات كالغناء والزنا وأكل الربا.

رغم فساد البيئة، فقد رعاه الله وحفظه قبل البعثة وزكاه وأدبه، كان في أول الأمر تحت رعاية جده عبدالمطلب، وبعده رعاه عمه أبو طالب، كانا يديانه ويقربانه ويلاحظان فيه من الأخلاق والأدب والجد والعمل ما لم يرياه في غيره من الصغار، بعد وفاة أمه رعته حاضنته أم أيمن بركة الحبشية مولاة والده عبدالله، فكان وَفِيَّاً معها بقية حياته.

اشتغل في صباه برعي الغنم يساعد عمه أبا طالب، شعوراً منه بالمسؤولية، فأعطاه الرعي حُسن الرفق والرحمة بالرعية مثل الأنبياء السابقين، كان كارهاً للأصنام مبغضاً لها، ورغم كثرتها في مكة لم يمس بيده صنماً قط لا قبل مبعثه ولا بعده، ولم يشهد سمرّاً فيه غناء أو خمر أو معصية، حيث عصمه الله من ذلك قبل البعثة وبعدها ﷺ.

كان محل ثقة الرجال واحترامهم حين بلغ مبلغهم، كان رحيماً عطوفاً واصلاً للرحم مكرماً للضيف معيئاً للناس، محباً للبر ومساعدة الآخرين.

كانت مهنة التجارة تغلب على أهل مكة، والكل يبحث عن الأمين ليعمل له في تجارته، فعُرف بين أهل مكة بالصادق الأمين.

طلبت منه خديجة بنت خويلد أن يعمل في تجارتها، فأدركت فيه ﷺ من الصفات والصدق والأمانة والشهامة والرجولة ما دفعها للحرص على الزواج منه ﷺ، فعرفت ذلك عن طريق صويحبة لها، وكانت امرأة عاقلة حكيمة عفيفة فهاها الله زوجة للمصطفى ﷺ رغم فارق السن بينهما، حيث

كانت تكبره بخمس عشرة سنة، فكان الزواج المبارك والذرية المباركة أبناء وبنات المصطفى ﷺ عدا ابنه إبراهيم.

شهد ﷺ في رجولته حلف الفضول الذي تبناه بعض زعماء قريش لدفع الظلم عن المظلومين في مكة.

عَرَفَ في رجولته أصدقاء أوفياء جُبلوا على الصدق والأمانة، منهم أبو بكر الصديق ﷺ.

عَرَفَ العمل في تجارة قريش فزار عدداً من أسواق العرب، سمع الخطباء والشعراء في سوق عكاظ وغيرها، فكان يذكر القيم والأخلاق من الشعراء والخطباء العرب ويدرك ما يقولون، شهد تجديد قريش لبناء الكعبة قبل مبعثه بخمس سنوات، وما حصل من إشكال بينهم حول إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، حتى كاد يقع بينهم قتال، فاختره القوم للتحكيم بينهم واصفينه بالأمين، وفي حكمة وعقل حل المشكلة القائمة من خلال حمل الحجر الأسود من جميع الأطراف بردائه ﷺ ثم وضعه بيده الشريفة في المكان المخصص له، مما دفع الجميع للرضا ونزع بذلك فتيل الخلاف.

وقبل مبعثه ﷺ لم يكن أحد من البشر يعلم أنه سيكون نبياً، ولم يدع هو ولا غيره من أهل مكة هذا الأمر على الإطلاق.

مرت به بعض الإرهاصات الخاصة قبل بعثته ﷺ، تحدث عنها ﷺ بعد مبعثه، مثل تسليم الحجر والشجر عليه والرؤيا الصادقة، ثم حُبِّت إليه الخلوة، فكان يتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد موحداً لله ذاكراً له ومناجياً، يعود لبيته بعد أيام ليتزود ويرجع إلى غار حراء في جبل النور في

أطراف مكة، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يطلع على أي من الكتب الدينية السابقة، واستمر في عمل الخير للناس.

بعد بلوغه ﷺ الأربعين من العمر، كان في غار حراء في جبل النور في يوم من أيام شهر رمضان المبارك، فأتاه جبريل ﷺ، ونزل عليه الوحي لأول مرة، وكانت أول آية تنزلت تطلب منه القراءة وهو الرجل الأمي ﷺ في بلاغة وإعجاز، ورجع بعد ذلك خائفاً إلى زوجته العاقلة الحكيمة الحنون، فتذكره برحمة الله وما فيه ﷺ من الصفات الحميدة التي يحبها الله في عباده وتطمئنه ﷺ.

وبنزول الوحي على المصطفى ﷺ تبدأ مرحلة جديدة في حياة البشرية كافة، وليس في حياته ﷺ خاصة، حيث يستمر تنزل الوحي على رسوله المصطفى ﷺ، وتؤمن به أم المؤمنين خديجة ﷺ، قبل الرجال، وبناته ومولاه زيد بن حارثة وصاحبه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب ﷺ، ويبدأ انتشار الدعوة سرّاً في مكة، حيث كان ﷺ يربي أصحابه على التوحيد والاستجابة الكاملة لله وابتغاء الدار الآخرة، مع الأخذ بأسباب الدنيا. وكان ﷺ يلتقي بالمسلمين سرّاً يربيهم لنشر النور في البشرية.

وبعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية أمر ﷺ بالصدع بالدعوة فخاطب قريشاً من على الصفا بمكة قرب الحرم، وأنذرهم، بادئاً بعشيرته المقربين. ردّ عليه عمه أبو لهب بأسوأ رد، توالى أفعال قريش السيئة ضد الرسول ﷺ ودعوته.

ورغم محاولات الرسول المتكررة مع أعمامه ومع زعماء قريش فقد قوبل بالصدود والجحود من زعمائهم.



وكان عمه أبو طالب حسن الرد عليه، إلا أنه لم يُسلم، وشارك في حماية الرسول ﷺ، حيث لقي ﷺ أذىً كثيراً من المشركين في مكة.

حاورهم وحاوروه، وكان القرآن يتنزل عليه يناقشهم ويحجهم ويرد عليهم ويسجل بعض مواقفهم وأقوالهم في معرض ذلك الرد والنقاش فيما نزل بالسور المكية في القرآن، التي ركزت على التوحيد لله ومعرفة حقه وقدره وقضايا الإيمان الأصلية ودحض الشرك.

قُتل بعض أصحاب الرسول ﷺ وعُذبوا، منهم عمار وسُمية وابن مسعود وبلال بن رباح وخباب بن الأرت وغيرهم. كان عم الرسول ﷺ أبو طالب يدافع عنه في مواجهة قريش التي حاولت إقناعه بالتخلي عنه، فكان عمه صابراً معه، حاولوا إغراء الرسول ﷺ بالمال والمنصب والنساء، فأصر على التمسك بدعوته والسير فيها، كان رأس المعاندين أبا جهل، وعم الرسول ﷺ أبا لهب.

أخذ المعاندون يشتدون في أذى الرسول ﷺ يكيلون له التهم بالكذب وبالسحر والجنون، فكان القرآن يرد عنه ويدافع، في آيات مفصلة. حاولوا تفريق المؤمنين عنه فصبر معهم، وصبروا معه.

بدأ ﷺ يبحث لأصحابه عن ملجأ يؤويهم من أذى قومهم، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، فكانت هجرتهم الأولى ثم الثانية على دفعتين إلى الحبشة.

حيث آواهم ودافع عنهم النجاشي ملك الحبشة وصمد أمام طلبات قريش بإعادتهم ليؤذوهم ويعذبوهم.

سمع النجاشي من أصحاب النبي ﷺ، وأسلم على أيديهم ولم يلق النبي

جاء إسلام حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ وأحد شجعان قريش مع إسلام عمر بن الخطاب ﷺ في وقت متقارب، ليعطي دفعة قوية للمسلمين، تزيد من قوتهم وحمائيتهم أمام اعتداء كفار قريش، حدثت خلال هذه الفترة معجزات مختلفة، ونزلت آيات عظيمة تؤيد رسول الله ﷺ. كان مشركو مكة في قرارة أنفسهم يعلمون صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به، ومع ذلك أصروا على العناد والكفر، تكبراً وجحوداً لا جهلاً ففعلوا الحق وخالفوه.

أقدم مجرمو مكة على مقاطعة النبي ﷺ ومن آمن معه ومن دافع عنه من قومه. فأنزل بنو هاشم والمسلمون في شعب بني هاشم وقاطعتهم قريش عن البيع والشراء والزواج والعلاقة حتى أصابتهم مجاعة شديدة وأذى كبير.

ودام الحصار قرابة سنتين، حيث انتهى بعد ذلك بتمزيق الصحيفة التي كتبت كعهد على المقاطعة وعلقت في جوف الكعبة. وفي السنة العاشرة من البعثة جاءت وفاة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ، وفي وقت مقارب لوفاة أبي طالب عم النبي ﷺ، وهما أهم المدافعين عن الرسول ﷺ ليزيد أذى مشركي مكة لرسول الله ﷺ ويزيدوا الضغط عليه.

بدأ الرسول ﷺ يبحث عن مكان يؤويه من أذى مشركي قومه، وكانت الطائف أقرب المدن إلى مكة فطمع في أن يؤوه ويسمعوا دعوته فتوجه إليها مع مولاه زيد بن حارثة، فلقي منهم كل أذى، فرجع إلى مكة، ونزل عليه قرآن يعزيه، ولم يدع على قومه رغم تكرار أذاهم له.

وأُسري بالنبي ﷺ وعُرج به إلى السماء فكان هذا الحدث تكريماً له ﷺ مع التأكيد على عبوديته لله.

وسميت إحدى سور القرآن بالإسراء، حيث ذكرت فيها تلك الحادثة

المهمة في حياة النبي ﷺ، وفرضت عليه الصلاة أحد أهم أركان الإسلام. وقد حدثت قريشاً عن تلك الرحلة، وكانت فتنة زادت المؤمنين إيماناً والكافرين كفرًا وسُخرية، مع أنه ذكر لهم من العلامات ما يؤيد حديثه.

أدرك الرسول ﷺ عناد القوم وصدّهم عن سبيل الله.

فأخذ يدور على القبائل في موسم الحج يعرض نفسه، عليهم؛ عليه ﷺ يجد عندهم ملجأ، كان عمه أبو لهب يدور من خلفه يصرف الناس عن السماع له ويتهمه أمامهم بالجنون ليتجنّبوا السماع منه.

قابل ﷺ عددًا كبيرًا من القبائل العربية في مواسم الحج والأسواق، عارضًا نفسه عليهم، ولم يستجيبوا له، واشترط بعضهم عليه شروطًا جعلته لا يرغب في الهجرة إليهم.

في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية سمع منه بعض أهل المدينة من الأوس والخزرج، فعرفوا أنه النبي الذي كانت يهود تتحدث عنه، فصدقوه وحملوا دعوته إلى المدينة حيث دخل الإسلام دُورَ الأنصار.

جاء جماعة منهم في موسم الحج التالي إلى مكة وقابلوا الرسول ﷺ وسمعوا منه وبايعوه بيعة العقبة الأولى، كانوا اثني عشر رجلاً، وبعث معهم مصعب بن عمير معلمًا ومرشدًا وواعدهم من العام القادم، نجح مصعب في نشر الدعوة بين أهل المدينة، فجاءوا في الموعد ومعهم عدد كبير، وبايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية، واتفقوا معه على إيوائه ونصرته عند هجرته إليهم.

كان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، وكانت تمهيداً لهجرة

الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة. علمت قريش بعد ذلك بالبيعة مع أنها كانت سرية، وخشيت منها ومن انتقال رسول الله ﷺ إلى المدينة، فعملت على منعه ﷺ من الهجرة.

بدأ أصحاب النبي ﷺ الهجرة من مكة إلى المدينة تاركين المال والوطن في سبيل الله - تعالى - مستعدين للتضحية في سبيل الدين، منتظرين مقدم رسول الله ﷺ.

وقابلهم الأنصار بالترحاب والمواساة في المال والنفوس، وأخذوا مع بعضهم بتكوين نواة الأمة الكبرى، فسادت المحبة والإخاء والمواساة في المجتمع المسلم، انتظاراً لهجرة قائده، فكانت الفئتان العظيمتان (المهاجرون والأنصار) الذين تردد ذكرهم في القرآن الكريم ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

ليكونوا بعد ذلك قدوة للأمة المسلمة إلى يوم القيامة، وبدأت أعدادهم تزيد تدرجاً، وقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى مناقب الأنصار وفضلهم وحسن استقبالهم وعطائهم لإخوانهم من المهاجرين.

جاءت هجرة الرسول ﷺ، وكان الصديق رفيقه بنفسه، ولأهل بيته الدور الأكبر في الترتيب لهجرة النبي ﷺ في هذه الصحبة التي وردت في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا نَنْصُرْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

وكان على بن أبي طالب عليه السلام غطاء الحماية للرسول عليه السلام، حيث نام في فراش النبي عليه السلام معرضاً حياته للخطر.

وسلم الرسول عليه السلام من مكر قريش لقتله أو حبسه، رغم تخطيطهم الدقيق لذلك، لكنه خرج من بين أيديهم، في معجزة بيّنة، وبقي الرسول عليه السلام ثلاثة أيام في غار في جبل ثور، وقريش جادة في البحث عنه، لكن الله نجاه، ومع توكله على الله فقد أخذ بكافة الأسباب الدنيوية للنجاة، ثم أخذ الطريق إلى المدينة.

وفي طريق الهجرة حدثت معجزات متعددة، من ذلك قصة سراقبة بن مالك الذي ساخت قدما فرسه، وطلب من الرسول عليه السلام أن يكتب له كتاباً فيه أمان.

فكتب له بأمر الرسول عليه السلام الذي أخبره بما سيفتح الله على المسلمين، وأنه سيلبس سوارى كسرى، فكانت ساعة بشرى في زمن خوف، وتحققت المعجزة بعد ذلك.

وتحل الأنوار في المدينة مع المختار عليه السلام، ويصل الركب النبوي إلى قباء، حيث يقابله أهلها بالترحاب والفرح والسرور، بعد انتظار وشوق للرسول عليه السلام. كان يوماً مميزاً وكانت الهجرة رمزاً للتأريخ الإسلامي عبر العصور، وفي قباء أُسس أول مسجد في الإسلام، مكاناً لعبادة الله وتوحيده لرجال يحبون طهارة الأبدان وطهارة القلوب.

شارك الرسول عليه السلام بنفسه في بناء ذلك المسجد ومعه أصحابه عليهم السلام، والمساجد لله وحده لا يُدعى معه أحد، وبعد عدة أيام توجه من قباء إلى المدينة التي كانت تسمى حينذاك بيثرب. وفي الطريق صلى النبي عليه السلام أول

جمعة في الإسلام، حيث صار يوم الجمعة أهم أيام الأسبوع، محلاً للعديد من الأحداث عبر الزمان، له مكانة خاصة عند الأمة.

كانت المدينة متنوعة السكان بين عرب من الأوس والخزرج ويهود من قبائل شتى محدودة الإمكانيات والطاقات، معدومة النظام والسلطات، دخل أهلها في حروب بينهم قبيل الهجرة، فكانت بينهم عداوات وإحن، كان نزوله ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري مفخرة وشرفاً له عبر العصور.

حين وصل الرسول ﷺ المدينة عمل على ترميمها وتنظيمها، وأن يعم السلام بين أهلها.

بنى ﷺ مسجده النبوي بعد أن اشترى أرضه شراءً شرعياً من أهلها، وأوقفه على الأمة إلى يوم القيامة، كما بنى لزوجاته حجرات بسيطة حول المسجد حسب الحاجة، وسعى لإقامة مجتمع مدني يسوده الشرع والعدل والنظام، مراعيًا الفئات السكانية كافةً من مسلمين وعرب ويهود، فعقد ما عُرف بمعاهدة المدينة، وهي تشبه الاتفاق على المشاركة في الموطن والمدينة وحفظ حقوق الجميع فيها، والتعاون لدفع الأعداء والمعتدين عنها، والخضوع المشترك لنظام يضمن العدل للجميع يسيّره رسول الله ﷺ بشرع الله.

إن هذه الأسس هي المعروفة في النظم المدنية التي تحفظ الحقوق بالاتفاق على تشريع، ووجود الجهة المسؤولة والتعاون في الدفاع المشترك وتأمين الجميع، وكانت المؤاخاة خصوصاً بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، كما سعى الرسول ﷺ لتنمية المدينة في شتى المجالات.

غير ﷺ اسمها من يثرب إلى المدينة، بما في الاسم من معنى المدينة

والحضارة والنظام، وغرس محبتها في قلوب المسلمين ودعا لها ﷺ، وجعل لها حدوداً وحرماً وحماها.

وسعى لفرض الأمن فيها، الأمن على الأرواح والممتلكات والأعراض، حيث عُرفت الحدود والعقوبات وكان ﷺ مرجعاً في ذلك.

سعى ﷺ لتنمية الوعي ونشر العلم بين الناس، وأساسه القرآن والسنة، كما عمل على مواجهة الأمية ونشر الكتابة، حرص ﷺ على إشاعة النظافة في الأبدان وطيب الرائحة وحسن المنظر والسلوك الصحي السليم، وعمل على تنمية السكان وتنظيمهم وتشجيع الزواج والتناسل بينهم، ورفع روحهم المعنوية وإشعارهم بالعزة وتحسين أسمائهم، كما شجع الإنتاج والاقتصاد الزراعي والصناعي والحيواني واستغلال الموارد لصالح الإنسان في التعدين وغيره، وسعى لأن يكون لكل فرد دور إيجابي في المجتمع.

كما نَمَى قيم التراحم والتلاحم ببر الوالدين وصلة الأرحام والآداب العامة وحُسن المنطق، وحُسن الخلق مع الجميع، مما ساعد في إيجاد مجتمع إنساني رحيم يعرف كل من أعضائه حق الله وحق العباد، وبذلك ساعد في البناء والإصلاح الاجتماعي، وبدأت الشريعة تتكامل، حيث توالى الأحكام في العبادات والمعاملات، وكانت الصلاة من أهم العبادات، وجاء تشريع الأذان ليكون نداء للصلاة وشعاراً للمسلمين ورمزاً وهوية وموضع تنافس بينهم.

تلا ذلك تشريع صيام رمضان الركن الرابع من أركان الإسلام، ثم تحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة بأمر الله، وحاول اليهود استفزاز مشاعر المسلمين أثناء ذلك فرد عليهم

القرآن بآيات محكمات تتلى إلى يوم القيامة، وبنى رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها وهي المرأة البكر الوحيدة في حياة رسول الله ﷺ شابة صغيرة حفظت منه العلم للأمة ونقلته للأجيال حافظة ذاكرة، كما أمر الله ﷻ.

وتأتي في السنة الثانية من الهجرة مرحلة جديدة بعد أن أذن لرسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين بالقتال، مع أن في بيعته للأنصار في العقبة الثانية كانت استعداداً منهم للقتال، إلا أن الإذن الإلهي للمسلمين بقتال الظالمين جاء في هذا الوقت، وقد أريق دماء المسلمين وأخذت أموالهم واعتدي عليهم من قبل طغاة قريش مما دفعهم للهجرة، لقد كان الأذى دافعاً لتمكين المؤمنين في الأرض لإقامة الصلاة والصدقة والعدل والرحمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كانت قريش تواصل اعتداءها على المهاجرين حتى بعد وصولهم إلى المدينة فقد اختطف بعضهم، ومنعت بعضهم من الهجرة وصادرت أموال وأولاد بعضهم، وكان الرسول ﷺ يدرّب أصحابه على الحركة والجهاد والاستعداد له من خلال سرايا ركز فيها أول الأمر على المهاجرين، حيث أشغلهم وأعدهم ودرّبهم في وقت واحد، وهم شباب تركوا أوطانهم.

وكانت بعض هذه التحركات للسرايا الأولى تهديداً لتجارة قريش ولم يقع فيها قتال، كما كانت اختيارية للجنود وفرصة تدريبية لهم، وقد جاءت المشاركة النبوية في تلك الجيوش فيما عُرف بالغزوات، فكانت غزوة الأبواء في صفر السنة الثالثة من الهجرة أولى تلك الغزوات، حيث كان الرسول ﷺ يقطع على قريش طريق تجارتها، وفي الوقت نفسه يحالف بعض القبائل حول المدينة. وتكررت غزوات الرسول ﷺ التي فيها اعتراض لتجارة قريش، وتأييد للقبائل المعتدية على المدينة، أو المتعاونة مع قريش في عدائها



للسل رسول ﷺ مثل غزوة (سفوان) وهي بدر الأولى وغيرها.

وفي رمضان من السنة الثانية من الهجرة جاءت أهم غزوات الرسول ﷺ غزوة بدر الكبرى (يوم الفرقان) بل إنها أهم غزوة ومعركة في تاريخ الإسلام، وربما في تاريخ البشرية، جاء فيها نصر الله لجنده ونبيه على قريش الظالمة المعتدية، انتهت المعركة بانتصار جيش الحق مع محمد ﷺ وهزيمة جيش الباطل ومقتل رأس الكفر أبي جهل عمرو بن هشام، أكثر الناس أذى لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه. كما غنم المسلمون الأموال وأخذوا الأسرى، وثبت نصر الله لهم وصدق وعده، وظهرت قوتهم فسمع بها العرب من أقصاها إلى أدناها، وهي أول انتصار للمسلمين على قريش، حيث ثبت للعالم قاطبة قوة جند الله، الذين أحسنوا إلى أسراهم في المعاملة، مما دفع معظمهم للإسلام متأثرين بالمعاملة والرحمة والصدق الذي شاهده عند المسلمين.

وتنزلت آيات في سورة الأنفال عن الغزوة تضمنت أحكاماً رئيسية في الجهاد والغنائم.

وقد أثار هذا الانتصار حقد اليهود وخوفهم وجعلهم يهددون المسلمين ويتوعدون، مما تطلب موقفاً حازماً من رسول الله ﷺ ومَن معه من المسلمين، وجاءت أولى غزوات الرسول ضد أعداء الداخل من يهود المدينة، فكانت غزوة بني قينقاع بعد غزوة بدر، حيث ناصبوا العداة لرسول الله ﷺ، ولمن أسلم منهم من أمثال عبدالله بن سلام.

وقد حذرهم ﷺ من مغبة العناد والعداء، فردوا عليه بالتهديد وشن الحرب، فنزل على رسول الله ﷺ من الآيات ما يرد على بني قينقاع ويهددهم بأنهم سيُغلبون، ثم اعتدوا على امرأة مسلمة في سوقهم، فغضب

لها مسلم، فقتل المعتدي على المرأة، فقام اليهود بقتله، وقامت الحرب بعد ذلك، فحاصر ﷺ يهود قينقاع وتغلب عليهم وأجلاهم عن المدينة، بعد أن أسرهم وعفى عنهم، فكانت درساً لبقية يهود المدينة ومن حولها.

وتوالت بعد ذلك الغزوات العسكرية الموجهة لقريش وللقبائل المعتدية المعاندة، وتخلل ذلك بعض السرايا التي أثبتت حزم الرسول ﷺ وقوة المسلمين، وأصبحت تجارة مكة إلى الشام مهددة باستمرار، إلى أن جاءت بعد ذلك غزوة أحد وهي معركة فاصلة في حياة النبي ﷺ.

وقبيل الغزوة جاء زواج فاطمة الزهراء بنت المصطفى ﷺ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهي صغرى بنات النبي ﷺ، ولم تتزوج قبل ذلك وهي الباقية في بيته ﷺ.

وكان عليٌّ ﷺ شاباً لم يتزوج بعد، هاجر مع رسول الله ﷺ وهو ابن عمه ومن أقرب الناس إليه، فداه بنفسه يوم الهجرة، تربى في بيت رسول الله ﷺ.

كان زواجاً بسيطاً مباركاً ثمرته الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، سكن علي وفاطمة ﷺ جوار رسول الله ﷺ، فكان يأنس بهما وبابنيهما في حياته، عاشا شظف العيش وقسوته مع رسول الله ﷺ غمرتهم محبته وبركته.

وفي شوال من السنة الثالثة من الهجرة حاولت قريش الانتقام لهزيمتها في بدر، فغزت المدينة بجيش جرار بتحريض من يهود، فخرج ﷺ بالمسلمين للقائهم في منطقة جبل أحد، حيث رتب الرسول ﷺ أرض المعركة وموقع الرماة وملجأ المسلمين جوار الشعب. وقد خالف الرماة أمر الرسول ﷺ

ونزلوا عن موقعهم، مما أتاح لفرسان قريش بقيادة خالد بن الوليد الالتفاف على المسلمين، حيث أوقعوا الهزيمة بالمسلمين، واستشهد عدد من أصحاب رسول الله ﷺ قاربوا السبعين، فيهم عمه حمزة بن عبدالمطلب وحامل رايته مصعب بن عمير وغيرهم، وأصيب الرسول ﷺ، شُج رأسه وكُسرت ربايعيته، ومع ذلك صمد ﷺ مع أبطال من أصحابه حتى ردوا قريشاً التي أصرت على قتل الرسول ﷺ، ولم تتمكن من ذلك وفي نهاية المعركة كان المشركون يرفعون شعار أصنامهم: **أَعْلُ هُبَلُ**، بينما المسلمون يردون: **اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُ**.

وبعد انسحاب قريش تبعهم الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد، مما اضطرهم إلى عدم التفكير في العودة إلى المدينة، وتنزلت آيات قرآنية فيما أصاب المسلمين في أحد.

وتستعمل قريش غدر القبائل لتأسر عدداً من أصحاب النبي ﷺ الذين عرفوا بأصحاب الرجيع، فقتلتهم بغدر وصلبت بعضهم في مكة نكاية برسول الله ﷺ والمناصرين له، ويفعل الشيء نفسه عامر بن الطفيل في سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ الذين ذهبوا إلى نجد ومعهم رسالة لعامر من رسول الله ﷺ، لكنه بادر بقتلهم ولم ينج منهم إلا رجل واحد.

إن قتل هذه الأعداد من الصحابة الدعاة زاد الرسول ﷺ حرصاً على نشر دعوته ورحمته رغم المصائب.

ثم تأتي في السنة الرابعة من الهجرة غزوة يهود بني النضير، الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، فأعلن الحرب عليهم وحاصروهم، وخذلهم المنافقون الذين وعدوهم بالنصر، واستولى الرسول ﷺ على مناطقهم في

المدينة، وعفا عن قتلهم وأجلاهم، ونزلت فيهم آيات من سورة الحشر، تلا ذلك عدد من الغزوات الصغيرة إلى أن جاءت غزوة الأحزاب، حيث تحركت قريش ومعها عدة قبائل بتحريض من يهود للقضاء على رسول الله ﷺ ومن معه في المدينة.

فقام الرسول بعمل خندق لحماية المدينة من هؤلاء المعتدين.

كان وصول الأحزاب عصيباً. بان المنافقون وتكاسلوا عن العمل مع رسول الله ﷺ، وثبت المؤمنون معه عملاً وجهاداً.

وتعاون يهود بني قريظة من الداخل مع الأحزاب، واشتدت الأمور على المسلمين، حتى جاءهم نصر الله، فعمل الرسول على عزل يهود بني قريظة، وإفساد ما بينهم وبين بقية الأحزاب، وضرب الله الأحزاب بالريح وبجند الله، فانفضوا وتفرقوا عن المدينة، مهزومين لم يحققوا أهدافهم، حيث كانت تلك الغزوة مرحلة تغيير، غزا المسلمون بعدها مكة، وكفار قريش بعدها لم يغزوا المدينة، وصدق ما قال رسول الله ﷺ ونزلت سورة من القرآن عُرفت باسم سورة الأحزاب.

لم تنته الجولة برحليهم، حيث خرج الرسول ﷺ لبني قريظة الذين ظاهروا الأحزاب وخانوا الرسول ﷺ ومن معه من أهل المدينة، متناسين معاهدة الدفاع المشترك وثيقة المدينة، مهددين الرسول ﷺ ومن معه بالموت.

وبعد حصار طويل استسلم بنو قريظة، وشكلت لهم محكمة عسكرية فحكم القاضي عليهم بقتل الخونة حَمَلَة السلاح، وكان تأديباً قوياً سلم منه كل من حفظ عهده، ووقع فيه كل من خان.

وتأتى بعد ذلك غزوات أخرى، منها غزوة بني المصطلق، التي حاول

المنافقون خلالها إيقاع الفرقة بين المهاجرين والأنصار، كما وقعت منهم حادثة الإفك، التي حاولوا النيل فيها من عرض أم المؤمنين عائشة زوج الرسول ﷺ أظهر زوج وامرأة، واستهدفوا بذلك إشاعة الفاحشة وتهوينها في نظر الناس فبرأها الله مما قالوا، ونزلت بعد ذلك سورة المنافقون لتفضحهم وما قالوا في رسوله ﷺ، وتبين خطرهم واستغلالهم للمواقف.

وبعيد غزوة بني المصطلق تزوج ﷺ من جويرية بنت الحارث ابنة زعيم بني المصطلق فعمّ السلام والبركة القبيلة، وصارت حليفة لرسول الله ﷺ ودولته.

وفي غزوة الحديبية بدأت الانطلاقة الجديدة، هجوم معاكس نحو مكة لكنه هجوم رحمة، حيث توجه الرسول ﷺ نحو مكة معتمراً ومعه ما يزيد على الألف وأربعمائة من المسلمين، معهم الهدى مستهدفين العمرة بسلام.

لكن قريشاً أصرت على منعه من دخول مكة، وفاوضته على معاهدة وهدنة، اتفق فيها ﷺ مع قريش على شروط متعددة، منها وضع الحرب بين الطرفين عشر سنوات، وشروط أخرى كان في ظاهر بعضها إجحاف بالمسلمين، لكنها في النهاية كانت في صالح الإسلام والمسلمين، وفتحت الطرق أمام الدعوة، وفتحت الباب للقبائل المختلفة للتحالف مع الرسول ﷺ، فكانت فتحاً مبيئاً، كما وصف الله في سورة نزلت سُميت سورة الفتح، أشارت إلى بعض الأحداث المهمة في تلك الغزوة منها بيعة الرضوان.

منذ البعثة النبوية والرسالة عالمية، وهي من الخالق للخلق مهمة رسول الله ﷺ إيصالها لعامة الناس من عرب وعجم حكماً ومحكومين، وكان ﷺ يعرف العالم وأحواله وملوكه وأنظمتهم والقائمين عليها.

وبعد صلح الحديبية أطلق ﷺ عدداً من الرسائل إلى ملوك العالم المجاورين لبلاد العرب، يدعوهم إلى الإسلام، ومن هؤلاء هرقل ملك الروم الذين سميت باسمهم سورة من القرآن الكريم، كانوا يسيطرون على أهم المناطق المجاورة لبلاد العرب، في الشام ومصر والأناضول وغيرها، وكانوا على النصرانية، وهرقل نفسه من علمائها وملوكهم المحبوبين انتصر بهم على الفرس في معاركه الأخيرة، فكتب له ﷺ كتاباً مشهوراً ذكره بما ورد في الآيات من عبادة الله وتوحيده، وخوفه من الإثم بالحيولة بين المستضعفين وبين ربهم، وبعث الرسالة مع أحد رجال القبائل المجاورة للروم في أطراف الشام الخبراء بالمنطقة وأهلها.

وبعد قراءة هرقل الرسالة، استدعى تجار قريش وكان في فلسطين وناقشهم عن أحوال النبي ﷺ وتيقن بصدق رسالته لكنه لم يُسلم، وقد تحدث عن انتصارات المسلمين القادمة على الروم وسيطرتهم على بلاد الشام، مما أثار دهشة أبي سفيان زعيم قريش.

وقد ذُكرت بعض المراسلات الأخرى مع هرقل أثناء غزوة تبوك أثبتت لهرقل صدق الرسول ﷺ، ومع هذا لم يتغير موقفه من الرسول ﷺ ومن الإسلام.

وقد كتب الرسول ﷺ إلى كسرى فارس، وهو من أعظم ملوك زمانه، يصل نفوذه إلى البحرين واليمن داخل بلاد العرب، إضافة إلى امتداده إلى فارس وخراسان حتى أطراف بلاد الصين، وكان ملكاً مجوسياً وثنياً.

وقد دعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام في كتابه، فمزقه وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فدعا عليه، وبشر المسلمين بغلبتهم عليه وعلى بلاده وسقوط

عاصمته المدائن مستقبلاً في يد المسلمين، وقد حاول كسرى تسليط نوابه في اليمن على الرسول ﷺ في المدينة لأسره وبعثه لكسرى، لكن القائمين بالمهمة وصلوا المدينة ونقلوا من أخباره إلى نواب الفرس في اليمن ما دفعهم إلى الإسلام والإيمان به ﷺ، والانضمام لدعوته. وقد صدق الرسول ﷺ فيما أخبر، فبعد ثمان سنوات تقريباً من هذه الحادثة كانت المدائن عاصمة كسرى تسقط في يد أصحاب رسول الله ﷺ، بقيادة سعد بن أبي وقاص ﷺ، وهو ممن سمع بشارة النبي ﷺ بفتح المدائن.

وقد كتب الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط في مصر وزعيمها، وعرف بطريقة هرقل ذاتها صدق الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء لكنه لم يسلم، ومع ذلك فقد أرسل بهدايا لرسول الله ﷺ كان معها مارية القبطية التي تزوجها ﷺ، وأنجب منها ابنه إبراهيم، وكان ﷺ يخبر بغلبة المسلمين على مصر مستقبلاً ويوصي بهم خيراً.

وقد بقي المقوقس حتى شهد فتح المسلمين لمصر في زمن عمر بن الخطاب ﷺ على يد عمرو بن العاص ﷺ.

وكتب ﷺ رسائل أخرى، منها رسائل إلى ملوك الحبشة في إفريقيا وراء البحر، أثار تساؤلات، وأدت إلى إسلام البعض، ورسائل إلى ملوك نجد والبحرين وعمان، وغيرها من مناطق العرب أدت إلى معرفتهم بدعوة الرسول ﷺ، وتفاوتت ردودهم بين معاندين ومسلمين انضوا تحت لواء الرسول ﷺ ودولته في آخر حياته.

ووصلت بعض هذه الرسائل إلى أمراء الشام من الغساسنة وزعماء أيلة في فلسطين وغيرهم، كان واضحاً من خلالها مسالة الرسول ﷺ لمن أراد السلام منهم وعرضه الإسلام بكل أريحية وصدق على الجميع.

وفي السنة السابعة من الهجرة جاء تحرك جديد لرسول الله ﷺ، ليمد دولة الإسلام شمال الحجاز، فيفتح معاقل خيبر وما جاورها، ويسيطر على منطقة جديدة واسعة وثرية، ويسالم يهود فيها، ويبقيهم عمالاً في المزارع على جزء من نتاج النخل، وقد حاولت امرأة من يهود سَمَّ رسول الله ﷺ فنجا من السم ولم يأكل منه.

وفي السنة السابعة توجه ﷺ إلى مكة ومعه جند المسلمين فيما عرف بعمره القضاء، حسب اتفاقه مع قريش في صلح الحديبية، وأظهر المسلمون أمام قريش قوتهم وجلدهم ومحبتهم لرسول الله ﷺ وحمائيتهم له، وكانت نهاية العمرة دعوته ﷺ قريش لحضور زواجه من ميمونة بنت الحارث خارج مكة مما أغاظهم، وأشعرهم بقوة الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين.

جاءت غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة، تأديباً لأحد أمراء غسان الذي اعتدى على موفد رسول الله ﷺ الذي حمل إحدى رسائله، حيث جهز ﷺ جيشاً جعل قيادته لمولاه زيد بن حارثة، ومن بعده ابن عم الرسول ﷺ جعفر بن أبي طالب ﷺ، ومن بعده الأنصاري عبدالله بن رواحة ﷺ.

وقد تصادم الجيش مع قوات رومية، واستشهد القواد الثلاثة، فتولى الانسحاب بكل احترام خالد بن الوليد ﷺ، وقد لقبه الرسول ﷺ بسيف الله المسلول، ووصلت فلول الجيش المنسحبة إلى المدينة، فأخبر ﷺ أن لهم رجعة أخرى، وكان كما قال، حيث كان خالد ومن معه عماد وقواد جيش اليرموك الذي هزم الروم فيما بعد، وثبت الإسلام في بلاد الشام.

في رمضان من السنة الثامنة من الهجرة خانت قريش عهدها في الحديبية، واعتدت على حلفاء الرسول ﷺ من خزاعة، فانتصر ﷺ لخزاعة، وتوجه إلى



مكة، رغم محاولات الاعتذار من قريش وجهودها في إصلاح خطئها وتجديد عهدها، إلا أنه ﷺ عدَّهُمْ ناقضين لعهدهم.

وحين أقبل على مكة كان ﷺ حريصاً على أن يكون دخوله سلمياً، وأن تحقن الدماء، فأتاح فرص الأمان وأماكن آمنة لكل من رغب.

ودخل ﷺ مكة بسلام، وتوجه إلى الكعبة وأزال الأصنام من حولها، وطهرها من الداخل من الصور، وخطب في قريش مذكراً بالله وتوحيده، مؤمناً لهم في قولته المشهورة: ((أذهبوا فأنتم الطلقاء))، معلناً المساواة بين الناس. وقد رتب أمورها وأقام العدل فيها، وانتهت بذلك حروبه مع قريش بسيطرته ﷺ على مكة، ولم يجبر أحداً منهم على الإسلام، بل أمهل من أراد التفكير في الأمر منهم.

وبعد أن أقام عدة أيام فيها توجه ناحية الطائف، حيث كانت هوازن وثقيف له بالمرصاد. وفي الطريق وقعت بينهم وبين رسول الله معركة شرسة في منطقة حُنين، أشار إليها القرآن الكريم، وكان جند المسلمين كبيراً، فيه حديثو عهد بإسلام، فوقع الاضطراب بينهم، وتفرق الكثير منهم وصمد الرسول ﷺ، منادياً: ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب))، وانتصر المسلمون في النهاية، وأخذوا الغنائم من ثقيف وهوازن، حيث جمعت في منطقة الجعرانة، وواصل الرسول ﷺ مسيره إلى الطائف، وحاصرها عدة أيام ولم يتمكن من فتحها، فعاد إلى مكة، وعند الجعرانة حيث الأسرى والغنائم. جاء أهل الطائف معتذرين، ففك ﷺ أسراهم وأحسن معاملتهم.

وقد خشى الأنصار بقاء الرسول ﷺ في مكة بعد فتحها وهي موطنه الأصلي، فخطب فيهم وأعلن لهم عودته معهم، ووفاءه بعهدهم: ((ألا ترضون أن يرجع الناس بالمشاة والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم)).

في رجب من السنة التاسعة من الهجرة، في موسم صيف ذلك العام، قرر رسول الله ﷺ التوجه في غزوته المشهورة إلى تبوك، بالقرب من الروم، حيث استشهد جماعة من أصحابه في مؤتة، وحيث القبائل التي شاركت في قتال أصحابه بحاجة إلى من يثبت لهم قوة المسلمين وقدرتهم على تأديب معانديهم، كما كانت الغزوة موجهة بوضوح إلى الروم في أطراف الشام الجنوبية وبداية فتوح الإسلام في مملكة الروم.

كانت الغزوة ابتلاء للمؤمنين، حيث نجحوا ونجوا، وللمنافقين حيث سقطوا وتخلفوا، بذل فيها الصحابة من أموالهم في الإعداد والنفقة ومن أنفسهم بالسفر والصحبة.

كانت بحق امتحاناً للجميع، صحب الرسول ﷺ فيها قرابة الثلاثين ألفاً، منهم عشرة آلاف فارس.

وصل الرسول ﷺ وجنّده إلى تبوك، وأقام بها بضعة عشر يوماً، عاهد فيها زعماء عدد من المدن المجاورة لتبوك، وبعث السرايا إلى مختلف القبائل المجاورة فأمنّ المسلمين، وأدّب المخالفين، وعقد المعاهدات، وأظهر قوة الإسلام وأهله أمام الروم، أكبر قوة في زمانه، حيث آثروا عدم الاحتكاك، ومهد للقادم من فتوح المسلمين ومد الإسلام في الشام وبلاد الروم، وعاد الرسول ﷺ بعد ذلك إلى المدينة، وفي الطريق حدثت محاولة من المنافقين لقتل الرسول ﷺ لكن الله نجاه.

وفرّح أهل المدينة بعودته ﷺ، وجاءت معظم آيات سورة التوبة للحديث عن غزوة تبوك وما دار حولها، وجاء حجّ أبي بكر بالناس في السنة التاسعة من الهجرة، تمهيداً للتطهير النهائي لمكة وموسم الحجّ من الشرك وأهله

وشعائره، حيث كان أمير الحج أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والمبلغ بالبراءة من الشرك وأهله ومنعهم من المسجد الحرام والحج هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من أكثر أهل البيت أخذاً عن النبي صلى الله عليه وآله وتبليغاً عنه.

وتعاون أبو بكر وعلي وبقية الصحابة رضي الله عنهم في هذه المهمة، وبلغوا صدر سورة التوبة للناس كافة في موسم الحج، كانت هذه الحجة وما صاحبها تمهيداً لحج رسول الله صلى الله عليه وآله في العام التالي فيما عرف بحجة الوداع.

حرص الرسول صلى الله عليه وآله منذ بداية دعوته على الاتصال بالقبائل وتبليغها دعوة الإسلام، وكان الإسلام يزداد قوة تدرجاً وتصل أخباره إلى تلك القبائل.

ومن المعروف أنه بعد صلح الحديبية كان على القبائل اختيار أحد الأطراف، قريش أو المسلمين، والرسول صلى الله عليه وآله في المدينة للتحالف والمعاهدة. فدخلت عدة قبائل في أحلاف مع النبي صلى الله عليه وآله وزارت المدينة.

وجاءت وفود القبائل من شتى بلاد العرب بعد فتح مكة وسقوط كفارها، فيما عرف بعام الوفود، وهو العام التاسع من الهجرة النبوية.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله يحاورهم، وخطبائهم وشعراؤهم يطرحون ما لديهم بين يديه وكان خطباء الرسول صلى الله عليه وآله وشعراؤه يجيبونهم، وكان صلى الله عليه وآله يكرمهم ويعلمهم الإسلام ويجيزهم، ويقدر ويحترم من يستحق منهم، ويجيب على أسئلتهم، ويسأل عن مناطقهم، ويرتب أحوال المسلمين منهم في بلادهم.

وكانت بعض الوفود تمثل قبائل عربية مشهورة تعمّ فيها الوثنية.

وبعضها تمثل قبائل تعمّ فيها النصرانية، وبعضها يمثل قبائل متحضرة في المدن، وأخرى في البادية. وقد زاد عدد تلك الوفود على الستين وفداً.

لكل منهم حادثة وحديث، هدف الرسول ﷺ إقناعهم بالدعوة والإسلام ووعدهم بخيرَي الدنيا والآخرة إن هم قبلوا ذلك.

والناظر في الخريطة الجغرافية والبشرية لتلك القبائل يجدها تمتد من اليمن في الجنوب إلى أطرف الشام الجنوبية، ومن عُمان إلى أطراف العراق، شاملة جميع الجزيرة العربية، دون استثناء.

وأنها أتت بأمانٍ وخير وتنظيم لمن شارك فيها، وأجاب النبي ﷺ، وبمقتٍ وسوء عاقبة لمن عاند وخالف.

كان بعضهم من أهل الكتاب من النصارى، فعجبوا لمعرفة الرسول ﷺ لما هم عليه من دين، وبمعرفته لأحوال الأنبياء السابقين، وحديثه عن عيسى ﷺ بكل احترام دون تأليه ولا تقديس، سواء أكانوا أفراداً كعدي بن حاتم، أم جماعات كتغلب والداريين وغيرهم.

وقد حرص النبي ﷺ على هدم الأصنام في كل مكان تطاله يده، فبعث السرايا شمالاً وجنوباً في كل اتجاه لهدم الأصنام، دون تردد، ومنع الناس من الإشراف بالله، فهدمت العزى وسُواعَ ومناةَ والفلس وذو الكفين وغيرها.

ولم يبق صنم تطاله قوات الرسول ﷺ إلا وقد حُطّم وأُزيل، حتى صفت بلاد العرب قبل وفاة الرسول ﷺ من الأصنام التي تعبد من دون الله.

في آخر حياته ﷺ جاء نصر الله ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فأعد الله عباده ليسمعوا الوداع وختمَ الرسالة من رسوله ﷺ، لتحملها البشرية من بعده.

فخرج ﷺ إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة قبيل وفاته بأشهر قليلة

لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام. كانت الحجة تطبيقاً عملياً لأركانها، استقى منه المسلمون المناسك.

خرج الكثير من المسلمين من كافة أنحاء بلاد العرب للحج، ووصل عددهم ما يقارب المئة ألف، إضافة لمن كان مع الرسول ﷺ من الصحابة ومن نسائه وآل بيته.

أدى ﷺ المناسك، وأمر الناس بالأخذ عنه، خطب الناس في أكثر من مرة، وأشهرها خطبة الوداع في يوم عرفة، وأمر الناس بالتبليغ عنه، وطلب شهادتهم أمام الله على أدائه للأمانة، ودعا لأمته في أكثر من موقع، وحث الناس على حق الله في عبادته وحده لا شريك له، كما حث الناس على حقن دمائهم وأداء حقوق الآخرين والرحمة بالمستضعفين من النساء، وقطع صلاتهم بالجاهلية وأمورها، كالربا والزنا والظلم، وحث على المساواة بين الناس، وبيّن تمام الدين وكماله من الله، وأنه ليس بحاجة أن يضيف الناس له من عند أنفسهم، وأوصى بأهل بيته خيراً، ثم عاد ﷺ إلى المدينة، وكان الصحابة - تلقائياً - يتحدثون عن حجة الوداع في وقتها وكأنه وقّر في قلوبهم قرب رحيل الرسول ﷺ.

وجه الرسول ﷺ عدداً من أصحابه أمراء إلى المناطق المختلفة في بلاد العرب، مثل معاذ بن جبل إلى اليمن وعمرو بن العاص إلى عمان، وسعد بن أبي وقاص، إلى نجد والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين. وكانت مهمتهم إقامة العدل بين الناس وتحكيم الشريعة وضبط الأمور وتوزيع الزكاة على مستحقيها من الفقراء والمحتاجين، وتنظيم الأقاليم المختلفة في دولة الإسلام وربطها بالعاصمة (المدينة المنورة)، في تنظيم فريد لدولة إسلامية إنسانية شهدتها البشرية لأول مرة رأسها وقائدها محمد ﷺ حتى اكتمل بناء

الدولة، بتنظيم إداري فريد ومميز يهدف لقيام حق الله وحق العباد ووجود مسؤولية للقيام بهذا الأمر في تنظيم مدني فريد، إنه الاستخلاف في الأرض الذي وعده الله لعباده الصالحين.

وبداية لنظام سياسي عالمي يفرض نفسه على الأنظمة الدولية السائدة في كافة أصقاع الأرض إلى اليوم، ليستمر قدوة للأنظمة الأخرى قروناً طويلة، حتى يصل تأثيره إلى العالم المعاصر، بما فيه من اتجاهات إسلامية سياسية تستمد تراثها ونظرتها من دولة المصطفى ﷺ.

كانت الدولة منظمة بولاياتها وموظفيها وعمالها، بعضوية ذلك الزمان وإمكاناته المتواضعة، حيث عرف عن الرسول ﷺ النظام والترتيب وحسن الإدارة والإحسان في كل أمر. ولعل أهم أساس قيادة الرسول ﷺ في إدارة الدولة مبدأ الشورى الذي قامت عليه، حيث سميت سورة من سور القرآن بالشورى، كدليل على أهمية هذا الأمر في الأمة، وضرورتها لرضى الناس وكسب احترامهم للنظام والمسئول، إضافة إلى الوصول إلى القرار السليم واختيار الرجال الأكفاء، ومحاسبتهم على الخطأ فكان ﷺ يطبق الشورى بنفسه، وهو المسدد المعصوم ويأمر الناس بها.

كان هدف الدولة النظام والعدل وحقوق الإنسان، وهذا ما نطقت به الآيات القرآنية التي تحدثت عن الحكم بين الناس محذرة من ظلمهم.

كان القضاء جزءاً هاماً من هذا النظام التكاملي الإنساني، وأخلاقيات الإسلام العالية في الحكم كما كان همه حفظ الأمن وإشاعة السلام، وطمأنة الناس على حقوقهم، والمساواة في ذلك، حيث كان ﷺ يبشر الإنسانية بذلك.

وقد بنى الرسول ﷺ القوة العسكرية للأمة بتدريب أصحابه، وحثهم

على ذلك، وبتشجيعهم وضرب المثل لهم في الشجاعة والصبر والثبات، ونزلت التشريعات المختلفة في الجهاد، وسميت إحدى سور القرآن بالأنفال، وارتبط بها كثير من الأحكام.

وأكدت الآيات على إعداد القوة ورباط الخيل، كما وعد الله في القرآن بالجنة للشهداء وفي الوقت الذي أمر بالقوة نهى عن الاعتداء، وأمر بالنفير العام عند الحاجة، وعدم التباطؤ.

وكان ﷺ هو القائد الأعلى للجيش، يشارك بنفسه في ساحات المعارك كبدرٍ وأحدٍ وغيرها، ويعين أفضل القادة وأقدرهم على ذلك في السرايا التي لم يشهدا ﷺ.

كان المتطوعون من أصحابه عمادَ جنده ﷺ، كما أن غنائم الجيش توزع بدقة، ينال المقاتلون منها نصيباً أكبر حسب جهدهم وإعدادهم في نظام دقيق.

عمل ﷺ على جمع السلاح وتصنيعه بأفضل ما يمكن في زمانه، كان يعد لقوة تحمي دين الرحمة والإنسانية، وتنتشر تلك الرحمة إلى الأماكن المجاورة لبلاد العرب، وكان أكبر جيش عُرف زمن الرسول ﷺ جيشه في غزوة تبوك، الذي قارب الثلاثين ألفاً، وصل أطراف الجزيرة العربية في تبوك قرب الشام، حيث كانت الانطلاقة الكبرى للجيوش التي أعدها الرسول ﷺ في زمن أبي بكر الصديق ﷺ.

وجاء البناء الأخلاقي للأمة من خلال السيرة النبوية وما ارتبط بها من تشريعات، أشاعت الإنسانية والقيم في المجتمع، وزادت روابطه وتلاحمه الذي امتد إلى الحيوان، بل إلى النبات والبيئة بعدم الإفساد في الأرض، وقبل ذلك الأدب مع الله ومع رسوله ومع سائر الخلق.

كان ﷺ مثلاً للرحمة قبل مبعثه وبعده، حتى آخر لحظة من حياته، مثلاً للكرم والتواضع، يطبقه ويأمر به، يساعد أهله في البيت وأصحابه في العمل حَضراً وسفراً، يشيع الحب والابتسامه ويأمر بذلك، وفيأ بالعهد أميناً، رفع مكانة النساء في المجتمع، كما عُنِي بترتيب الوقت والجد في العمل.

كان تذكير الناس بالموت وما بعده جزء من عمل الرسول ﷺ، حيث جاء القرآن ليعلم الناس الاستعداد لليوم الآخر.

وجاء الحديث عن موت الرسول ﷺ نفسه في أربعة مواضع ومناسبات متفرقة من القرآن الكريم، وكان ﷺ طيلة حياته يستعد للقاء ربه وإلهه وخليته، ويكثر من الاستغفار والتسبيح، وزاد من ذلك في آخر حياته، حينما نزلت عليه سورة النصر، وهي مؤشر لقرب وفاة الرسول ﷺ.

وقد حرص على زيارة قبور أصحابه في آخر أيامه، ودعا لهم، وكان يقول: ((أنتم السابقون ونحن اللاحقون)).

ابتدأت شكوى رسول الله ﷺ في أواخر شهر صفر من السنة الحادية عشر من الهجرة، وحينما اشتد عليه المرض استأذن نساءه في أن يمرض في بيت عائشة ؓ، وفي هذا خير للأمة كلها، حيث كانت أوعى الناس وأقدرهم على حفظ ما يصدر عن رسول الله ﷺ من سُنَّة قولاً أو فعلاً، في تفصيلات دقيقة وعتها أمناً ونقلتها عنه، إضافة إلى راحته النفسية عندها.

وبالفعل نجحت عائشة ؓ في الأمرين، كما كانت فرصة لأبي بكر ؓ بالبقاء أطول فترة مع رسول الله ﷺ في مرضه وقبل وفاته ﷺ، في حجرة ابنته عائشة ؓ.



فكان ينقل له حال الأمة، فنقل له ألم الأنصار وبكاءهم لمرض رسول الله ﷺ، كما كان يدخل عليه رجال آخرون من آل البيت وغيرهم، حيث دخل عليه علي بن أبي طالب ﷺ وعمه العباس ﷺ، كما كانت تدخل عليه باستمرار ابنته الوحيدة الباقية فاطمة ﷺ، وكان يُسرُّ إليها وتُسرُّ إليه، ويأنس بها وتأنس به، يُحسُّ بها وتُحسُّ به.

كان ﷺ يُوصي المسلمين بالصلاة وما ملكت أيماهم، ويوصى بأمور أخرى تتعلق بالدولة الإسلامية ومستقبلها، من ذلك أمره بإنفاذ جيش أسامة ابن زيد الذي أعده قبل مرضه إلى وجهته ناحية الأطراف الجنوبية للشام. ووصيته بالأبى ببقى في بلاد العرب دنان، وكل هذه أمور إستراتيجية مهمة.

وحيثما عجز ﷺ عن الخروج للصلاة في المسلمين أواخر الأيام أمر الصديق ﷺ أن يصلي بالناس، فكان يؤمهم ﷺ ويبكي لفقد إمامه ﷺ، ويتأثر الناس ببكاء أبي بكر ﷺ فيبكون معه.

واستمر الصديق في الصلاة بالناس رغم محاولة بعض أمهات المؤمنين أن يُصلي غير الصديق لرقته وبكائه، إلا أن الرسول ﷺ كان حازماً في الأمر ((ياأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر، مروا أبا بكر فليصل بالناس)).

جاء اليوم الأخير في حياة الرسول ﷺ وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١هـ، فأطل ﷺ على المسلمين وهم يؤدون صلاة فجر ذلك اليوم ففاجأ المسلمين، واضطربت صفوفهم فرحاً بإطالة رسول الله ﷺ، وكادوا أن يُفتنوا عن صلاتهم.

وحيثما فرغ الصديق من الصلاة بالناس إماماً استأذن من رسول الله ﷺ في زيارة بيته الثاني في أطراف المدينة فأذن له.

وفي ضحى ذلك اليوم حضرت الوفاة رسول الله ﷺ فاستأخرك، وكان يأخذ من الماء ويمسح وجهه ويردد: ((في الرفيق الأعلى))، حتى فاضت روحه الشريفة ﷺ ورأسه بين سحرٍ لرتة عائشة ونحرها مُسنداً رأسه على صدرها. فوضعتة ﷺ وغطته ودعت مَنْ في المسجد وكان فيه عمر ﷺ الذي أخذ يهدد ويتوعد من يقول بموت رسول الله ﷺ.

وأرسلوا إلى الصديق ﷺ يدعونه، فدخل على النبي ﷺ وقبّل رأسه وقال: (بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً يا رسول الله ﷺ).

ثم خرج على الناس وخطبهم وذكرهم بالآيات التي كانوا يتلونها، وفيها الحديث عن وفاة رسول الله ﷺ.

كان وقع الخبر جسيماً على المسلمين في المدينة رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً، اشتد الألم على ابنته فاطمة، وعلى نسائه أمهات المؤمنين وعلى سائر الناس، فأخذ بعضهم يعزي بعضاً بوفاة رسول الله ﷺ.

وقد أمر أبو بكر ﷺ بني عبدالمطلب من آل البيت أن يتولوا غسل رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم العباس وبنيه وعلي بن أبي طالب ﷺ وأحد الأنصار، وأحد مواليه ﷺ، فغسلوه دون أن يجردوه ﷺ من ملابسه.

فغُسل بالماء والسدر [شجر النبق]، وأدرجوه في ثوبين أبيضين، ووضع على سريره، وأفتى الصديق ﷺ أنه يدفن في الموضع الذي مات فيه.

وبعد تجهيزه وضع على سريره، فكان الناس يدخلون عليه أرسالاً [جماعات] يصلون عليه وهو أمامهم مع أنه ميت، وانتهى الناس من الصلاة عليه رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً ليلة الأربعاء، فدفنوه ﷺ فكانت فاطمة تتساءل أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ؟

وفي صبيحة اليوم التالي أذن بلال بالصلاة، فلما جاء إلى ((أشهد أن محمداً رسول الله)) بكى وأبكى الناس، واعتزل الأذان بعد ذلك.

كان دفن رسول الله ﷺ شرفاً للمكان بوجود جسده الطاهر ﷺ فيه، ونال شرف صحبته وجاوره بعد موته أبو بكر وعمر، حيث دفنا بجواره ﷺ، واختارهم الله لذلك - رضي الله عنهم أجمعين -.

وجاءت بيعة أبي بكر الصديق ﷺ خليفة لرسول الله ﷺ بشورى بين الصحابة، جعلت الجمع يوافقون على بيعتهم دون تردد، فهو إمامهم بالصلاة وارتضاه الرسول ﷺ لدينهم، فرضوه لديناهم ضمن مؤشرات أخرى مختلفة.

وتمت بيعته ﷺ في السقيفة أولاً، وفي المسجد ثانياً بيعتين عامة وخاصة، وقبلته الأمة قائداً للدولة وخليفة للرسول ﷺ، ليكمل المسيرة ويقضي على الردة ويمد دولة الإسلام في كل مكان. وكان واضحاً في الأذهان وجوب الاستمرار في حمل الرسالة بعد الرسول ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران].

ولا ينفي هذا وجود تبادل للآراء في ذلك الاجتماع، انتهت بالاتفاق على الصديق ﷺ ((ثاني اثنين)).

كان المعاشون للرسول ﷺ مجموعات من الصحابة وآل البيت، وهم أكثر الناس التصاقاً بالرسول ﷺ وأخذاً عنه وتصديقاً به ومحبة له، وليسوا بمنزلة واحدة في الصحبة والقرب، واختلفت فترات معاشتهم للرسول ﷺ، منهم من شهد ذلك من أول حياته إلى آخرها، ومنهم شهد ذلك فترة من

الوقت وغادر الدنيا في زمن مبكر ومنهم من لحق الركب النبوي في وقت متأخر من حياته، كما تفاوتوا في طول الحياة من بعده ﷺ، ولذلك تفاوتوا في الأخذ والعطاء عنه، وفي مشاركتهم حوادث أيامه، وسيرة حياته، وفي معرفة حياة هؤلاء معرفة لجزء كبير من السيرة النبوية.

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن من هؤلاء أمهات المؤمنين ﷺ، حيث سار الرسول ﷺ على سنة الأنبياء في الزواج، فكانت له زوجات متعدّدات في مراحل مختلفة منهن من مات مبكراً، ومنهن من عاشت بعد رسول الله ﷺ سنوات عديدة.

اختارهن الله لنبيه ﷺ، عشن معه في داره وصحبته في أسفاره، أخذن أخبار الرجال وأحكام النساء، نزلت الملائكة في بيوتهن وبحضرتهن، حفظن القرآن وذكرن السنة، أردن الله والدار الآخرة.

نلن شرف نقل الشريعة، رأين منه الصدق والخير والبركة، أولاهن وأبركهن خديجة بنت خويلد ﷺ، أم جميع أولاده عدا إبراهيم، عاش معها قبل مبعثه خمسة عشر عاماً وبعد مبعثه قرابة عشر سنوات، فعرفتة حق المعرفة.

كانت أول من آمن به وصدق برسالته، لم يتزوج عليها في حياتها، وصل صويحباتها بعد وفاتها وفاءً لذكراها.

ثم تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة ﷺ، وهي امرأة زاهدة عابدة، صاحبة صدقة وعطاء.

وتزوج بعد ذلك من عائشة ﷺ وهي المرأة البكر الوحيدة من نسائه، فكانت سبباً في مزيد من الصلة بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر

الصديق، حيث كان يدخل على رسول الله ﷺ في دارها، وروت كثيراً من أحداث السيرة في حوادث شهدتها عائشة ؓ وروتها بدقة، تعرضت لحوادث في السيرة خصتها دون غيرها، من ذلك حادثة الإفك وغيرها.

ولعل روايتها في قصة الهجرة تعد أفضل ما روي عن هذا الحدث، ورواياتها المختلفة في أحداث السيرة هي أوعى ما نقل لنا، إضافة لرواياتها الكثيرة في السنة.

وقد تزوج ؓ من حفصة بنت عمر ؓ، وكان ذلك شرفاً لها ولأبيها.

وكانت تجاور عائشة ؓ في حجرتها وتشاركها بعض الأحداث، ومن أمهات المؤمنين اللاتي عايشن رسول الله ﷺ وشاركن الأحداث أم سلمة ؓ، ولها روايات متعددة في السيرة ومشاركة في أحداث غزوة الحديبية وغيرها، وكذلك كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش ؓ، ابنة عمه النبي ﷺ، مطلقة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، التي تزوجها من بعد زيد، ووردت قصة زواجها في القرآن الكريم، وهي امرأة خيرة ذات صدقة كانت أول من توفي بعده ؓ من أمهات المؤمنين.

ثم كان زواجه من جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ؓ من بني المصطلق، التي كانت من قبيلة محاربة للرسول ﷺ تؤذي وتؤذى، فعم السلام والأمن تلك القبيلة بهذا الزواج وتوقف شرها عن المسلمين.

وجاء زواجه ؓ بأم حبيبة بنت أبي سفيان ؓ، وهي امرأة مؤمنة، كان والدها في حينه من أكبر أعداء الرسول ﷺ، هاجرت إلى الحبشة، فارتد زوجها عن الإسلام ومات هناك، وأصبحت وحيدة مغتربة في الحبشة ثابتة على إيمانها، فخطبها رسول الله ﷺ وهي هناك، ثم قدمت المدينة فكانت

إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها، لها مكانتها رغم عدااء والدها حينها للنبي صلى الله عليه وسلم فكانت مع الحق عليه.

ثم تزوج رضي الله عنه ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها، خالة أبناء عمه العباس، عُقيب عُمرة القضية، وكان في ذلك إشعار لأعدائه من قريش بقوته وقدرته، فنالت بذلك شرفاً عظيماً، ونهلت من علم النبي صلى الله عليه وسلم، ورأت مع أبناء أختها من العباس من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقلوا ما لم ينقله غيرهم.

وجاء زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حَيٍّ رضي الله عنها، ابنة أحد زعماء يهود، قتل عنها زوجها من اليهود وأسرت ثم أسلمت، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمها وعاملها أحسن معاملة، وحدثها عن فضلها لانتسابها لأنبياء بني إسرائيل السابقين، وكانت تصل بعض أقاربها من يهود ممن لم يعاد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم ينهها عن ذلك، ونُفذت وصيتها لبعضهم من تركتها عند وفاتها، فكانت باباً للأحكام الشرعية في هذا الجانب، وهو اختلاف الدين بين الورثة وغير ذلك من الأحكام.

وجاء الزواج الأخير للرسول صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية رضي الله عنها في السنة السابعة من الهجرة، وقد أُهديت للرسول صلى الله عليه وسلم من المقوقس عظيم القبط في مصر، فأكرمها وأحسن إليها وتزوجها، فولدت له ابنه إبراهيم، الذي توفي وهو صغير، كانت حسنة الدين والإسلام، لها مكانة خاصة عند المسلمين.

وقد عاشت أمهات المؤمنين في المدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكُنَّ معلماتٍ للخير ناقلاتٍ للسنة مؤثراتٍ في مجتمع المدينة أمهاتٍ للجميع فيه، مصلحاتٍ بين الناس، نقلن السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقلن المئات والآلاف من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أعماله العبادية وسلوكياته الزوجية وأحواله في بيته،

مما لا يطلع على مثلها إلا الأزواج. فكانت لكل منهن حالٌ حسب طهر المرأة وغيره في الحَضْر والسفر، في الأكل والشرب واللباس، في النوم والراحة، في الاغتسال والوضوء، في المحادثة والمعاشرة، وفي سائر الأحوال، وكان لتعدد زوجاته حكمة واضحة في إثراء الحوادث وتغيير الأحوال وكثرة الأحوال المتطلبة لتشريعات محددة، مما لا يتوافر مع الزوجة الواحدة.

وقد تناقصن تَدْرُجًا بالوفاء في عصر الراشدين وما بعده، حتى اختفين عن الحياة فافتقدهن أهل المدينة.

وقد عايش رسول الله ﷺ أفضل بناتٍ في أفضل البيوت وأطهرها، ومن أفضل الآباء على الإطلاق، في معرفتهن ومعرفة حياتهن معرفته للرحمة في تعامل الآباء، ومعرفة للتصديق والإيمان والعون لرسول الله ﷺ على أمر دينه ودنياه، وفي معرفة حياتهن لمعرفة لتعامل الرسول ﷺ مع أصهاره وذوي رحمه.

شارك رسول الله ﷺ همَّ الدعوة ودافع عنهُ، مررن بظروف مختلفة في الزواج، كان الرسول ﷺ طرفاً في أحداثها، فارقن الحياة كلهن في أيام رسول الله ﷺ عدا فاطمة. معرفتهن وحياتهن تساعد في معرفة محيطه ﷺ، أمهن خديجة بنت خويلد ﷺ. وهن زينب بنت رسول الله ﷺ الكبرى، نشأت في كنف الرسول ﷺ ربته أمها خديجة ﷺ، تزوجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها هالة، كان تاجراً صادقاً، أسلمت أول البعثة، وتأخر إسلام زوجها، وكان له مواقف انتهت بإسلامه وهجرته، لها بنت صغيرة هي أمامة يلاعها ويحملها رسول الله ﷺ، توفيت زينب في السنة الثامنة من الهجرة.

رقية، ثاني بنات رسول الله ﷺ، تزوجها عثمان بن عفان ﷺ، وهو من

أوائل المسلمين، دافعت عن رسول الله ﷺ، نالها الأذى معه، هاجرت مع عثمان إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد ذلك، حيث توفيت مبكرة في السنة الثانية من الهجرة أثناء غزوة بدر، فكانت أولى بناته وفاة بعد أمها.

أم كلثوم، هي ثالث بنات النبي ﷺ، هاجرت مبكرة بعد النبي ﷺ، تزوجت من عثمان بن عفان بعد وفاة أختها رقية، عاشت معه ست سنوات شاركت في أحداث السيرة في مكة والمدينة، وجلس ﷺ عند قبرها ودعا لها عند وفاتها. وأحداث وفاتهن ﷺ ذات تأثير في حياة الرسول ﷺ.

فاطمة، بنت النبي ﷺ الصغرى، أكثر بناته ذكراً في الأمة، لأنها الوحيدة التي عاشت أشهراً بعد وفاة النبي ﷺ، عرفت بالزهراء وبنت أبيها، كانت تدافع عن رسول الله ﷺ في مكة، وبحكم صغر سنها كانت تتابع النبي ﷺ أحياناً في انتقاله من مكان إلى آخر، واشتهرت بإزالة سلا الجزور من فوق رأسه، حين وضعه بعض مجرمي قريش على رأسه وهو يصلي. قامت على خدمة الرسول ﷺ بعد وفاة خديجة وزواج أخواتها.

هاجرت مع بيت النبوة، وحين بلغت السن المناسب زوجها ﷺ من ابن عمه وأقرب وأحب آل بيته إليه، علي بن أبي طالب ﷺ، فسكننا جوار حجرات رسول الله ﷺ ورزقا بالحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، عاشوا جميعاً متأثرين بحياة رسول الله ﷺ وسيرته في مواقف خاصة، كان يوجههما باستمرار إلى الزهد في الدنيا، لهما مواقف في غزوات كثيرة، منها أحد وغيرها، ولهما سيرة خاصة في حجة الوداع وغيرها، شهدا مرض النبي ﷺ ووفاته، كانا أكثر الناس حزناً لفقد رسول الله ﷺ.

بعد وفاة الرسول ﷺ صارت محل غلو لبعض المغرضين الذين قدسوهما



وأخرجوهما وابنيهما أحياناً عن بشريتهما في خروج عن التوحيد وهو أصل الإسلام الذي دعا له النبي ﷺ.

أقرب الناس المحبين لرسول الله ﷺ من ذرية جده عبدالمطلب علي بن أبي طالب ﷺ، بشره بالجنة، شبَّ في منزل رسول الله ﷺ، أول من أسلم من الصبيان، شارك في أحداث السيرة قبل الهجرة وبعدها، نام في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة، وبعد الهجرة شارك في كل الغزوات بشجاعة وخصوصاً في بدر وخيبر وغيرها، زوجه ﷺ من فاطمة وأسكنه قُربَهُ الرسول ﷺ، كان مشاركاً في أحداث السيرة بشكل شبه يومي، اشتهر بشجاعته الفذة في كل الغزوات، خلف النبي ﷺ في أهله أثناء غزوة تبوك، وحمل رسالة البراءة في حج أبي بكر بالناس سنة ٩هـ، من أكثر الناس تأثيراً في أحداث الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ، كان مساعداً لأبي بكر وعمر وعثمان في خلافتهم، وما شهدته من أحداث كبار، وامتداد للإسلام في كل مكان. وحين آلت الخلافة إليه، بعد الفتنة واستشهاد عثمان ابتلي وأوذى من قبل أهل الفتنة، فبقي صامداً زاهداً حتى استشهد ﷺ.

ومع أنه دفن في مكان مجهول قرب الكوفة فتن فيه كثير من الناس وغلوا حتى أوصله البعض إلى التآليه وجعلوا قبراً مزعوماً له وثناً يعبد من دون الله.

وكان الحسن والحسين ابنا علي ﷺ أشهر الصغار في حياة الرسول ﷺ وسيرته، وهما سيدي شباب أهل الجنة، أفرحا الرسول ﷺ وسرَّاه في حياته، شاركا الأمة في الأحداث بعد وفاته لهما مكانة خاصة في خلافة عمر ﷺ، وكانا مع والدهما من أقرب الناس إليه.

واستمر الأمر كذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه، حيث دافعا عنه عند حصاره، وشاركوا والدهما المسؤولية بعد مبايعته، واعتزلا بعد استشهاده، وعاشا في المدينة يرعيان أمهات المؤمنين.

وكان الحسين أحد شهداء الإسلام العظام، استشهد دفاعاً عما يعتقد من حق الأمة في اختيار الخليفة، وفُتن فيه أناس وجعلوا جلد الذات وكره الناس عنواناً لطقوسهم باسم الحسين.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشهر أصحاب وأصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم. صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سن متقدمة حيث قاربه في السن، وعاشا شبابهما رفيقين في مكة، وكان بينهما ودٌّ، وخصال مشتركة، ومحبة متبادلة، صاحب تجارة وعلمٍ بالأنساب، أسلم في الأيام الأولى من البعثة دون تردد، عاش الدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بداياتها الأولى، فلم يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة حياته، وخلف رسول الله على دولة الإسلام عند وفاته.

كان الداعية الأول في الإسلام، أسلم على يديه معظم الصحابة الأوائل، نفع الله بماله رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية المسلمين نزلت فيه آيات مختلفة. كان يصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم في عرض نفسه على القبائل، دافع عنه عند تعرضه للأذى.

صحبه في الهجرة وأعد لها، شاركه في غزواته المختلفة، وكان أقرب الناس إليه في غزوة بدر وغيرها، كان المستشار الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، زاد التصاقه بالرسول في بيته بعد أن تزوج صلى الله عليه وسلم من ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

لم يتغيب عن حدث من أحداث السيرة.

خاطب الأمة عند وفاة الرسول، واحتوى الدهشة، وعقل في الأمر، اختاره المسلمون خليفة بعد رسول الله ﷺ، ولم يعارضه أحد.

حمل همّ الأمة واجتاز بها الأزمة، وقضى على الأعداء من المرتدين، وانطلق بالإسلام في العالمين، وصل بالإسلام العراق والشام، وفي فترة وجيزة لم يشهد لها العالم مثيلاً، توفي بعد سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام من خلافته، أدرك عالمية الإسلام، وأن الرسول أدى الرسالة، وعلى المسلمين حملها حتى النهاية لكل أصقاع الأرض.

حيث عمل أكبر إنجاز عرفه التاريخ في الفتح والتمهيد لامتداده، كان تربية رسول الله ﷺ أعده لهذه الأيام، عاش حياة الرسول ﷺ وشارك في أحداثها، لا بُدَّ لكل قارئ للسيرة من معرفة هذه الشخصية المتأثرة والمؤثرة في كل مراحل حياة الرسول ﷺ.

ومن المعاشون للرسول ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صهر الرسول ﷺ وصاحبه، تأخر إسلامه قليلاً، إلا أن ذلك الإسلام عُذُّ عَزًّا للإسلام وقوة، واستجابة لدعوة رسول الله ﷺ.

عُرف ﷺ بشدته وشره على الإسلام وأهله - قبل أن يدخل فيه -، وعُرف بقوة نصره وثباته عليه بعد إسلامه، هاجر مبكراً إلى المدينة قبل رسول الله ﷺ وشهد المشاهد معه، ربا رسول الله ﷺ وعلمه، شارك الرسول ﷺ في غزواته، مثَّلَ جانب الشدة على الأعداء والمنافقين، أخبر الرسول ﷺ بهيبة الشيطان له.

نزل القرآن موافقاً لرأيه في عدة مواضع، له مشاركات في معظم أحداث السيرة، شهد له الرسول ﷺ بالجنة في أكثر من مرة، زادت صلته ببيت النبوة بعد زواج الرسول ﷺ من ابنته حفصة.

لشدة محبته لرسول الله ﷺ لم يصدق أنه مات، وهدد كل من قال ذلك، فلما تأكد له الأمر وقع على الأرض ولم تحمله قدماء.

كان له دور في بيعة أبي بكر الصديق وإيضاح المبررات الشرعية لهذه البيعة.

كان المستشار والعضد الأول لأبي بكر الصديق ﷺ في خلافته، عينه الصديق للخلافة بعده، بعد أن شاور الناس في الأمر.

مارس صلاحياته، على ما رباه وأعدده رسول الله ﷺ الذي أعد أصحابه رحمة للعالمين، فاستمر فيما رسمه رسول الله ﷺ لنشر الإسلام في العالم، فواصل الفتوح في العراق وفارس وأذربيجان ومصر وشمال إفريقيا، حيث إن معظم أقاليم العالم الإسلامي المعاصرة وصلها الإسلام في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، كان رجلاً إدارياً منظمًا تبلورت بعض نظم الإسلام السياسية والإدارية في أيامه، كالخراج والدواوين ونظام الولايات والقضاء وغيرها، مما استقاه عمر ﷺ من أصول الإسلام ونظمه الشرعية، والأنظمة العالمية المعاصرة له، وترك ثروة عظيمة في مجال السياسة والإدارة كتبت فيها مؤلفات مختلفة، إضافة إلى مواقفه الحكيمة وحرصه الشخصي على متابعة أحوال الرعية مع تواضعه، وقوة شخصيته وشدة محاسبته للأمراء والولاة، حكم قرابة اثنتي عشرة سنة ونصف.

توفي شهيداً على يد المجرم أبي لؤلؤة المجوسي في محراب رسول الله، وكان حريصاً على الشهادة في المدينة، كان موجهاً للأمة حتى بعد جرحه وقبيل وفاته. فكان شهيداً كما أخبر رسول الله ﷺ بذلك.

عثمان بن عفان ﷺ التصق برسول الله ﷺ منذ بعثته، وكان شاباً

عاقلاً، صاهر الرسول ﷺ مبكراً، حيث تزوج من رقية بنت رسول الله ﷺ، وهاجر معها إلى الحبشة ثم هاجرا سوياً إلى المدينة، وجاورا بيت رسول الله ﷺ في المدينة، استخلفه الرسول ﷺ على المدينة في بعض أسفاره، شارك في أحداث كثيرة في السيرة، منها بيعة الرضوان في غزوة الحديبية، زوجته الرسول ﷺ من ابنته أم كلثوم بعد وفاة رقية، فكان أول إنسان يتزوج بنتين لنبي، اشتهر بحيائه، شهد له الرسول ﷺ بالجنة في أكثر من موضع، نفع المسلمين بماله في غزوة تبوك وغيرها، شارك في المسئولية أثناء خلافة أبي بكر وعمر، بويع بشورى من المسلمين بعد عمر ﷺ، فاستمر في الفتوح وزاد انتشار الإسلام في أيامه، واستحدث نظاماً جديدة، أول من اتخذ أساطيل بحرية إسلامية، قام بعدة فتوح في أيامه ونجح في تطبيق إستراتيجية المد البحري، هدد القسطنطينية وممراتها البحرية أكثر من مرة.

يُعدُّ جمعُ القرآن في مصحف واحد وتوحيد الناس على نُسْخه في الأمصار من أهم أعماله التي وحدت الأمة على كتاب الله، تآمر جماعة من المفتونين عليه، فقتل في داره في المدينة شهيداً كما أخبره الرسول ﷺ.

حمزة بن عبدالمطلب ﷺ من أهم المعاشرين لرسول الله ﷺ، من أعمامه، شب وترعرع مع الرسول ﷺ في مكة وأحب كل منهما الآخر، امتاز بالفروسية والنجدة والحمية.

أسلم في بداية الأمر غيراً لرسول الله ﷺ، فحسن إسلامه، هاجر إلى المدينة، وشارك في غزوة بدر، وكان من أشهر المبارزين فيها، استشهد في غزوة أُحُد، فحزن عليه رسول الله ﷺ وآل بيته، ولقبه بسيد الشهداء.

جعفر بن أبي طالب عليه السلام ابن عم رسول الله عليه السلام ، شبيه له بخلقه وخلقه ، أسلم مبكراً ، وهاجر إلى الحبشة ، وكان ممثلاً للمسلمين فيها أمام النجاشي ، مدافعاً عنهم ، رجع من هجرته مع فتح خيبر فسُرَّ به رسول الله عليه السلام أيما سرور ، بعثه مع زيد بن حارثة في مؤتة فاستشهد هناك ، وعُرف بذي الجناحين ، حزن عليه رسول الله عليه السلام ، وتفقد أولاده بعده ، وزوج امرأته من أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين - ليقوم على رعاية أولاده وأهله .

ومن المعاشرين للرسول عليه السلام عمته صفية بنت عبدالمطلب عليها السلام ، وهي زوجة العوام بن خويلد أخي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام ، كما أنها أم للزبير ابن العوام زوج أسماء بنت أبي بكر عليها السلام ، ووالد عبدالله بن الزبير ، أسلمت مبكرة وهاجرت مع ابنها إلى المدينة ، من أوائل من ناداهم الرسول باسمها يوم دعوته على الصفا في مكة ، شاركت المسلمين في أحد والخندق وغيرها ، رثت النبي عليه السلام عند موته ، عاشت مكرمة معززة بعد ذلك حتى وفاتها في خلافة عمر عليه السلام .

وممن عايش الرسول عليه السلام عمه العباس بن عبدالمطلب عليه السلام دافع عن الرسول عليه السلام منذ بعثته ، وحمل الأمر بعد وفاة أبي طالب عم النبي عليه السلام ، شهد مع الرسول عليه السلام بيعة العقبة الثانية مع الأنصار في وقت لم يظهر فيه إسلامه ، أُسر مع المشركين في بدر ، أظهر إسلامه يوم فتح مكة ، شارك في غزوة حنين وانتقل مع أولاده للعيش في المدينة ، حيث التصق برسول الله عليه السلام السنوات الثلاث الأخيرة من عمره ، صاحبه في ذلك أبنائه ، وكان محل إكرام من الرسول عليه السلام . وأصحابه ، شارك مع أبنائه في غسل الرسول عليه السلام ، عاش مكرماً محترماً ذا مكانة خاصة في عصر أبي بكر وعمر وعثمان عليهم السلام حيث توفي سنة ٣٢ هـ .

اشتهر ابنه الفضل بأنه رديف رسول الله ﷺ في حجة الوداع، شارك مع والده في تجهيز الجسد الشريف لرسول الله ﷺ.

وابنه عبد الله عُرف بحبر الأمة، فهو أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم، كان من معلمي الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ، أتى على علمه عدد من الصحابة، كان من المقربين من الخلفاء الراشدين، من أمراء علي ﷺ ومناصريه، ومن أبناء العباس عبيد الله عُرف بالجواد، كان من أجود الناس، عاش مجاهداً في عصر الراشدين، وكان من أمراء علي ﷺ.

وقُثم هو أصغر أبناء العباس، رضع مع الحسين بن علي ﷺ من أمه لُبابة بنت الحارث، كانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ﷺ، خالة لأبناء العباس، مما سهل دخولهم حجرات النبي ﷺ بعد انتقالهم للمدينة، حيث أخذوا مباشرة من خالتهم ومن النبي ﷺ، إضافة إلى كونهم من أبناء عم رسول الله ﷺ.

وأكثر الناس معاشرة لرسول الله ﷺ عُمرًا من ولادته حتى وفاته هي حاضنته أم أيمن وهي امرأة حبشية كانت مولاة لوالده عبد الله ورثها بعد أبيه، رعت النبي ﷺ بعد وفاة أمه، وعاشتته في مكة وشهدت زواجه، كان يعدها بمتابة الأم، أعتقها وزوجها من مولاه زيد بن حارثة، كانت من أوائل المسلمين، وهاجرت إلى المدينة مع زوجها زيد بن حارثة ﷺ، كانت أكثر النساء التصاقاً ببنات النبي ﷺ وزوجاته، كان يأنس بها، وتتجرأ عليه أكثر من غيرها، أكرمها أبو بكر وعمر وبقية الصحابة ﷺ لمحبة الرسول ﷺ لها وهي أم لأسامة بن زيد ﷺ، توفيت في بداية خلافة عثمان ﷺ.

وزيد بن حارثة رضي الله عنه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه، عدّه بمثابة الابن عطف عليه وأدبه، عاش في كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعايته، أسلم في أول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، أعتقه الرسول صلى الله عليه وسلم وزوّجه من أم أيمن، عاشر الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفه عن قرب من داخل بيته، دافع عنه في مكة، كان من أوائل المهاجرين إلى المدينة، شهد بدرًا والمشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ابنة عمته، فلما طلقها تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده، وقد وردت قصة زواجها في القرآن الكريم، كان قائد المسلمين في مؤتة وبها استشهد.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب ابنه أسامة، وينظف وجهه بنفسه في صغره، أدبه الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يدخل داره كثيرًا، ولشدة محبته حاولت قريش أن يشفع لهم في المرأة المخزومية حينما سرقت.

ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم على جيش وجهه إلى الشام قبيل وفاته، فثبته أبو بكر رضي الله عنه على ذلك الجيش، واستعان به الراشدون رضي الله عنهم كلهم وكان محل عنايتهم، اعتزل الفتنة بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه، وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنه.

أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أبناء الأنصار، عينته أمه لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال هذا الشرف، فكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره في حضره وسفره، عامله الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن معاملة وأدبه ورباه ودعا له ورعاه، صار معلمًا للناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتقل إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، كان من أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كثر ماله وولده وطال عمره ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ومعايشته له، من أطول الصحابة عمرًا عاش في البصرة ومات بها.



سلمان الفارسي رضي الله عنه ، رجل من فارس سُرق وبيع لأناس في المدينة ، كان نصرانياً ، تجول في العراق والشام ، وعلم بقرب بعثة خاتم الأنبياء .

جاء للرسول ﷺ في المدينة وسمع منه وآمن به وصدقته ورافقه في كثير من الأحداث ، وقال عنه ﷺ : ((سلمان منّا أهل البيت)). وبالتالي يمكن إدراجه معهم بهذا النص ضمن من يتحدث عنهم من آل البيت المؤمنين ، وقصة إسلامه مشهورة يستدل بها على معرفة النصارى بالنبي ﷺ وعلاماته وموطنه ودعوته ، وهي قصة طويلة يُحدث عنها ضمن سيرة النبي ﷺ ، وقد تعلم سلمان من رسول الله ﷺ وأخذ عنه ، وكان داعية للجيوش الفاتحة في فارس وخصوصاً في المدائن ، حيث صار أميراً عليها بعد فتحها في خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان الرسول ﷺ يعدّه لنقل رسالته إلى الفرس ، وكان متواضعاً زاهداً من أكثر الناس محاسبة لعمر رضي الله عنه أثناء ولايته ، توفي في المدائن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكان رجلاً مباركاً على قومه من الفرس وصلهم برسول الله ﷺ وبسنته .

عرفنا من خلال الكتاب أصحاب رسول الله ﷺ ومعايشيه ، حيث كان جميع أصحاب النبي ﷺ مباركين على الأمة والإنسانية إلى يوم القيامة .

بشّر به الأنبياء الأولون واتبعه صالحو بني آدم ، خاتم الأنبياء والمرسلين أرحم العباد بالعباد ، قادمهم ﷺ إلى صراط الله المستقيم ، فهو ﷺ إمام المتقين ، تُقدم طاعته على طاعة سائر البشر إلى يوم القيامة .

سيرة رسول الله ﷺ مباركة ، حياة نبي ومسيرة دولة ومجتمع وأمة ، أحباب وأصحاب سلام وجهاد ، عزة ورفعة في كل شيء رحمة وإحسان

لكل حي وإنسان، في دراستنا استعراض لكل ما يمس شخص رسول ﷺ وما يلتصق به، معرفة للوحي ومناسباته والهدي وأوقاته، فهو لكل من يريد الله واليوم الآخر وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا نورٌ وهدى وبصيرة وقدوة حسنة. نسأل الله أن يحشرنا في زممرته، ويرزقنا شفاعته ﷺ، ويوردنا حوضه ولا يفتنا بعده ﷺ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

\*\*\*\*\*

## المصادر والمراجع

## أولاً، المصادر:

- ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد بن عبدالكريم، أبو السعادات (ت، ٦٠٦هـ).
- النهاية في غريب الأثر، تحقيق محمد الراوي ومحمود الطناحي - بيروت: المكتبة الإسلامية (د. ت).
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م).
- الكامل في التاريخ - بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- ابن آدم، يحيى القرشي (ت، ٣٠٣هـ).
- الخراج - بيروت: دار المعرفة (د. ت).
- الأزدي، محمد بن عبدالله (ت، ٢٣١هـ).
- تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عامر - القاهرة: مؤسسة سجل العربي ١٩٨٠م.
- الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت، ٢٥٠هـ).
- أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس - بيروت: دار الثقافة ١٣٩٩هـ.
- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المظلي (ت، ١٥١هـ).
- سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، ط٢ - قونية تركيا: الوقف للخدمات الخيرية ١٤٠١هـ.

الأصبهاني، أحمد بن عبدالله (ت، ٤٣٠هـ)

- دلائل النبوة - القاهرة: ١٣٩٧هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبدالله (ت، ٤٣٠هـ).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ - بيروت: دار الكتاب العربي  
١٤٠٥هـ.

الأصبهاني، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت، ٣٦٩هـ).

- أخلاق النبي وآدابه، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، ط١ - عالم الكتب  
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت،  
٦٦٨هـ).

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا - بيروت: مكتبة  
الحياة ١٩٦٥م.

الألوسي، محمود شكري (ت، ١٣٤٢هـ).

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري،  
ط٢ - بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية (د.ت).

ابن أبي شيبعة، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت، ٢٣٥هـ).

- المصنف، تصحيح عبد الخالق الأفغاني - كراتشي: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.

- المغازي، تحقيق عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، ط١ - الرياض: دار  
إشبيليا ١٤٢١هـ.

- البخاري، الحافظ أبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، ط١- الرياض: دار إشبيليا- بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).
- الرياض، دار السلام ١٤١٧هـ (بالأرقام) حسب المعجم المفهرس.
- الأدب المفرد - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦هـ.
- برنابا.
- إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط١ - إربد الأردن: دار الأمل ٢٠٠٥هـ.
- ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي (ت، ٢٥٦هـ).
- جمهرة نسب قریش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر - القاهرة: مطبعة المدني ١٣٨١هـ.
- البغدادي، لطف الدين عبدالمؤمن بن عبدالحی (ت، ٧٣٩هـ).
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١ - القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية ١٣٧٤هـ.
- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت، ٤٨٧هـ).
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا - بيروت: عالم الكتب (د.ت).
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).
- فتوح البلدان - بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

- أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبدالعزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس - بيروت: ١٣٩٨هـ و ١٤٠٠هـ.
- البیهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨ هـ).
- دلائل النبوة، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. (ت، ٢٧٩هـ).
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د.ت).
- شمائل النبي ﷺ، تحقيق ماهر ياسين فحل، ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٢٣هـ.
- مختصر الشمائل المحمدية، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني - عمّان الأردن: المكتبة الإسلامية - بالرياض: مكتبة المعارف ١٤٢١هـ.
- أوصاف النبي، تحقيق سميح عباس، ط ١ - بيروت: دار الجيل (د.ت).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت، ٨٧٤هـ).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د.ت).
- التميمي، سيف بن عمر الأسدي (ت، ١٨٠هـ).
- الردة والفتوح، تحقيق قاسم السامرائي - الرياض: دار أمية ١٤١٨هـ.
- التميمي، إسماعيل بن محمد [قوام السنة] (ت، ٥٣٥هـ).
- دلائل النبوة، تحقيق محمد الحداد، ط ١ - الرياض: دار طيبة ١٤٠٩هـ.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام (ت، ٧٢٨ هـ).
- السياسة الشرعية في إصلاح الرعي والرعية، ط٤ - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د.ت).
- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط٢ - القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٣٩٩ هـ.
- القرمانية - قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه - ، تحقيق أبي محمد أشرف عبدالمقصور، ط١ - الرياض: أضواء السلف ١٤٢٢ هـ.
- منهاج السنة - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت، ٣٧٧ هـ).
- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد - القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ١٩٥٥ م.
- ابن جماعة، عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن بدر الدين أبي عبد الله (ت، ٧٦٧ هـ).
- المختصر الصغير في سيرة رسول الله ﷺ، ط١ - القاهرة: عين للبحوث والدراسات ٢٠٠٥ م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت، ٥٩٧ هـ).
- صفة الصفوة، ط٢ - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩ هـ.
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).

- المنتظم في أخبار الأمم - حيدر آباد: دار المعارف العثمانية ١٣٥٨هـ.
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير - القاهرة: مكتبة الآداب (د. ت).
- رسائل ورسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأشراف، تحقيق محمد عبدالرحيم، ط ١ - دمشق: دار سعد الدين ١٤٢٥هـ.
- صفة الصفوة - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.
- الوفاء بأحوال المصطفى - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- الحاكم، أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ).
- المستدرک على الصحيحين بذيله التلخيص للذهبي - القاهرة: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ.
- ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي البستي (ت، ٣٥٤هـ).
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ط ١ - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).
- كتاب المحبر، تحقيق ايلزه ليختن شتير، - بيروت: دار الآفاق (د. ت).
- ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت، ٧٧٩هـ)
- المقتضى من سيرة المصطفى، تحقيق مصطفى الذهبي - القاهرة: دار الحديث ١٤١٦هـ.
- ابن حبيب، أبو مروان عبدالملك السلمي (ت، ٢٢٨هـ).



- تاريخ عبد الملك بن حبيب، مخطوط مصور على ميكروفيلم - ألمانيا: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، تحت رقم: ٩٦٥.

ابن حبيب، محمد البغدادي (ت، ٢٤٥هـ).

- كتاب المنق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد عالم - حيدر آباد: الهند.

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة - القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

- فتح الباري "شرح صحيح البخاري"، مراجعة عبدالرؤف سعد وآخرين - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.

- تهذيب التهذيب - حيدر آباد الهند، دائرة المعارف ١٣٢٥هـ.

- تقريب التهذيب، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط ٢ - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٥هـ.

ابن أبي حديدة، محمد بن علي بن أحمد الأنصاري (ت، ٧٨٣هـ).

- المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورُسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تعليق أحمد فريد المزيدي - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ - ٤٥٦هـ).

- جمهرة أنساب العرب، راجعه لجنة من العلماء، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

- حجة الوداع، تحقيق عبدالحق التركماني - بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٩هـ.

- جوامع السيرة النبوية - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- الحلبي، على بن برهان الدين (ت، ٩٧٥هـ).
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (إنسان العيون) - بيروت: دار المعرفة ١٤٠٠هـ.
- حماد بن إسحاق القاضي (ت، ٢٦٧هـ).
- تركة النبي ﷺ والسبل والتي وجهها فيها، تحقيق ودراسة أكرم ضياء العمرى، ط ١ - المدينة المنورة: ١٤٠٤هـ.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت، ٦٢٦هـ).
- معجم البلدان - بيروت: دار الكتاب العربي (د. ت).
- الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت، ٩٠٠هـ).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، ط ٢ - بيروت: مكتبة لبنان ١٩٨٤م.
- ابن حنبل، الإمام أبي عبدالله أحمد (ت، ٢٤١هـ).
- مسند الإمام أحمد - بيروت: المكتبة الإسلامية ١٣٩٨هـ.
- فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط ١ - بيروت: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.
- الخزاعي، أبو الحسن على بن محمد التلمساني (ت، ٧٨٩هـ).
- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمود أبو سلامة، ط ١ - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٠١هـ.
- الخُشني، أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود (ت، ٦٠٤هـ).

- شرح السيرة النبوية، تحقيق بولس برونله - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (ت، ٤٦٣هـ).
- تاريخ بغداد - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت، ١٠٦٩هـ).
- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض - بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.
- الخلال، أبو بكر بن محمد بن هارون.
- الحث على التجارة والصناعة والعمل، ط ١ - الرياض: دار العاصمة ١٤٠٧هـ.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت، ٨٠٨هـ).
- المقدمة - بيروت: دار العلم ١٩٧٨م.
- تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر) وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - بيروت: مؤسسة الأعلمي ١٣٩١هـ.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر (د. ت).
- خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ - ٢٤٠هـ).

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.

الخيزري، محمد بن محمد بن عبدالله.

- اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، تحقيق محمد الأمين الجكني، ط١ - المدينة المنورة وبريدة: دار البخاري ١٤١٥هـ.

الدارمي، أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام (ت، ٢٥٥هـ).

- سنن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، (د.م) و (د.ت).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـ).

- سنن أبي داود، تعليق عزت عبير، ط١ - حمص: دار الحديث ١٣٩١هـ.

- سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط٢ - الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م.

الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد (ت، ٣١٠هـ).

- الذرية الطاهرة النبوية، تحقيق سعد المبارك الحسن، ط١ - الكويت: الدار السلفية ١٤٠٧هـ.

ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت، ٩٤٤هـ).

- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق عبدالله الأنصاري، ط٢ - مكة المكرمة: المكتبة المكية ١٤١٣هـ.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت، ٢٨٢هـ).

- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عمار، مراجعة جمال الدين الشيال - بغداد: مكتبة المثني (د.ت).
- الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد الراشدين)، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط ١ - بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.
- السيرة النبوية، تحقيق حسام الدين القدسي - بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- ابن رجب، أبو الفرج عبدالرحمن الحنبلي (ت، ٧٩٥هـ).
- مجالس في سيرة النبي، تحقيق ياسين محمد السواس ومحمود الأناؤوط، ط ١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٠٨هـ.
- الاستخراج في أحكام الخراج - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.
- ابن الرفعة، أبو العباس نجم الدين (ت، ٧١٠هـ).
- الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد الخاروف، ط ١ - مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ.
- ابن زبالة، محمد الحسن (ت، ١٩٩هـ).
- منتخب من كتاب أزواج النبي، تحقيق د. أكرم العُمري ط ١ - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٩٨١م.
- الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى (ت، ١٢٠٥هـ).

- تاج العروس من جواهر القاموس، ط١- القاهرة: المكتبة الخيرية  
١٣٠٦هـ.

ابن الزبير، عروة بن الزبير بن العوام (ت، ٩٣هـ).

- مغازي رسول الله ﷺ (أول سيرة في الاسلام)، جمع سلوى مرسي  
الطاهر، ط١- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٥م.

الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (١٥٦ - ٢٣٦هـ).

- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٣ - القاهرة: دار المعارف  
١٩٨٢م.

الزبير بن بكار، أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن  
عبدالله بن الزبير بن عوام الأسدي القرشي (ت، ٢٥٦هـ).

- الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكّي العاني، ط٢ - بيروت: عالم  
الكتب ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

ابن زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت، ٣٩٥هـ).

- سيرة النبي ﷺ المختصرة، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط١-  
بيروت: عالم الكتب ١٤٠٩هـ.

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت، ١١٢٢هـ).

- شرح المواهب اللدنية، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي - بيروت: دار  
الكتب ١٤١٧هـ.

ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة الأذري (ت، ٢٥١هـ).

- الأموال، تحقيق شاكر ديب فياض، ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ١٤٠٦هـ.

الزهرى، محمد بن مسلم بن عبید الله بن شهاب (ت، ١٢٤هـ).

- مرويات الإمام الزهرى في المغازى النبوية، جمع محمد بن محمد عواجى، ط١ - المدينة المنورة: عمادة البحث العلمى بالجامعة الإسلامية ١٤٢٥هـ.

السخاوى، محمد بن عبدالرحمن بن محمد (ت، ٩٠٢هـ).

- القول التام في فضل الرمي بالسهم - المدينة المنورة: مخطوط مصور مكروفيلىم بالجامعة الإسلامية رقم: ١٧٤١.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهرى (ت، ٢٣٠هـ).

- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ط١ - القاهرة: الزهراء للإعلام العربى ١٤٠٩هـ.

- سنن النبي ﷺ وأيامه استخرجه ورتبه عبدالسلام محمد عمر علوش، ط١ - المكتب الإسلامى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.

- الطبقات الكبرى - بيروت: دار صادر (د.ت).

ابن سلام، أبو عبید القاسم (ت، ٢٢٤هـ).

- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط٢ - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ.

السمعانى، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت، ٥٦٢هـ).

- الأنساب، تحقيق عبدالرحمن يحيى العلمي، ط ١ - بيروت: نشر محمد أمين دمج ١٤٠٠هـ.

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت، ٩١١هـ).

- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط ٣ - بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.

السهروردي، أبو الحسن محمد البغدادي.

- تحرير الأحكام في السياسة - اسطنبول: مخطوط في مكتبة السلیمانية رقم: ٢٨٥٢.

السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي (ت، ٥٨١هـ).

- الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط طه عبدالرؤوف سعد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى (ت، ٧٣٤هـ).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط ٢ - دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

ابن سيد الناس، أبو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت، ٦٧١هـ).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير - بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).



- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة، تحقيق محمد السعيد بسيوني - بيروت: دار الكتب العلمية.
- مسانيد أمهات المؤمنين، تحقيق محمد غوث الندوي - الهند: الدار السلفية ١٤٠٣هـ.
- حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط١ - القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية ١٣٨٧هـ.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبدالحميد، ط٣ - القاهرة: مكتبة المدني ١٣٨٣هـ.
- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت، ٢٦٤هـ).
- تاريخ المدينة، تحقيق فهيم شلتوت - المدينة المنورة: نشرة السيد حبيب محمود أحمد ١٣٩٣هـ.
- الصالحى الشامى، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).
- سبل الهدى والرشاد في هدى خير العباد، تحقيق مصطفى عبدالواحد وآخرون - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ - ١٣٩٩هـ.
- أزواج النبي ﷺ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤١٣هـ.
- الطبرانى، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت، ٦٣٠هـ).

- المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله ومحمد الحسني، ط ١ - الرياض: دار الحرمين ١٤١٥هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).
- السيرة النبوية تحقيق جمال بدران، ط ١ - الدار المصرية اللبنانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ.
- تاريخ الأمم والملوك - بيروت: دار الفكر (د.ت).
- ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي (ت، ٩٥٣هـ).
- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ضمن كتاب المصباح المضيء في كتاب النبي لابن أبي حديدة، تعليق أحمد فريد المزيدي، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ.
- العباسي، أحمد بن عبد الحميد.
- عمدة الأخبار في مدينة المختار، ضبط محمد الطيب الأنصاري وحمد الجاسر، ط ٤ - المدينة المنورة: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (د.ت).
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ).
- الدرر في اختصار المغازي والسير - مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع (د.ت).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (حاشية على الإصابة) - القاهرة: ١٣٢٨هـ.

- ابن عبدالحكم، القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت، ٢٥٧هـ).
- فتوح مصر وأخبارها - لايدن: ١٩٢٠م.
- عبدالرزاق، أبي بكر عبدالرزاق بن همام (ت، ٢١١هـ).
- مصنف عبدالرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ - ٥٧١هـ).
- تاريخ دمشق، صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق مكملة من القاهرة وإسطنبول - المدينة المنورة: صورة أولى مكتبة الدار ١٤٠٧هـ.
- تاريخ دمشق (تراجم النساء)، تحقيق سكينه الشهابي، ط١ - دمشق: المجمع العلمي ١٩٨٢م.
- ابن عبدالبر، يوسف النمرى (ت، ٤٦٣هـ).
- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي: ضيف، ط٢ - القاهرة: دار المعارف ١٩٩١م.
- ابن عبدالوهاب، محمد (ت، ١٢٠٦هـ).
- مختصر سيرة الرسول - بيروت: دار العربية للطباعة والنشر (د.ت).
- العصامي، عبدالملك بن حسن المكي (ت، ١١١١هـ).
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١٣٨٠هـ.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحى (ت، ١٠٨٩هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢ - دار المسيرة ١٣٩٩هـ.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت، ٣٩٥هـ).
- أسماء النبي ﷺ ومعانيها - الرياض: عالم الكتب ١٤٠٨هـ.
- الفاكهي، أبو عبدالله أحمد بن إسحاق (٢٧٩هـ تقريباً).
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط١ - مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة ١٤٠٧هـ.
- الفريابي، جعفر بن محمد (ت، ٣٠١هـ).
- دلائل النبوة، ومعه المستخرج على دلائل النبوة، تحقيق عامر حسن صبري، ط١ - مكة المكرمة: دار حراء ١٤٠٦هـ.
- ابن فهد، النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد فهد (٨١٢هـ - ٨٨٥هـ).
- إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، ط١ - مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٦هـ).
- القاموس المحيط، ط٢ - القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١هـ.
- سفر السعادة، تحقيق أحمد السايح وعمر حمزة، ط١ - القاهرة: مركز الكتاب ١٤١٧هـ.
- القاري، علي بن سلطان الملا علي (ت، ١٠١٤هـ).

- شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا، تحقيق عبدالله محمد خليلي - بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ).
- المعارف، تحقيق محمد إسماعيل الصاوي، ط ٢ - بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٩٠هـ.
- القرطبي، أبو عبدالله بن محمد بن فرج المالكي (ت، ٤٩٧هـ).
- أفضية رسول الله ﷺ - الدوحة: مطابع قطر الوطنية (د.ت).
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت، ٦٧١هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ.
- القسطلاني، أحمد بن محمد (ت، ٩٢٣هـ).
- المواهب اللدنية، تحقيق مأمون محي الدين الجنان، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ.
- القسطيني، أبي العباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ (ت، ٨١٠هـ).
- وسيلة الإسلام بالنبي ﷺ، ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت، ٨٢١هـ).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د.ت).
- القلقشندي، أبو بكر عبدالله بن محمد بن إسماعيل (ت، ٨٦٧هـ).

- الإسراء والمعراج - القاهرة: ١٣٥٧هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١هـ).
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق عبدالقادر وشعيب الأرنؤوط، ط٢ - الرياض: مكتبة المؤيد.
- زاد المعاد في هدي خير العباد - بيروت: المكتبة العلمية (د.ت).
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - بيروت: دار الفكر العربي (د.ت).
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- الطب النبوي، تحقيق عبدالغني عبدالخالق وآخرون - الرياض: مكتبة الرياض الحديثة (د.ت).
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).
- حجة الوداع، تحقيق خالد أبو صالح، ط١ - الرياض: دار الوطن ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦هـ.
- الفصول في اختصار سيرة الرسول، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، ط١ - دمشق: مؤسسة علوم القرآن ١٣٩٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ط٢ - الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ.
- البداية والنهاية، ط٣ - بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.

- ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ).
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - القاهرة: ١٣٧٣هـ.
- مالك بن أنس، الامام (ت، ١٧٩هـ).
- الموطأ، مراجعة فاروق سعد، ط٨ - بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٤٥٠هـ).
- أعلام النبوة - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- الأحكام السلطانية - بيروت: دار الفكر (د.ت).
- ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت، ٢٠٩هـ).
- أزواج النبي ﷺ، تحقيق يوسف علي بديوي - بيروت: مكتبة التريية ١٤١٠هـ.
- المحب الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبدالله (ت، ٦٩٤هـ).
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط٢ - القاهرة: مكتبة الخانجي ١٣٧٢هـ.
- المزي، الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٦٥٤ - ٧٤٢هـ).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد، ط١ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ.
- مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).
- الجامع الصحيح - بيروت: دار الآفاق الجديدة (د.ت).
- المقدسي، عبدالغني بن عبدالواحد الجماعيلي الحنبلي (ت، ٦٠٠هـ).

- الدرة المضيئة في السيرة النبوية (سيرة النبي وأصحابه العشرة)، حققه خالد عبدالرحمن بن حمد الشايع، ط٢ - دار بلنسية ١٤٢١هـ.
- مختصر منهاج القاصدين - بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٥هـ.
- المقريزي، أحمد بن علي (ت، ٨٤٥هـ).
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (القول الإبريزي) - القاهرة: مطبعة التوفيق ١٨٩٨م.
- إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأنبياء والأموال والحفدة والمتاع، حققه محمود محمد شاكر - القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ).
- لسان العرب - بيروت: دار صادر (د. ت).
- الموسوي، محمد بن عبدالله الحسيني الشهير بـ(كبريت).
- رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد طنطاوي، ط٢ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٨٥هـ.
- ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود.
- أخبار مدينة الرسول، تحقيق صالح محمد جمال، ط٣ - مكة المكرمة: دار الثقافة ١٤٠١هـ.
- ابن النديم، أبو الفرج يعقوب بن اسحق المعروف بالوراق (ت، ٣٨٠هـ).
- الفهرست - بيروت: مكتبة خياط (د. ت).
- النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ - ٣٠٣هـ).



- كتاب الوفاة، وفاة النبي ﷺ، تحقيق دار الفتح ط١ - الشارقة: دار الفتح ١٤١٥هـ.
- سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي - بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.
- ابن النفيس، علي علاء الدين بن أبي الحزم القرشي.
- الرسالة الكاملة في السيرة النبوية، تحقيق عبدالمنعم عامر وأحمد هريدي - القاهرة: وزارة الأوقاف المصرية ١٤٠٨هـ.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت، ٦٧٦ هـ).
- شرح صحيح مسلم، إعداد مجموعة من الأساتذة بإشراف علي عبدالحميد أبو الخير، ط٣ - دمشق: دار الخير ١٤١٦هـ.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ.
- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).
- السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي - القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د.ت).
- الهمداني، عبدالجبار بن أحمد (ت، ٤١٥هـ).
- تثبيت دلائل النبوة - شبرا، القاهرة: دار المصطفى ٢٠٠٦م.
- الهيثمي، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت، ٩٧٤هـ).

- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، تحقيق أبي الفوارس أحمد بن فريد المزيدي، ط١- بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.
- الهيثمى، نور الدين علي بن أبي بكر (ت، ٨٠٧هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.
- الواحدى النيسابور، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد (ت، ٤٦٨هـ).
- أسباب النزول، تحقيق كمال بسيوني زغلول - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.
- الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).
- المغازي، تحقيق مارسدن جونز - بيروت: عالم الكتب (د. ت).
- اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت، ٥٤٤هـ).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت، ٢٨٢هـ).
- تاريخ اليعقوبي - بيروت: دار صادر ١٣٧٩هـ.
- أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين الحنبلي (ت، ٤٥٨هـ).
- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٣ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٤هـ.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).
- كتاب الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب، ط٥ - القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.

## ثانياً: المراجع:

إبراهيم، محمد إبراهيم محمد.

- الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

ابن إدريس، عبدالله بن عبدالعزيز.

- مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ - الرياض: جامعة الملك سعود ١٤٠٢هـ.  
إسحاق، رشيد محمد هارون.

- صحيفة المدينة، رسالة ماجستير - الرياض: جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ.  
أبو إسحاق، رفائيل.

- تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا  
- بغداد: ١٩٧٦م.  
أحمد، إبراهيم خليل.

- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - الكويت: دار المنار ١٤٠٩هـ.  
الأسطل، علي رضوان.

- الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، ط ١ - الزرقاء، الأردن: مكتبة  
المنار ١٤٠٤هـ.

أرشيبالد، ر. لويس.

- القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد  
عيسى، مراجعة شفيق غربال - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠م.

أرمسترنج، كارين.

- سيرة النبي محمد، ترجمة د. فاطمة نصر د. محمد عناني، ط ٢ -  
القاهرة: شركة سطور ١٩٩٧م.

أرنولد، سير توماس.

- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين - القاهرة:  
١٩٧٠م.

الأعظمي، محمد مصطفى.

- كتاب النبي، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ.

الآغا، مسعود يحي.

- الإقطاع الإسلامي في العصر النبوي، ط ٢ - السعودية الرياض: الجمعية  
التاريخية ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

الأفغاني، سعيد.

- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٣ - بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.

- عائشة والسياسة، ط ٢ - دمشق: المكتبة الهاشمية ١٩٥٧م.

الأمعى، زاهر بن عواض.

- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزینب بنت جحش دراسة  
تحليلية، ط ٤ - الرياض: مطابع الفرزدق ١٤٠٣هـ.

الألوسي، محمود شكري.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مراجعة محمد بهجة الأثري، ط ٢ -  
بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).

الأنصاري، إسماعيل.

- الإسراء والمعراج من تفسير ابن كثير، (تجريد وترتيب وتعليق) - الرياض: دار الصميعة ١٤٢٨هـ.

الأنصاري، عبدالقدوس.

- طريق الهجرة النبوية، ط١- جدة: مطابع الروضة ١٣٩٨م.

الأنصاري، ناجي محمد حسن.

- عمارة وتوسعة المسجد النبوي عبر التاريخ، ط١ - المدينة المنورة: النادي الأدبي ١٤١٦هـ.

أنيس، د. إبراهيم، وآخرون.

- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية القاهرة - اسطنبول: المكتبة الإسلامية (د.ت).

بارتولد، فاسيلي فلاديمير.

- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، ط٤ - القاهرة: دار المعارف ١٩٦٦م.

باشميل، محمد أحمد.

- غزوة بدر الكبرى - بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.

- من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة أحد، تقديم محمود شيت خطاب، ط٢ - القاهرة: المطبعة السلفية ١٤٠٥هـ.

- غزوة الأحزاب - بيروت: دار الفكر ١٩٨٧م.

- غزوة بني قريظة - الطبعة الأولى - دار الفكر: بيروت ١٩٧٦م.
- صلح الحديبية. تقديم عبدالله التل - بيروت: دار الفكر ١٩٨٣م.
- غزوة خيبر، ط٣ - بيروت: دار الفكر ١٣٩١م.
- غزوة مؤتة - بيروت: دار الفكر ١٩٧٤م.
- فتح مكة - بيروت: دار الفكر ١٣٩٤هـ.
- العرب في الشام قبل الإسلام، ط١ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٣هـ.
- غزوة حنين، ط١ - بيروت: دار الفكر ١٩٨٣م.
- غزوة تبوك - بيروت: دار الفكر ١٩٧٨م.

باقادر، عبدالله بن أحمد.

- الكفاءات الإدارية في السياسة الشرعية - جدة: دار المجتمع ١٤٠٦هـ.

باقشيش، محمد.

- غازي موسى بن عقبة (١٤١هـ) - أغادير المغرب: جامعة ابن زهر ١٩٩٤م.

الباكري، حسين بن أحمد.

- مرويات غزوة أُحُد. جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدراسات العليا، شعبة السنة، - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ.

بامدحج، محمد بن عيظة بن سعيد.

- غزوة أحد دارسة دعوية، ط١ - الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

باوزير، أحمد محمد العليمي.

- مرويات غزوة بدر، ط ١- مكتبة طيبة ٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

بدران، عبدالقادر (ت، ١٣٤٦هـ).

- تهذيب تاريخ دمشق، لابن عساكر، ط ٢- بيروت: دار الفكر ١٣٩٩هـ.

بردويل، فرنان.

- البحر المتوسط في المجال والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام - دمشق:

وزارة الثقافة السورية ١٩٩٠م.

البستاني، بطرس.

- معارك العرب في الشرق والغرب - بيروت: دار مارون عبود ١٩٨٧م.

البستي، أبي حاتم محمد بن أحمد التميمي.

- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء صححه وعلق عليه الحافظ السيد عزيز

بك وجماعة من العلماء، ط ١ - مؤسسة الكتب الثقافية ٤٠٧هـ /

١٩٨٧م.

بفانمولر، جوستاف.

- سيرة النبي في تصورات الغربيين، ترجمة محمود حمدي قنديل، ط ١-

البحرين: مكتبة ابن تيمية ٤٠٦هـ.

أبو بكر، علي الشيخ أحمد.

- معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، ط ١ - الرياض: مكتبة الشريعة

١٤١٣هـ.

بل، أيدرس هـ.

- مصر من الأسكندر حتى الفتح العربي دراسة، ترجمة عبداللطيف أحمد علي - القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٨٨م.

البلادي، عاتق بن غيث.

- على طريق الهجرة، رحلات في قلب الحجاز - مكة: دار مكة ١٣٩٨م.

- معالم مكة التاريخية والأثرية، ط٢ - مكة: دار مكة.

- معجم قبائل الحجاز - مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ.

- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١ - دار مكة ١٤٠٢هـ.

- أودية مكة المكرمة، ط١ - دار مكة: ١٤٠٥هـ.

البوطي، محمد سعيد رمضان.

- فقه السيرة - دمشق: دار الفكر ٢٠٠٨م.

لبيتي، عبدالعزيز بن عمر.

- الإدارة الدستورية في عهد النبوة - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية

١٤١٦هـ.

بيغولو فيسكيا.

- العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس

الميلادي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - الكويت: المجلس الوطني

للنظريات والآداب ١٤٠٥هـ.



بينز، نورمان.

- الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد -  
القاهرة: ١٩٥٠م.

التركي، عبدالله عبدالمحسن.

- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، ط١ - الرياض: وزارة الشؤون  
الإسلامية ١٤١٧هـ.

الترمانيني، عبدالسلام.

- أزمنة التاريخ الإسلامي، الجزء الأول، المجلد الأول (أهم أحداث التاريخ  
الإسلامي) - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٤٠٢هـ.

التسماني، عمر.

- شهيد المحراب - القاهرة: دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي.

- حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة - الرياض: أضواء السلف  
١٤١١هـ.

الثعالي، عبدالعزيز.

- محاضرات في تاريخ الأديان - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧م.

- معجزة محمد رسول الله، مراجعة محمد اليعلاوي - بيروت: دار الغرب  
الإسلامي ١٩٨٩م.

جاد، محمد عبدالسميع.

- الوفود في العهد النبوي وأثرها في الدعوة الإسلامية، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدعوة بكلية أصول الدين بالأزهر - القاهرة: ١٩٧٤م.

جاد، أحمد.

- وفاة الحبيب وما كان في الأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ القاهرة: دار الغد ٢٠٠٣م.

الجبري، عبدالمتعال محمد.

- السيرة النبوية وأوهام المستشرقون - القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٨٩م.

جريس، غيثان بن علي.

- افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية - نادي أبها الأدبي ١٤١٣هـ.

الجزائري، أبو بكر.

- هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب - المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ٢٠٠١م.

- منهاج المسلم - الرياض: دار السلام ١٤٢٣هـ.

الجعوان، محمد بن ناصر بن عبدالرحمن.

- فتح مكة وآثارها التشريعية في الفقه الإسلامي - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية (د.ت).

- جمجوم، سميرة محمد عمر.
- المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم - جدة: دار المجتمع ١٩٨٧م.
- جمعة، أحمد خليل.
- نساء أهل البيت، ط٢ - دمشق: دار اليمامة ١٩٩٦م.
- الجمال، إبراهيم محمد حسن.
- زوجات النبي ﷺ وأسرار الحكمة في تعددهن - القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٨٣م.
- الجمال، أحمد عبدالغني النجولي.
- هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة - المنصورة: دار الوفاء ١٤٠٩هـ.
- الجميل، محمد بن فارس.
- النبي ﷺ ويهود المدينة، ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ٢٠٠٢م.
- رحلة الرسول إلى الشام ومقابلة بحيرا الراهب - بحث غير منشور (في حينه).
- الجويني، مصطفى الصاوي.
- معارف من السيرة النبوية - الإسكندرية: منشأة المعارف ١٤٠٨هـ.
- حافظ، عبدالسلام هاشم.
- سيرة نبي الهدى والرحمة - مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٢هـ.

الحجيلي، عبدالله بن محمد.

- الأوقاف النبوية ووقفات بعض الصحابة الكرام، دراسة فقهية تاريخية  
وثائقية أعمال ندوة المكتبات الوقفية - المدينة المنورة: ١٩٩٩م.

الحداد، أحمد عبدالعزيز بن قاسم.

- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة - بيروت: ط٢ - دار الغرب الإسلامي  
١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

الحديثي، نزار عبداللطيف.

- الأمة والدولة في سياسة النبي والخلفاء الراشدين - بغداد: دار الحرية  
١٩٨٧م.

- أبو بكر الصديق، بالاشتراك مع خالد الجنابي، ط١ - العراق: دار  
الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٩م.

الحري، علي بن جابر.

- منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ط١ - القاهرة: الزهراء للإعلام  
العربي ١٤٠٦هـ.

الحري، محمد بن أحمد بن ناصر.

- اقرأ باسم ربك، ط١ - جازان: نادي جازان الأدبي ١٤٢٣هـ.

حركات، إبراهيم.

- السياسة والمجتمع في العصر النبوي - بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٩٩٠م.

الحسيني، محمود أبو الفيض المنوي.

- سيرة سيد المرسلين صاحب الشريعة ورسول الله محمد - القاهرة: دار نهضة مصر ١٩٧١م.

حسيني، مولوي س.أ.ق.

- الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي، مراجعة عبدالعزيز عبدالخالق - القاهرة: مكتبة القاهرة (د.ت).

الحليسي، نواف بن صالح.

- رحلة الشتاء والصيف، ط١ - الرياض: (د.م) ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

حمادة، فاروق.

- مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط١ - دمشق: دار القلم ١٤٢٥هـ.

- الوصية النبوية للأمة الإسلامية في حجة الوداع - بيروت: دار القلم ١٤٢٣هـ.

- خطبة الفتح الأعظم "فتح مكة المكرمة" - مكة: دار الثقافة ١٩٨٣م.

- العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط١ - دمشق: دار الفكر ١٤٢٦هـ.

- مراجع مختارة عن حياة الرسول ﷺ - الرياض: دار العلوم ١٩٨٢م.

الحمد، محمد بن إبراهيم.

- الحوار في السيرة النبوية - الكويت: وزارة الأوقاف ١٤٢٩هـ.

حمدان، نذير.

- الرسول في كتابات المستشرقين، ط٢ - جدة: دار المنارة ١٤٠٦هـ.

حمدي، مجدي.

- أبو بكر الصديق رجل الدولة، ط١ - الرياض: دار طيبة ١٤١٥هـ.

حميد الله، محمد.

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٤ - بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ.

ابن حميد، صالح بن عبدالله وعبدالرحمن بن ملوح - إشراف -، مع مجموعة من المختصين.

- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ط٢ - جدة: دار الوسيلة ١٤٣١هـ.

خاطر، خليل إبراهيم ملا.

- محبة النبي ﷺ بين الإنسان والجماد - حلب: دار القلم العربي ١٤١٨هـ.

الخالدي، عبدالله بن صالح وعبداللطيف بن محمد الحسن.

- محبة النبي ﷺ وتعظيمه، ط١ - الرياض: دار البيان ١٤٢٦هـ.

الخراشي، عبدالله.

- النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة في العهد النبوي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - الرياض: جامعة الملك سعود ١٤١٨هـ.

الخشاب، يحيى .

- التقاء الحضارتين الفارسية والعربية - القاهرة: جامعة الدول العربية  
١٩٦٩م.

- تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام - القاهرة: (د.ت).  
خطاب، محمود شيت.

- عزوة بدر الكبرى، ط١ - دمشق: دار قتيبة ١٩٩٠م.

- الوسيط في رسالة المسجد في الإسلام - بيروت: دار القرآن ١٤٠١هـ.

- السفارات النبوية - بغداد: المجمع العلمي ١٩٨٦م.

- المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، ط١ - بيروت: دار الفتح  
١٣٨٦م.

- الرسول القائد ط٢ - القاهرة: دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة  
١٩٦٠م.

- دروس عسكرية من السيرة النبوية، ط٦ - بيروت: دار الفكر ٢٠٠٢م.  
الخطراوي، محمد العيد.

- المدينة في العصر الجاهلي، الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية  
والدينية - جدة: مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٣هـ.

الخطيب، عبدالكريم.

- النبي محمد إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء - بيروت: دار المعرفة ١٩٧٥م.

الخطيب، علي أحمد.

- عمر بن الخطاب، حياته علمه وأدبه - بيروت: عالم الكتب ١٤٠٦هـ.

- التفسير الإعلامي للسيرة النبوية - بيروت: دار الجيل ١٩٩٢م.

أبو خليل، شوقي.

- الهجرة حدث غير مجرى التاريخ - بيروت: دار الفكر ١٩٨٠م.

- غزوة مؤتة - دمشق: دار الفكر ١٩٨٢م.

- غزوة الخندق - دمشق: دار الفكر ١٩٨٢م.

- غزوة أحد - دمشق: دار الفكر ١٩٨٢م.

- بدر الكبرى - دمشق: دار الفكر ١٩٨٢م.

- غزوة تبوك - دمشق: دار الفكر ١٩٨٢م.

- أطلس السيرة النبوية - دمشق: دار الفكر ١٤٢٣هـ.

- صلح الحديبية - دمشق: دار الفكر ١٩٨٣م.

- غزوة خيبر - دمشق: دار الفكر ١٩٨٣م.

- فتح مكة - دمشق: دار الفكر ١٩٨٣م.

- حنين والطائف - دمشق: دار الفكر ١٩٨٣م.

خليل، عماد الدين.

- دراسة في السيرة، ط١٥ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.

- المستشرقون والسيرة - الدوحة: دار الثقافة ١٤١٠هـ.



الخميس، عثمان محمد.

- أحاديث بشأن السبطين - الرياض: دار الآل والأصحاب.

- كنوز السيرة، ط ٢- الكويت: غراس للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

ابن خميس، عبدالله.

- معجم اليمامة، ط ٢- الرياض: دار اليمامة ١٤٠٠هـ.

الخولي، محمد عبدالعزيز.

- الأدب النبوي، ط ١- بيروت: دار القلم ١٤٠٦هـ.

الخيارى، أحمد ياسين الخيارى.

- تاريخ ومعالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، تحقيق عبيد الله كردي،

ط ١ - المدينة المنورة: النادي الأدبي ١٤١٠هـ.

خياط، عبدالله.

- حكم وأحكام من السيرة النبوية - الرياض: دار الرفاعي ١٩٨١م.

أبو داهش، د. عبدالله بن محمد.

- شعراء حول الرسول ﷺ، ط ١ - الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

داود، عبدالأحد.

- محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ترجمة حمد فهد الزين

ط ١ - الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ.

الدرع، محمد خير.

- نبي الإسلام: شخصية - حياته - رسالته، ط١- دمشق: دار الفكر  
٢٠٠٢م.

دروزة، محمد عزة.

- سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم - بيروت: المكتبة  
العصرية (د.ت).

- عصر النبي وبيئته قبل البعثة، ط٢- بيروت: دار اليقظة ١٣٨٤هـ.

درمنغم إميل.

- حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢- القاهرة: دار إحياء الكتب  
العربية ١٩٤٩م.

الدملوجي، فاروق.

- تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة - بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع  
٢٠٠٣م.

الدمنهوري، عادل عبدالغفور عبدالغني.

- مرويات السيرة النبوية في العهد المكي إلى نهاية حديث الإسراء  
والمعراج رسالة ماجستير- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٩هـ.

- مرويات عروة بن الزبير في السير والمغازي جمع ودراسة، رسالة  
دكتوراه - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤١٤هـ.

الدمياطي، شرف الدين أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف.

- السيرة النبوية، تحقيق أسعد محمد الطيب - حلب: دار الصابوني  
١٤١٦هـ.

الدميري، مصطفى.

- العلاقات العامة في عصر النبوة - مكة المكرمة: مكتبة المنارة  
١٩٨٨م.

ابن دهبش، منيرة عبدالمملك.

- دور المسجد في القرن الأول الهجري، ط١ - مكة المكرمة: مكتبة  
الأسدي ١٤٢٥هـ.

ديبات، أحمد.

- ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد، ترجمة إبراهيم خليل أحمد،  
موقع. (www. \$shared.com).

ديورانت، ول.

- قصة الحضارة، ج ٢ م ١ (الشرق الأدنى القديم)، ترجمة أحمد بدران،  
ط٢ - القاهرة: ١٩٦١م.

دينه، فونس اتين (ناصر الدين).

- محمد رسول الله، تقديم شيخ الأزهر - القاهرة: ١٩٥٦م.

الرافعي، مصطفى بن محمد بن عبدالله العلوي.

- إتحاف المؤمنین بتاريخ مسجد خاتم المرسلین - المدينة المنورة: المكتبة  
العلمية ١٤٠٤هـ.

الراوي، محمد.

- المدينة المنورة في عهد الرسالة من حديث القرآن الكريم وبيان السنة  
المطهرة، ط٢ - الرياض: العبيكان ١٤٢٧هـ.

الرحيلي، سليمان بن ضفيدع.

- الطريق النبوي إلى بدر معالم وعبر - المدينة المنورة: ١٤١٩هـ.

رزق الله، أحمد مهدي.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل ١٤١٢هـ.

- صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، ط١ - دار إمام الدعوة ١٤٢٧هـ.

رستم، أسد.

- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط١ - بيروت: دار الكشوف ١٩٥٦م.

الرشيد، عبدالله محمد.

- القيادة العسكرية في عهد الرسول، الرياض: دار المعارف ١٩٨٧م.

الرشيد، ناصر بن سعد.

- سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشأته وموقعه، ط١ - القاهرة: دار الأنصار ١٣٩٧هـ.

رضا، محمد رشيد.

- الإمام علي بن أبي طالب، ط١ - القاهرة: مصطفى البابي الحلبي - ١٣٥٨هـ.

- ذو النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ.
- خلاصة السيرة المحمدية - القاهرة: دار النشر للجامعات ١٤٣٠هـ.
- محمد رسول الله - بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.
- الحسن والحسين سيدها شباب أهل الجنة - بيروت: عالم الكتب ٢٠٠٥م.
- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ.
- السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة - بيروت: الكتاب الإسلامي ١٩٨١م.
- أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.
- الوحي المحمدي - القاهرة: دار المنار ١٣٦٧هـ.
- الرفاعي، صالح بن حامد سعيد.
- الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ط١ - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية - مجمع المصحف ١٤١٣هـ.
- الرفاعي، عبدالعزيز.
- الرسول كأنك تراه، حديث أم معبد - دار الرفاعي ١٤٠٣هـ.
- رنسيمان، ستيفن.
- الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م.

روزنتال، فرانز.

- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، ط٢- بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

الزيدي، محمد حسن.

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري - القاهرة: ١٩٧٠م.

الزهرابي، عبدالحميد.

- خديجة أم المؤمنين - القاهرة: سلسلة كتب الهلال ١٣٨٣هـ. أبو زهرة، محمد.

- خاتم النبيين، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني - قطر: ٢٠٠٨م.

الزيد، زيد بن عبدالكريم.

- فقه السيرة، ط٣ - الرياض: دار التدمرية ١٤٢٨هـ.

زيدان، جورج.

- العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق حسين مؤنس - القاهرة: دار الهلال (د.ت).

الزين، سميح عاطف.

- خاتم النبيين محمد، ط٢ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ.

- زينو، محمد بن جميل.
- قطوف من الشمائل المحمدية، وزارة الأوقاف الكويتية - الكويت: إدارة الثقافة الإسلامية ٢٠٠٩م.
- سالم، زهير.
- الطريق إلى تبوك - عمان: دار عمار للنشر والتوزيع ١٩٠٠م.
- سالم، السيد عبدالعزيز.
- دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام - بيروت: دار النهضة ١٩٧٣م.
- سالم، السيد عبدالعزيز، وأحمد مختار العبادي.
- تاريخ البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط - الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨١م.
- سالم، عبدالله نجيب.
- ابتسامات نبوية، ط١- الكويت: دار اقرأ ١٤٢٧هـ.
- سالم، عطية محمد.
- وصايا الرسول - الأردن: دار الجوهرة ١٤٢٦هـ.
- ساليقان، رتشارد.
- ورثة الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جوزيف نسيم يوسف - الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٥م.
- السامرائي، ثائر حامد محمد و خليل إبراهيم السامرائي.
- المظاهر الحضرية للمدينة النبوية في عصر النبوة (١ - ١١هـ) - الموصل: مطبعة الزهراء الحديثة ١٤٠٥هـ.

السباعي، مصطفى.

- السيرة النبوية دروس وعبر، ط٧ - القاهرة: دار السلام ١٤٢٨هـ.

السحار، عبدالحميد جودة.

- محمد رسول الله والذين معه - القاهرة: ١٩٦٥م، (وهو عدة أجزاء).

- عام الوفود - القاهرة: مكتبة مصر ١٩٧٧م.

- وفاة الرسول - القاهرة ١٩٦٥م.

- مولد الرسول - القاهرة ١٩٦٥م.

سرور، محمد جمال.

- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد - القاهرة: دار الفكر

العربي ١٩٨٣م.

سزكين، فؤاد محمد.

- تاريخ التراث العربي، المجلد الأول الجزء الأول (علوم القرآن والحديث)

والمجلد الثاني الجزء الثاني (التدوين التاريخي)، ترجمة محمد فهمي

حجازي - الرياض: جامعة الإمام ١٤٠٣هـ.

سعادة، خليل.

- إنجيل برنابا، ترجمة من الإنجليزية، تعليق أحمد حجازي السقا -

الأردن: دار الأمل ٢٠٠٥م.

السعداوي، محمد حمزة.

- أولاد النبي، ط١ - مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ١٩٨٧م.



السعود، سليمان.

- أحاديث الهجرة، جمع وتحقيق ودراسة - برمنجهام بريطانيا: مركز الدراسات الإسلامية ١٤١١هـ.

السقا، أحمد حجازي.

- نبوة محمد في الكتاب المقدس، ط١ - القاهرة: دار الفكر العربي ١٣٩٨هـ.

سكاكيني، وداد.

- أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ - القاهرة: ١٩٤٥م.

سلطان، عبد المنعم عبد الحميد.

- تاريخ عُمان والخليج في صدر الإسلام - الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب ٢٠٠٧م.

السلفي، محمد لقمان.

- الصادق الأمين ﷺ، ط١ - الرياض: دار الداعي ١٤٢٧هـ.

السلومي، عبدالعزيز.

- ديوان الجند، ط١ - مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي ١٤٠٦هـ.

سليمة، محمد موفق.

- علي بن أبي طالب - دمشق: دار الهدى للنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ.

- حديث الإفك - دمشق: دار الفتح ١٤٠٩هـ.

- بنات النبي - دمشق: دار الهدى للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ.

السندي، أكرم حسين.

- مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة، رسالة ماجستير، كلية الحديث - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٠هـ.

السندي، عبدالقادر بن حبيب الله.

- الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك - الكويت: مكتبة المعلا ١٤٠٦هـ.

السنيدي، عبدالرحمن بن علي.

- التفقه في الدين والاندماج في أمة الإسلام عند القبائل المجاورة للمدينة في العهد النبوي - المدينة المنورة: بحث منشور في مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد (٤).

- السيرة النبوية عند البيهقي، مع دراسة مقارنة لأبرز مؤرخي السيرة المعاصرين له في المشرق خلال القرن الخامس الهجري - الرياض: جامعة الإمام - عمادة البحث العلمي ١٤٢٦هـ.

السويكت، سليمان بن عبدالله.

- محنة المسلمين في العهد المكي - الرياض: مكتبة التوبة ١٤١٢هـ.

الشافعي، عبدالسلام محمود.

- موقعة مؤتة - بيروت: المكتبة العصرية ١٩٧٥م.

شاكر، محمود.

- السيرة النبوية، ط ٣ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.

- التاريخ الإسلامي (قبل البعثة)، ط ٣ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.
- مع الهجرة إلى الحبشة - بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٨٧م.
- الشامي، صالح.
- أضواء على دراسة السيرة، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١١هـ.
- من معين السيرة، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.
- من معين الشمائل، ط ١ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١٨هـ.
- أهل الصفة بعيداً عن الوهم والخيال - دمشق: ١٤١٢هـ.
- شجاع، عبدالرحمن عبدالواحد.
- اليمن في صدر الإسلام - دمشق: دار الفكر ١٤٠٨هـ.
- شراب، محمد محمد حسن.
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة - دمشق: الدار الشامية ١٩٩١م.
- الشراري، نايف.
- دومة الجندل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية، ط ١ - الرياض: دار الملك عبدالعزيز ١٤٢٦هـ.
- الشرقاوي، عبدالرحمن.
- الفاروق عمر بن الخطاب، ط ١ - القاهرة: مركز الأهرام ١٤٠٧هـ.
- محمد رسول الحرية - القاهرة: دار الشروق ١٤١٠هـ.
- الصديق أول الخلفاء - القاهرة: دار الشروق ٢٠٠٩م.

الشريف، أحمد إبراهيم.

- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول - القاهرة: دار الفكر العربي (د.ت).

- دولة الرسول في المدينة، ط١- بيروت: دار الفكر العربي ١٩٩٨م. الشريف، محمود.

- الرسول في القرآن - القاهرة: دار ومكتبة الهلال ١٩٨٦م. الشعبي، أحمد قائد.

- وثيقة المدينة المضمون والدلالة، سلسلة كتاب الأمة، ط١ - الدوحة، قطر: وزارة الأوقاف ١٤٢٦هـ.

شقرة، محمد إبراهيم.

- السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، ط١ - الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٨هـ.

شليبي، أحمد.

- الرسول في بيته صلوات الله وسلامه عليه - القاهرة: دار النهضة ١٩٩٠هـ.

شليبي، رؤوف.

- المجتمع العربي قبل الإسلام - القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٧م. شليبي، محمود.

- حياة أبي بكر - القاهرة: دار الجيل ١٩٧٩م.

- حياة فاطمة عليها السلام - بيروت: دار الجيل ١٤٠٧هـ.

شما، سمير.

- النقود المتداولة في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين، بحث  
مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية - الرياض:  
جامعة الرياض ١٤٠٢هـ.

الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين.

- البعوث والغزوات النبوية - القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠٠٦م.

الشنقيطي، محمد الأمين عوض الله.

- السيرة النبوية عند ابن حجر في فتح الباري - الكويت: ١٤١٤هـ.

أبو شهبه، محمد بن محمد.

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط٧ - دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ/  
٢٠٠٣م.

الشهري، عوض بن أحمد.

- مرويات غزوة خيبر، (جمع وتحقيق ودراسة) رسالة ماجستير - المدينة  
المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤١٠هـ.

الشيبياني، محمد شريف.

- الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة - بيروت: دار الحضارة  
١٩٨٨م.

شيخو، لويس.

- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية - بيروت: دار المشرق ١٩٦٧م.

- منطقة الحيرة - بيروت: المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٤م.

الصابوني، محمد علي.

- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، (د.م) ١٩٨٠م.

أبو صالح، خالد مصطفى.

- مرض النبي ووفاته وأثر ذلك على الأمة، ط١ - الرياض: دار الوطن  
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

الصالح، صبحي.

- المنطقة الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط٥ - بيروت: ١٩٨٠هـ.

- مباحث في علوم القرآن، ط١٦ - بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٥م.

- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط٥ - بيروت: دار العلم للملايين  
١٩٨٠م.

صالحية، محمد عيسى.

- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع - القاهرة: معهد المخطوطات  
العربية ١٩٩٣م.

الصلابي، علي بن محمد بن محمد.

- أصح الكلام في سيرة خير الأنام (السيرة النبوية)، ط٣ - دمشق: دار  
ابن كثير ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق. شخصيته وعصره -  
الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.

- فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب - الإسكندرية: دار الإيمان  
٢٠٠٢م.

- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان - الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٢م.
- أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب - الإسكندرية: دار الإيمان ٢٠٠٣م.
- أمير المؤمنين الحسن بن علي شخصيته وعصره - الإسكندرية: دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٥هـ.
- الصواف، محمد محمود.
- زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن - عمان: مطبعة الحرية ١٩٦٤م.
- الصوياني، محمد.
- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ط٣ - الرياض: مكتبة العبيكان ١٤٣٠هـ.
- القصيمية "دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية" - الرياض: دار طيبة ١٤٠٩هـ.
- الضحيان، د. عبدالرحمن إبراهيم.
- الإدارة والحكم في الإسلام، ط٤ - (د.م) ١٤١٧هـ.
- الإدارة في الإسلام، ط١ - جدة: دار الشروق ١٤٠٧هـ.
- ضيف، شوقي.
- تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي - القاهرة: دار المعارف ١٩٩٦م.

آل بو طامي، أحمد بن حجر.

- الإسلام والرسول في نظر مناصفي الشرق والغرب - الدوحة: مكتبة الثقافة ١٣٩٧هـ.

الطاهر، سلوى مرسي.

- بدايات الكتابة التاريخية عند العرب أول سيرة في الإسلام "عروة بن الزبير بن العوام"، ط ١ - المغرب: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م.

طرهوني، محمد بن رزق.

- صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية، ط ١ - الرياض: دار ابن تيمية ١٤١٠هـ.

الطريفي، ناصر بن عقيل.

- القضاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ط ١ - جدة: دار المدني ١٤٠٦هـ. طعيمة، صابر.

- الأدب النبوي في ضوء العلم الحديث - بيروت: دار الجيل.

الطنطاوي، علي.

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه - جدة: دار المنارة ١٤٠٦هـ.

الطنطاوي، علي وناجي.

- أخبار عمر بن الخطاب وأخبار عبد الله بن عمر، ط ٨ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.



الطهطاوي، رفاعة رافع.

- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، ط١- القاهرة: دار الذخائر  
١٤١٩هـ.

الطهطاوي، محمد عزت.

- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - القاهرة: مكتبة النور ١٤٠٦هـ.  
طويلة، عبدالوهاب عبدالسلام.

- بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ - الرياض: دار السلام ١٩٩٨م.

- وجاء النبي المنتظر، ط٢ - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ.  
الظاهري، أبو تراب.

- ذهول العقول بوفاة الرسول - جدة: دار القبلة ١٤٠٤هـ.

- أصحاب الصفة - جدة: دار القبلة للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ.

العاني، عبدالرحمن عبدالكريم.

- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ - بغداد: دار الشؤون الثقافية  
العامة ١٩٨٩م.

عامري، سامي.

- محمد ﷺ في كتب اليهود والنصارى والبوذيين والمجوس والهندوس  
والسيخ، ط١- القاهرة: مركز التنوير الإسلامي ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.

العبادي، عبدالله الرحيم.

- خصائص لسيد المرسلين، ط١- الدوحة قطر: دار الثقافة ١٤٢٧هـ.

عبدالرحمن، عائشة (بنت الشاطئ).

- نساء النبي ﷺ - القاهرة: دار الريان ١٤٠٧هـ.
  - مع المصطفى - القاهرة: دار المعارف ١٩٩٢م.
  - أم النبي - الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٩م.
  - بنات النبي - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م.
- عبدالرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني.

- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.
- عبدالرزاق، يوسف.

- معالم دار الهجرة - المدينة: عالم النهضة الحديثة ١٤٠١هـ.
- عبدالغني، محمد إلياس.

- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط ٢ - المدينة: مركز طيبة ١٤١٨هـ.
- العبداللطيف، عبدالحليم إبراهيم.

- حديث الإفك، ط ١ - بريدة: نادي القصيم الأدبي ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- عبداللطيف، عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم.

- أمهات المؤمنين ﷺ، دراسة حديثة، رسالة دكتوراه - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٥هـ.

ابن عبدالله، صالح بن عبدالرحمن.

- عمر بن الخطاب، ط ٢ - الرياض: دار القاسم ١٤٠٦هـ.

عبدالوهاب، محمد فهمي.

- محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه -  
القاهرة: دار الاعتصام ١٩٧٩م.

العبودي، محمد ناصر.

- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (بلاد القصيم) - الرياض: دار اليمامة  
١٣٩٩هـ.

العبيدي، عبدالجبار.

- الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، ط٢- الرياض: دار الرفاعي ١٤٠٣هـ.  
عتر، حسن ضياء الدين.

- نبوة محمد ﷺ في القرآن، ط١ - بيروت: دار البشائر الإسلامية  
١٤١٠هـ.

العتوم، علي.

- تجربة مؤتة - عمان الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة ١٤٠٦هـ.

العتيبي، محمد بن عوض.

- نجران في عصر النبوة والخلافة الرائدة - رسالة ماجستير مقدمة لقسم  
التاريخ والحضارة بجامعة الإمام - الرياض: ١٤٣٠هـ (غير منشورة).

عثمان، عثمان عبد.

- السياسة الخارجية للدولة الإسلامية والاستراتيجية العليا في إدارة  
الصراع الدولي كما جدد قيادتها الرسول ﷺ، ط١- بيروت: دار مكتبة  
الهلال ١٩٩٤م.

عثمان، محمد فتحي.

- من أصول الفكر السياسي الإسلامي، دراسة لحقوق الإنسان ولوضع  
رئاسة الدولة في ضوء الشريعة الإسلامية وتراثها التاريخي والفقهي، ط ٢ -  
بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

العجلان، عبدالعزيز بن محمد.

- أبو المعتمر سليمان التيمي ومروياته في السيرة النبوية، رسالة ماجستير  
- الرياض: مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام، للعام الجامعي  
١٤٢٢هـ (غير منشورة).

العدوي، إبراهيم أحمد.

- الأمويون والبيزنطيون (البحر المتوسط بحيرة إسلامية) - القاهرة:  
مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٧٢هـ.

العربي، محمد ممدوح.

- دولة الرسول في المدينة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.  
عرجون، محمد الصادق إبراهيم.

- محمد رسول الله ﷺ - بيروت: دار العلم ١٤٠٥هـ.

العريني، السيد الباز.

- الدولة البيزنطية - القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٨٢م.  
عساف، أحمد محمد.

- قبسات من حياة الرسول - دار إحياء العلوم ١٤٠٥هـ.

العسكر، محمد بن صالح.

- العلاقة بين دولة الرسول ﷺ والقبائل العربية المقيمة حول المدينة (١-١هـ) رسالة دكتوراه - مقدمة لقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الملك سعود ١٤٢٢هـ (غير منشورة).

عيسى، أحمد عبدالرحمن.

- كتاب الوحي، ط١- الرياض: دار اللواء ١٤٠٠هـ.

عطية، عصام بن محمد.

- لماذا نحب محمداً - الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٢٨هـ.

العقاد، عباس محمود.

- عبقرية عمر ﷺ - صيدا، لبنان: المكتبة العصرية (د.ت).

- عبقرية محمد - القاهرة: دار النهضة مصر ١٩٨٠م.

- عبقرية الصديق - صيدا، لبنان: دار المكتبة العصرية (د.ت).

عقيل، عقيل حسين.

- محمد ﷺ من وحي القرآن ط١- دمشق: دار ابن كثير ١٤٣٢هـ.

العقيلي، محمد أرشيد.

- السفارات النبوية إلى ملوك العالم وأمراء أطراف الجزيرة العربية - دار

إحياء العلوم ١٤٠٦هـ.

العلي، إبراهيم.

- صحيح السيرة النبوية، ط٢ - بيروت: دار النفائس ١٤١٦هـ.

علي، جواد.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - بيروت: دار العلم للملايين  
١٩٧٦م.

علي، خالد سيد.

- رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والقبائل - الكويت: دار التراث  
١٤٠٧هـ.

علي، سر الختم عثمان.

- تدريس السيرة النبوية في مناهج التاريخ المدرسية - الرياض: دار العلوم  
١٤٠٢هـ.

العلي، صالح أحمد.

- تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة المنورة - بغداد: ١٩٦٩م.

- الدولة في عهد الرسول - مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٩م.

- محاضرات في تاريخ العرب (الدولة العربية قبل الإسلام)، ١٩٦٠ (د. م)  
عمارة، محمد.

- الإسلام وفلسفة الحكم، ط٢ - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر ١٩٧٩م.

العمري، بريك بن محمد أبو مايلة.

- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، ط١ - الدمام: دار ابن  
الجوزي ١٤١٧هـ.

- غزو مؤتة، ط١- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- بدر الكبرى المدينة والغزوة، ط١- دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- العُمري، أكرم ضياء.
- الرسالة والرسول، ط١ - ١٤١٠هـ (د.م).
- المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين، ط١- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٤هـ.
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر النبوة، ط١ - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٧هـ.
- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، ط١- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- السيرة النبوية الصحيحة، ط٣ - المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٥هـ.
- عصر الخلافة الراشدة، ط١ - مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ.
- موقف الاستشراق من السيرة النبوية - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٦هـ.
- العُمري، عبدالعزيز بن إبراهيم.
- أبعاد إدارية واجتماعية واقتصادية وتقنية في السيرة النبوية - الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٦هـ.

- أثر أمهات المؤمنين في المجتمع المدني (عهد معاوية بن أبي سفيان نموذجاً) بحث منشور ضمن كتاب أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، ط ١ - الرياض: ١٤٢٦هـ.
- استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين، ط ١ - الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٧هـ.
- مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، ط ١ - الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٨هـ.
- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط ١ - الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٢هـ.
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط ٣ - الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٠هـ.
- الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط ٢ - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩هـ.  
العواجي، محمد بن محمد.
- مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط ١ - المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي للجامعة الإسلامية ١٤٢٥هـ.
- أهمية دراسة السيرة والعناية بها في حياة المسلمين، بحث ضمن أعمال ندوة عناية المملكة بالسنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ١٤٢٥هـ.  
عواد، كوركيس.
- مصادر التراث العسكري عند العرب، ط ١ - بغداد: المجمع العلمي ١٤٠٣هـ.



العودة، سليمان بن حمد.

- السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، ط١- الرياض: جامعة الإمام ١٤١٩هـ.

- الهجرة الأولى في الإسلام (فقه المرويات)، ط١- الرياض: دار طيبة ١٤١٩هـ.

- قضايا ومباحث في السيرة النبوية، ط١- الرياض: دار المسلم ١٤١٦هـ.

- عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ط١- دار طيبة ١٤٠٥هـ.

عوض الله، السيد أحمد أبو الفضل.

- مكة في عصر ما قبل الإسلام ط١- الرياض: دار الملك عبدالعزيز ١٩٨١م.

العياري، شفيق إبراهيم.

- الدولة الإسلامية في المدينة في عصر الرسول ﷺ - القاهرة: كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤١٨هـ.

العياشي، إبراهيم بن علي.

- المدينة بين الماضي والحاضر - المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٣٩٢هـ.

- غزوة بدر الكبرى - المدينة المنورة: النادي الأدبي ١٩٨١هـ.

عيسى، د. أحمد عبدالرحمن.

- كتاب الوحي، ط١- الرياض: دار اللواء ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

محمد بن عبدالله غبان.

- فتنة مقتل عثمان. ط١- الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٩هـ.

- شهداء غزوة بدر الكبرى، ط١٥- الرياض: الجمعية التاريخية السعودية  
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ وإليه جمعاً ودراسة (رسالة  
دكتوراه) - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية (د. ت).  
الغزالي، محمد.
- فقه السيرة، ط٧- القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٦هـ.  
الغضبان، منير محمد.
- المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٢- الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار  
١٤٠٦هـ.
- فقه السيرة النبوية، معهد البحوث - مكة المكرمة: جامعة أم القرى  
١٩٨٩م.  
الغلاييني، مصطفى.
- لباب الخيار في سيرة المختار، ط٣- القاهرة: المكتبة الرحمانية  
١٣٤١هـ.  
الغيث، خالد بن محمد.
- استشهاد عثمان ووقعة الجمل من مرويات سيف بن عمر في تاريخ  
الطبري دراسة نقدية، ط١- جدة: دار الأندلس الخضراء ١٤١٨هـ.  
أبو فارس، محمد عبدالقادر.
- في ظلال السيرة النبوية، الإسراء والمعراج - عمان الأردن: دار الفرقان  
للنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ.

- في ظلال السيرة النبوية، الصراع مع اليهود - دار الفرقان ١٤٠٩هـ
- في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية ط ١ - عمّان: دار الفرقان ١٤٠٢هـ.
- غزوة الحديبية - عمان الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ  
فاشا، سهيل.
- لمحات من تاريخ نصارى العراق - بغداد: مطبعة شفيق ١٩٨٢م.  
الفالوزة، أبو إبراهيم محمد بن إلياس.
- الموسوعة العلمية في صحيح السيرة النبوية، ط ١ - الصفا: ١٤٢٣هـ  
فرج، بسام عطية.
- نبينا رأي العين، ط ٢ - عمّان الأردن: دار الفاروق ١٤٣١هـ.  
الفضيسان، سعود بن عبدالله.
- غزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم ط ١ - دار إشبيليا ١٤١٨هـ/  
١٩٩٧م.
- مرويات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في التفسير - الرياض: مكتبة التوبة ١٤١٣هـ.  
الفهيد، محمد عبدالعزيز.
- غزوات الرسول ﷺ الرياض: المؤلف ١٤١٤هـ.  
الفوزان، صالح بن فوزان.
- حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، ط ١٠ - الرياض: دار البيان ١٤٢٦هـ.

الفيومي، محمد إبراهيم.

- تاريخ الفكر الديني الجاهلي - القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

قاسم، عون الشريف.

- نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، دراسة في وثائق العهد النبوي، ط٢ - بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٤٠١هـ.

ابن قاسم، محمد بن عبدالرحمن.

- أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة - بيروت: دار القلم ١٩٩٦م.

القرشي، غالب عبدالكافي.

- أوليات الفاروق - المنصورة: دار الوفاء ٢٠٠٠م.

القرضاوي، يوسف.

- الرسول المعلم، ط٤ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

القريبي، إبراهيم بن إبراهيم.

- مرويات غزوة بني المصطلق وهي "غزوة المريسيع" - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية (د.ت).

- مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، ط١ - المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ١٤١٢هـ.

قطب، محمد علي.

- قبسات من الرسول - بيروت: دار الشروق ١٩٨٤هـ.

- غزوات رسول الله وسجل الشهداء - بيروت: المكتبة العصرية ١٤٢٥هـ.

قلعه جي، محمد رواس.

- دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة، ط١ - بيروت: دار النفائس ١٩٨٨هـ.
  - قراءة جديدة للسيرة النبوية - الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٨٤م.
  - قراءة سياسية، للسيرة النبوية، ط٢ - بيروت: دار النفائس بيروت ١٤٢٠هـ.
  - محمد في الكتب المقدسة - حلب: المكتبة العربية ١٣٩٢هـ.
  - موسوعة فقه عثمان بن عفان - بيروت: دار النفائس ٢٠٠٧م.
  - موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ط١ - الكويت: مكتبة الفلاح ١٤٠١هـ.
- القيسي، نوري حمودي.
- مواقف من السيرة النبوية - بيروت: عالم الكتب ١٩٨٥م.
- كامل، عبدالعزيز.
- دروس من غزوة أحد - القاهرة: دار المعارف ١٩٧٩هـ.
- الكتاني، عبدالحى بن عبدالكبير.
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- كحالة، عمر رضا.
- معجم المؤلفين - دار إحياء التراث العربي (د. ت).

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢- بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.  
كجك، مروان.
- تهذيب سيرة ابن هشام - الرياض: دار طيبة ١٤١٩هـ.  
الكردي، راجح عبدالحميد.
- شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي - الأردن: دار الفرقان ١٤٠٦هـ.  
كريستنسن، آرثر.
- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبدالوهاب عزام - القاهرة: ١٩٥٧م.  
كعكي، عبدالعزيز عبدالرحمن إبراهيم.
- معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، ط١ - المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ.
- المجموعة المصورة لأشهر معالم المدينة المنورة، ط١ - المدينة المنورة: ١٤٢٠هـ.  
كلزية، عبدالوهاب.
- الشرع الدولي في عهد الرسول ﷺ - بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م.  
الكليب، عبدالملك.
- علامات النبوة - دمشق: وحي القلم ٢٠٠٨م.  
الكمداني، أديب.
- فن تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية - دمشق: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٥هـ.

كولن، محمد فتح الله.

- الرسول ﷺ قائداً: التطوير والتطبيق - اسطنبول: دار النيل ١٤٢٥هـ.

- اللحام، حنان.

- هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، ط٢- بيروت: دار الفكر ١٤٢٣هـ.

كينث كانتزر ومجموعة من العلماء.

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أعدته لجنة لاهوتية مكونة من ١٣ عنصر برئاسته - القاهرة: شركة ماسترميديا ١٩٩٧م.

المالكي، حسن جبر.

- وفود القبائل على الرسول وانتشار الإسلام في جزيرة العرب، ط١- الكويت: وزارة الإعلام ١٩٨٧م.

ماهر، سعاد.

- مساجد في السيرة النبوية - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

لمعي، صالح.

- المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري - بيروت: دار النهضة ١٩٨١م.

اللميلم، عبدالعزيز بن محمد.

- رسالة المسجد في الإسلام، ط١ - الرياض: ١٤٠٧هـ.

لوبون، غوستاف.

- حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط ٣ - دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

لوقا، نظمي.

- محمد في حياته الخاصة - القاهرة: دار الهلال ١٩٦٩م.

- محمد، الرسالة والرسول - القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٥٩م.

مال الله، محمد.

- أبو بكر الصديق - الرياض: مكتبة ابن تيمية ١٤١٠هـ.

- ذو النورين عثمان بن عفان، (د.م) ط ١ - ١٤١٠هـ.

المباركفوري، صفي الرحمن.

- الرحيق المختوم - المنصورة: دار الوفاء (د.ت).

مجد لاوي، فاروق.

- الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، ط ٣ - عمّان، الأردن: روائع مجد لاوي للنشر ٢٠٠٣م.

مجلس الكنائس العالمي.

- الكتاب المقدس، ط ١ - بيروت لبنان: جمعية الكتاب المقدس ١٩٩٣م.

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (السيرة والمدائح النبوية) - مؤسسة آل البيت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.



مجموعة من الباحثين.

- حضارة العراق، ط ١ - بغداد ١٩٨٥م.

محمد، قطب إبراهيم.

- السياسة المالية للرسول - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب  
١٩٨٨م.

المدخلي، إبراهيم بن محمد.

- مرويات غزوة الخندق، عمادة البحث العلمي - المدينة المنورة: الجامعة  
الإسلامية ١٤٢٤هـ.

مرزوق، عبدالصبور.

- السيرة النبوية في القرآن الكريم - مكة المكرمة: رابطة العالم  
الإسلامي (د. ت).

المرصفي، سعد.

- الهجرة النبوية ودورها في بناء المجتمع الإسلامي - الكويت: دار الفلاح  
١٤٠٢هـ.

مستو، محيي الدين ديب.

- مناهج التأليف في السيرة النبوية خلال القرون الأربعة الأولى - جامعة  
الكويت ١٤٠٨هـ.

المسند، عبدالعزيز بن عبدالرحمن.

- النهج المحمدي - الرياض: النادي الأدبي ١٤٠٠هـ.

المصري، د. جميل عبدالله.

- أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري -  
المدينة المنورة: مكتبة الدار ١٤١٠هـ.

معدى، الحسيني الحسيني.

- الرسول ﷺ في عيون منصفة، ط١ - القاهرة: دار الكتاب العربي  
٢٠٠٦م.

المغلوث، سامي بن عبدالله بن أحمد.

- الأطلس التاريخي لسيرة النبي ﷺ، ط٢ - الرياض: مكتبة العبيكان  
١٤٢٤هـ.

المكي، نجم الدين أبي القاسم عمر محمد بن فهد الهاشمي.

- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق أ. د.  
عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، ط٢ - مكة المكرمة: مكتبة الأسدي  
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

المليحي، عاطف قاسم أمين.

- أسماء النبي في القرآن والسنة - القاهرة: عالم الفكر ١٤١٩هـ.

المنجد، صلاح الدين.

- معجم ما أُلّف عن رسول الله - بيروت: دار الكتاب الجديد ١٩٨٢م.  
مؤنس، حسين.

- التاريخ الصحي للرسول ﷺ - القاهرة: دار المعارف ٢٠٠٠م.

النجار، زغلول.

- خواطر في معية خاتم الأنبياء ﷺ، ط ٣ - القاهرة: نهضة مصر ٢٠٠٨م

النجار، عبدالوهاب

- قصص الأنبياء - القاهرة: دار التراث (د. ت).

النحوي، عدنان علي رضا.

- النبي العظيم والرحمة المهداة - الرياض: دار النحوي ٢٠٠٦م.

نخبة من الأساتذة المتخصصين بجامعة الإسكندرية والقوات البحرية المصرية.

- تاريخ البحرية المصرية - جامعة الإسكندرية ١٩٧٣م.

النخيلان، ندى.

- أمهات المؤمنين وأثرهن في مجتمع المدينة في عصر الخلفاء الراشدين، رسالة ماجستير، جامعة الأميرة نورة - كلية الآداب، قسم التاريخ - الرياض: ١٤٣٠هـ.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط ٣ - الرياض: دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٨هـ.

الندوي، أبو الحسن علي الحسني.

- السيرة النبوية، تقديم: د. يوسف القرضاوي، ط ٣ - دار القلم ١٤٢٧هـ.

الندوي، محمد لقمان الأعظمي.

- مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ، دار الاعتصام ١٩٨٩م.

النملة، على إبراهيم حمد.

- مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين - الرياض: مكتبة الملك فهد

الوطنية ١٤١٢هـ.

- المستشرقون والسنة والسير - بيروت: مكتبة بيسان ١٤٣١هـ.

نيازي، عبدالكريم عبدالله.

- لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا - بيروت: مركز الصف الإلكتروني،

١٤٠٧هـ.

هارون، عبدالسلام.

- تهذيب سيرة ابن هشام - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.

هارت، مايكل.

- أعظم مئة رجل في التاريخ، ترجمة أنيس منصور، ط ٩ - القاهرة:

المكتب المصري ١٩٩٧م.

الهاشمي، حسين بن حيدر محبوب.

- جمهرة أنساب أمهات المؤمنين، ط ١ - بريدة السعودية: دار البخاري

١٤١٨هـ.

الهاشمي، عبدالمنعم.

- محاولات اغتيال النبي ﷺ، ط ١ - الكويت: مكتبة البخاري ١٤١١هـ.

- النبي ﷺ والنساء ط ١ - الكويت: مكتبة المعارف المتحدة ١٤٢٩هـ.
  - أبناء النبي ﷺ وأحفاده، ط ١ - الكويت: مكتبة ابن كثير ١٤٢٩هـ.
  - أزواج النبي ﷺ، ط ١ - الكويت: مكتبة ابن كثير ١٤٢٥هـ.
  - قادة النبي ﷺ - دمشق: دار ابن كثير ١٤١٤هـ.
  - أصهار رسول الله - الرياض: دار الهجرة للطباعة والنشر ١٤٠٨هـ.
- الهاشمي، محمد علي.
- شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم، ط ١ - بيروت: عالم الكتب ١٤٠٣هـ.
- هايد، ف.
- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فودة - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.
- هلال، إبراهيم إبراهيم.
- حديث هرقل وكتاب الرسول إليه - القاهرة: دار الصحوة ١٩٩٨م.
- الهلابي، عبدالعزيز.
- ما حقيقة رحلة قريش إلى الشام - الرياض: مجلة دار الملك عبدالعزيز، المجلد ٢٢، العدد ٤، لسنة ١٩٩٦م.
- الهوري، سيد.
- الإدارة بالأهداف، ط ٤ - القاهرة: مكتبة عين شمس ١٩٩٩م.

- الإدارة والأصول والأسس العلمية - القاهرة: دار المعارف ١٩٧٦م  
هيكل، محمد حسين.
- حياة محمد - القاهرة: دار المعارف ١٩٨١م.
- عثمان بن عفان - القاهرة: دار المعارف ١٩٩٨م.
- في منزل الوحي - بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٧م.
- الصديق أبي بكر، ط ٢ - القاهرة: مطبعة مصر ١٣٦٢هـ.
- الواعي، توفيق يوسف.
- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية - المنصورة: دار الوفاء  
١٤٠٣هـ.
- وتر، محمد ضاهر.
- فن الحرب في عهد الرسول ﷺ - دمشق: دار الفكر ١٤٠٥هـ.
- وجدي، محمد فريد.
- دائرة معارف القرن العشرين، ط ٣ - بيروت: دار المعرفة ١٩٧١م.
- الوزان، د. عدنان بن محمد بن عبدالعزيز.
- حقوق الإنسان في الإسلام وسماتها في المملكة العربية السعودية،  
مجلد ٥، ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٥هـ.
- الوكيل، محمد السيد.
- المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، ط ١ - دار المجتمع ١٤٠٦هـ
- تأملات في سيرة الرسول - جدة: دار المجتمع ١٩٩٥م.

- الحركة العلمية في عصر الرسول ﷺ وحلفائه، ط ١- جدة: دار المجتمع ١٤٠٦هـ.
- ولد أباه، محمد أباه.
- موكب السيرة النبوية رسول الهجرة - الدوحة: دار الثقافة ١٩٨٥م.
- ولد داه، محمد.
- جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام، ط ١ - الرياض: مطابع الفرزدق ١٤٠٧هـ.
- ولفنسون، إسرائيل.
- تاريخ اليهود في بلاد العرب - القاهرة: ١٩٢٧م.
- اليامي، ضيدان بن عبدالرحمن.
- بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة (وثيقة المدينة)، ط ١- الرياض: مكتبة المعارف ١٤٠٨هـ.
- يمانى، محمد عبده.
- علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ - جدة: دار القبلة ١٩٩٢م.
- بدر الكبرى، المدينة والغزوة، ط ١ - جدة: دار القبلة ١٤١٥هـ.
- إنها فاطمة الزهراء - جدة: مؤسسة علوم القرآن ٢٠٠٤م.
- اليوسف، عبدالقادر.
- الإمبراطورية البيزنطية - بيروت: ١٩٦٦م.

### مراجع أجنبية:

- *Jewish Encyclopedia. Y. ١١ P. ٤١٥*
- *Gospel of Barnaba*
- *R. Goltheril, "Achri stristian Bahira legencl. " Zcits Chrif Fur Assyriologie, ١٣ (١٨٩٨) pp. ١٨٩-٢٤٢: ١٤ (١٨٩٨) pp. ٢٠٣-٢٦٨, ١٥١٩٠٠. pp. ٥٦-١٠٢, ١٦ (١٩٠٣) pp. ١٢٥-١٦٦*

### مواقع الكترونية:

- [www.eshared.com](http://www.eshared.com).
- [www.ar.wikipedoa.com](http://www.ar.wikipedoa.com).
- <http://www.hurras.org> بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٧
- [www.ar.wikipedoa.com](http://www.ar.wikipedoa.com)
- <http://www.islam-love.com>
- <http://www.ahlalhdeeth.com>. بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٧

\* \* \* \* \*



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩-٥	المقدمة .....
<b>القسم الأول</b>	
٢١٢-١١	علم السيرة النبوية، العالم والمصطفى والوحي
١٣	أهداف دراسة السيرة النبوية وفوائدها .....
١٧	فـي دراسة سيرته ﷺ تحقيق لمحبهه .....
٢٩	كيفية دراسة السيرة النبوية .....
٤١	خصائص السيرة النبوية .....
٤٤	أقسام السيرة النبوية .....
٥١	مصادر السيرة النبوية .....
٥١	القرآن الكريم وعلومه .....
٥٦	كتب الحديث .....
٥٨	كتب السيرة والمغازي .....
٦٢	المؤلفات الحديثية .....
٦٧	المؤلفات عن الشمائل النبوية .....
٦٩	كتب الطبقات .....
٧١	كتب التاريخ العام .....
٧٢	كتب الأدب .....
٧٢	كتب السياسة الشرعية .....
٧٤	كتب الأنساب .....
٧٤	كتب المعارف العامة .....
٧٥	كتب البلدانيات .....

الصفحة	الموضوع
٧٧	كتب الفتوح .....
٧٩	أحوال العرب في العصر الجاهلي .....
٧٩	الحجاز .....
٧٩	نجد .....
٨٠	العروض (اليمامة) .....
٨٠	اليمن .....
٨٠	تهامة .....
٨١	البحرين .....
٨١	مناخ بلاد العرب .....
٨١	السكان .....
٨٢	الجوانب الدينية .....
٨٤	الحياة الاجتماعية .....
٨٧	أحوال العالم الدينية في العصر الجاهلي .....
٨٧	اليهودية .....
٨٩	النصرانية .....
٩٠	المجوسية .....
٩١	البوذية .....
٩٣	الحالة السياسية في العصر الجاهلي .....
٩٣	أحوال العرب السياسية .....
٩٤	الأعراب .....
٩٥	مكة والمدينة .....
٩٩	ممالك العرب قبل الإسلام .....

الصفحة	الموضوع
٩٩	مملكة الحيرة .....
١٠٠	مملكة غسان .....
١٠٢	اليمن .....
١٠٤	فارس .....
١٠٦	الروم .....
١١٠	العالم وانتظار الرسول .....
١١٠	العرب .....
١١٢	اليهود .....
١١٦	النصارى .....
١٣٤	مثقفو الغرب المعاصرون ونظرتهم للنبي ﷺ .....
١٤٩	عصر الرسول ﷺ .....
١٥١	موطن الرسول ﷺ .....
١٥٧	النسب المختار للمصطفى ﷺ .....
١٥٩	آباء المصطفى المختار .....
١٥٩	عبدالله بن عبدالمطلب .....
١٥٩	أم الرسول ﷺ .....
١٦٠	عبدالمطلب بن هاشم .....
١٦٢	هاشم بن عبد مناف .....
١٦٢	عبد مناف .....
١٦٣	قصى بن كلاب .....
١٦٣	أسماء النبي ﷺ .....

الصفحة	الموضوع
١٦٦	ميلاد المصطفى الحبيب ﷺ
١٦٩	يتيماً أوواه الله
١٧١	رضاعة المصطفى المختار
١٧٤	حادثة شق الصدر
١٧٥	الزيارة الأولى للمدينة
١٧٧	شبابه ﷺ
١٨١	رجولته ﷺ
١٨٥	زواجه من خديجة ﷺ
١٨٩	حادثة بناء الكعبة
١٩٢	إرهاصات ما قبل البعثة
١٩٥	البعثة والاصطفاء
١٩٥	الوحي
١٩٥	نزول الوحي
٢٠٠	فتور الوحي
٢٠٣	بدء الدعوة

### القسم الثاني

٢١٣-٤١٤	الاضطهاد والهجرة والتنميتة
٢١٥	أذي المشركين الرسول ﷺ وما لقي منهم
٢٣٠	المضطهدون الأوائل والشهداء
٢٣٠	إستشهاد سمية (أم عمار) ﷺ
٢٣١	بلال بن رباح ﷺ

الصفحة	الموضوع
٢٣٣	خباب بن الأرت ﷺ
٢٣٤	سعد بن أبي وقاص ﷺ ووالدته
٢٣٦	عبدالله بن مسعود ﷺ (الجاهر بالقرآن)
٢٣٨	مصعب بن عمير ﷺ
٢٤٠	الهجرة الأولى إلى الحبشة
٢٤٤	الهجرة الثانية إلى الحبشة
٢٤٨	إسلام حمزة بن عبدالمطلب ﷺ
٢٥٠	إسلام عمر بن الخطاب ﷺ
٢٥٥	حادثة إنشقاق القمر
٢٥٧	المقاطعة الظالمة
٢٦١	وفاة خديجة ﷺ
٢٦٣	وفاة أبي طالب
٢٦٧	رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف
٢٧٢	الإسراء والمعراج (قبل الهجرة)
٢٨٢	العرض على القبائل
٢٨٨	اللقاء الأول بالأنصار
٢٩١	بيعة العقبة الأولى
٢٩٧	بيعة العقبة الثانية
٣٠٤	هجرة أصحاب الرسول ﷺ
٣١٤	أهل الصفة
٣١٦	هجرة النبي ﷺ
٣١٦	أبو بكر الصديق ﷺ وأهله ودورهم في الهجرة

الصفحة	الموضوع
٣٣١	علي <small>عليه السلام</small> وفداؤه للرسول <small>صلى الله عليه وسلم</small> وأداء أماناته .....
٣٣٢	الطريق إلى المدينة .....
٣٣٨	الوصول إلى المدينة .....
٣٤٥	المدينة وسكانها .....
٣٤٧	بنو قينقاع .....
٣٤٨	بنو النضير .....
٣٤٩	بنو قريظة .....
٣٥١	النزول في دار أبي أيوب الأنصاري .....
٣٥٣	بناء المسجد النبوي .....
٣٥٦	الأذان .....
٣٦٠	المؤاخاة .....
٣٦٣	بناء الرسول <small>صلى الله عليه وسلم</small> بعائشة <small>رضي الله عنها</small> .....
٣٦٧	تتمية المدينة ومجتمعها .....
٣٦٧	تغيير اسم المدينة .....
٣٦٨	محبة المدينة وتحريمها .....
٣٧١	التتمية السكانية .....
٣٧٢	التتمية المعنوية .....
٣٧٣	التتمية العلمية .....
٣٧٩	التتمية الاجتماعية .....
٣٨٣	التتمية الصحية .....
٣٨٦	التتمية الاقتصادية .....
٣٨٨	تتمية التجارة .....

الصفحة	الموضوع
٣٩٤	التتمية الزراعية .....
٣٩٧	تتمية التعدين .....
٣٩٩	تتمية الصناعات .....
٣٩٩	الحدادة .....
٤٠٠	الصياغة .....
٤٠١	الدباغة والخرازة .....
٤٠٣	النسيج .....
٤٠٦	الخِوَاصَّة .....
٤٠٧	الخياطة .....
٤٠٩	تتمية الحيوانات وتربيتها .....
٤٠٩	رعى الغنم .....
٤١١	الجمع والاحتطاب .....
٤١٣	الأجْرَاء .....
<b>القسم الثالث</b>	
٤١٥-٦٣١	<b>إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً</b>
٤١٧	معاهدة المدينة .....
٤٢١	الإذن بالقتال .....
٤٢٨	صيام رمضان .....
٤٣١	تحويل القبلة .....
٤٣٤	بداية السرايا والغزوات .....
٤٣٦	السرايا الأولى .....
٤٣٦	سرية حمزة بن عبدالمطلب <small>رضي الله عنه</small> (إلى سيف البحر) .....

الصفحة	الموضوع
٤٣٧	سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب ﷺ
٤٣٨	سرية سعد بن أبي وقاص ﷺ
٤٣٨	سرية عبدالله بن جحش ﷺ (إلى نخلة)
٤٤٣	<b>الغزوات الأولى</b>
٤٤٣	غزوة الأبواء
٤٤٤	غزوة العشيرة
٤٤٥	غزوة سفوان (بدر الأولى)
٤٤٧	غزوة بدر (١٧ رمضان سنة ٢هـ)
٤٥٩	بين بدر وأحد
٤٥٩	غزوة بني قينقاع
٤٦٣	غزوة بني سليم
٤٦٣	غزوة السويق
٤٦٤	غزوة ذي أمراً (غطفان)
٤٦٥	غزوة بجران
٤٦٦	سرية زيد بن حارثة ﷺ (القردة)
٤٦٨	<b>زواج علي وفاطمة ﷺ</b>
٤٧٤	غزوة أحد (شوال سنة ٣هـ)
٤٨٣	أصحاب الرجيع
٤٨٦	بئر معونة
٤٨٨	غزوة بني النضير (ربيع الأول ٤هـ)
٤٩٤	بدر الآخرة (الموعد) (شعبان ٤هـ)
٤٩٦	غزوة دومة الجندل (ربيع الأول ٥هـ)



الصفحة	الموضوع
٤٩٨	غزوة الأحزاب (الخدق) .....
٥١٠	غزوة بني المصطلق (المريسيق) (شعبان سنة ٦هـ) .....
٥١١	حديث الإفك .....
٥٢٥	غزوة الحديبية (شوال ٦هـ) .....
٥٣٤	رسائل النبي إلى زعماء العالم .....
٥٣٥	إلى ملك الروم .....
٥٤٩	إلى كسرى فارس .....
٥٥٩	إلى المقوقس (عظيم القبط في مصر) .....
٥٦٤	إلى ملوك الحبشة .....
٥٦٩	إلى هوذة بن علي الحنفي (في اليمامة) .....
٥٧٥	إلى المنذر بن ساوي العبدى (في البحرين) .....
٥٧٧	إلى فروة بن عمرو الجذامي .....
٥٧٨	إلى ملكي عُمان .....
٥٨١	إلى الحارث بن أبي شمر الغساني .....
٥٨٢	إلى جبلة بن الأيهم الغساني .....
٥٨٧	إلى يحيى بن ربيعة وزعماء أيلة .....
٥٩٣	فتح خيبر (ربيع الأول سنة ٧هـ) .....
٥٩٨	عمرة القضاء .....
٦٠١	غزوة مؤتة (جمادى الأولى سنة ٨هـ) .....
٦٠٥	فتح مكة (٢٠ رمضان سنة ٨هـ) .....
٦١١	غزوة حنين والطائف (شوال سنة ٨هـ) .....
٦١٨	غزوة تبوك (رجب سنة ٩هـ) .....
٦٢٧	حج أبي بكر بالناس (سنة ٩هـ) .....

## القسم الرابع

٦٣٧-٨٣٧

## العالمية والدولة الإنسانية

٦٣٩	وفود القبائل .....
٦٤٢	وافد دوس (الطفيل بن عمرو) .....
٦٤٥	وفد عبدالقيس .....
٦٤٧	وفد ثقيف .....
٦٥٢	وفد بني سعد بن بكر .....
٦٥٣	وفد بني تميم .....
٦٥٧	وفد بني عامر .....
٦٥٨	وفد بني حنيفة .....
٦٦٢	وفود اليمن .....
٦٦٢	وفد الأشعريين .....
٦٦٣	وافد مراد (فروة بن مسيك) .....
٦٦٤	وفد همدان .....
٦٦٦	وفد كندة .....
٦٦٦	وفد الأزْد و(جُرْش) .....
٦٦٨	وافد حضرموت (وائل بن حجر) .....
٦٦٩	وفد الحارث بن كعب .....
٦٧١	وفود نصارى العرب .....
٦٧١	وفد الداريين .....
٦٧٢	وفد تغلب .....
٦٧٣	وفود طيئ .....

الصفحة	الموضوع
٦٧٤	وفد فروة بن عمرو الجذامي .....
٦٧٤	وفد غسان .....
٦٧٥	وفادة عدي بن حاتم .....
٦٨١	وفد نصارى نجران .....
٦٩٢	هدم الأصنام .....
٦٩٢	سرية خالد بن الوليد لهدم العُزى .....
٦٩٣	سرية عمرو بن العاص لهدم سواع .....
٦٩٣	سرية سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة .....
٦٩٤	سرية علي بن أبي طالب لهدم الفلس في طيئ .....
٦٩٤	سرية الطفيل بن عمرو لهدم صنم ذو الكفين في دوس .....
٦٩٥	سرية جرير بن عبدالله إلى (ذي الخلصة) .....
٦٩٧	حجة الوداع .....
٧١٤	وقفات عند حجة الوداع .....
٧١٨	حديث غدير خُمّ .....
٧٢٠	بعث جيش أسامة بن زيد .....
٧٢٤	إقامة دولة الإسلام .....
٧٣٠	تنظيم الدولة وولاياتها .....
٧٣٤	أهم الولايات التي عرفت في العصر النبوي .....
٧٣٤	ولاية اليمن .....
٧٣٥	مكة المكرمة .....
٧٣٦	الطائف .....
٧٣٧	البحرين .....

الصفحة	الموضوع
٧٣٨	عُمان .....
٧٤٢	العدل والمساواة .....
٧٥٠	ترتيب الأمن والسلام .....
٧٥٧	بناء الآداب والأخلاق الإجتماعية .....
٧٨١	البناء العسكري .....
٧٩١	دولة الرسول ﷺ والسلام العالمي .....
٧٩٣	وفاة المصطفى ﷺ .....
٧٩٦	شكوى رسول الله ﷺ .....
٧٩٧	اشتداد المرض على رسول الله ﷺ .....
٨٠٨	اليوم الأخير في حياة الرسول ﷺ .....
٨١٠	السواك .....
٨٢٨	تجهيز الرسول ﷺ والصلاة عليه ودفنه .....
<b>القسم الخامس</b>	
١٠١٠-٨٣٩	<b>المعايشون للرسول ﷺ</b>
٨٤١	بيعة أبي بكر الصديق ﷺ .....
٨٤٢	حادثة السقيفة .....
٨٥١	أسباب اختيار أبي بكر الصديق ﷺ .....
٨٥٩	أمهات المؤمنين .....
٨٦٣	خديجة بنت خويلد ﷺ .....
٨٦٥	سودة بنت زمعة ﷺ .....
٨٦٦	عائشة بنت أبي بكر الصديق ﷺ .....
٨٦٨	حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ .....

الصفحة	الموضوع
٨٦٩	أم سلمة <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٦٩	زينب بنت جحش <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٧٣	جويرية بنت الحارث <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٧٤	أم حبيبة بنت أبي سفيان <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٧٤	ميمونة بنت الحارث <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٧٥	صفية بنت حيي <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٧٥	ماريه القبطية <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٧٨	استقرار أمهات المؤمنين <small>رضي الله عنهن</small> .....
٨٧٩	علاقاتهن الاجتماعية.....
٨٨٧	وفيات أمهات المؤمنين <small>رضي الله عنهن</small> .....
٨٨٩	بنات المصطفى <small>رضي الله عنه</small> .....
٨٨٩	زينب بنت الرسول <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٩٤	رقية بنت رسول الله <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٩٦	أم كلثوم بنت النبي <small>رضي الله عنها</small> .....
٨٩٩	فاطمة بنت النبي <small>رضي الله عنها</small> .....
٩١٢	أصهار النبي <small>رضي الله عنه</small> وأقاربه.....
٩١٢	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small> .....
٩١٨	الحسن والحسين <small>رضي الله عنهما</small> .....
٩٢١	الحسن بن علي <small>رضي الله عنه</small> .....
٩٢٤	الحسين بن علي <small>رضي الله عنه</small> (الشهيد).....
٩٣٠	أبو بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small> (ثاني اثنين).....
٩٤٤	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small> .....

الصفحة	الموضوع
٩٥٩	عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small> (ذو النورين) .....
٩٧٠	حمزة بن عبدالمطلب <small>رضي الله عنه</small> (سيد الشهداء) .....
٩٧٣	جعفر بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small> (ذو الجناحين الطيار) .....
٩٧٧	صفية بنت عبدالمطلب <small>رضي الله عنها</small> .....
٩٨٠	العباس بن عبدالمطلب <small>رضي الله عنه</small> .....
٩٨٣	الفضل بن عباس <small>رضي الله عنه</small> (الرِّدْفُ) .....
٩٨٤	عبدالله بن عباس <small>رضي الله عنه</small> (الحَبْرُ) .....
٩٨٧	عبيد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small> (الجواد) .....
٩٨٨	قثم بن العباس <small>رضي الله عنه</small> .....
٩٨٩	أم أيمن (حاضنة الرسول <small>صلى الله عليه وسلم</small> ) .....
٩٩١	زيد بن حارثة ("الحبّ" مولى رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> ) .....
٩٩٥	أسامة بن زيد بن حارثة <small>رضي الله عنه</small> (الحبّ) .....
٩٩٨	أنس بن مالك (خادم رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> ) .....
١٠٠٣	سلمان الفارسي <small>رضي الله عنه</small> .....
١٠٥٨-١٠١١	الخاتمة
١٠٥٩	المصادر والمراجع .....
١١٣٧	فهرس الموضوعات .....